إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

عوالم القوس النزول

عوالم الخلق والامتحان

د. أحمد الحسيني

عوالم قوس النزول

عوالم الخلق والامتحان

الدكتور أحمد الحسيني

المحتويات

الإهداء.....٧

المقدمة.....٨

الفصل الأول: عالم الذر (عالم الظلمة الأول).....١٢

عالم الذر وتعريفاته.....١٢

تسميات أخرى لعالم الذر.....١٣

١-عالم الامتحان الأول.....١٣

٢-عالم الأنفس.....١٣

٣- عالم العهد والميثاق.....١٣

٤- العالم المنسي.....١٤

٥- النشأة الأولى.....١٤

عالم الذر في الروايات عند الشيعة.....١٥

الرد على أقوال بعض علماء الشيعة في عالم الذر.....٢١

أخبار اعتمدها علماء السنة في الإشهاد على النفس.....٣١

أقوال وتفاسير بعض علماء السنة.....٣٣

خلاصة ما أشارت له الروايات في امتحان الذر.....٣٩

الفطرة وعالم الذر.....٤١

الفطرة في اللغة.....٤١

الفطرة اصطلاحا.....٤٢

الفطرة عند مفسري السنة.....٤٢

الفطرة في روايات الشيعة.....٤٤

الفطرة والتوحيد..... ٤٤
الفطرة والمعرفة..... ٤٤
الفطرة والإسلام..... ٤٥
الهدف من الفطرة المودعة في النفوس..... ٤٧
الممتحنون في عالم الذر..... ٥٢
أين ومتى حصل امتحان الذر وما هي حقيقته؟..... ٥٣
عالم الذر في السماء الأولى..... ٥٥
بداية خلق الإنسان..... ٥٧
صورة من فساد عقيدة المفسرين (الخلق نتاج زنا المحارم)..... ٥٩
أقوال علماء السنة في خلق آدم وحواء..... ٦١
أقوال بعض فقهاء الشيعة في مسألة زواج أبناء آدم (ع)..... ٦٢
السماء الأولى والسماء الدنيا وبداية الامتحان..... ٦٥
التكليف وعالم الذر..... ٧٠
الفشل في الامتحان..... ٧٤
الحجر الأسود شاهد على الوفاء بالعهد والميثاق..... ٧٥
أصل الحجر الأسود..... ٧٨
الفصل الثاني: عالم الدنيا (عالم الظلمة الثاني)..... ٨٢
طبيعة عالم الدنيا..... ٨٢
لماذا الامتحان؟..... ٨٣
عالم الدنيا دار الامتحان في الثقلين..... ٨٦
عالم الدنيا وجود مؤقت..... ٩٠

الممتحنون في عالم الدنيا وتوهم علماء العقائد.....٩٦

أصل العبادة.....,.....١٠٣

معرفة خلفاء الله ١٠٤

علة وجود عالم الدنيا.....١١٠

لماذا اختار الله خلفاءه في أرضه؟.....١١٠

شواهد لا ترد تصدح بالتنصيب الإلهي لخلفاءه ع.....١١٦

حديث الغدير.....١١٦

حديث الغدير في مصادر أهل السنة.....١١٦

مشكلة أهل السنة مع حجية حديث الغدير في التنصيب الإلهي.....١١٩

حديث الثقلين ودعوى اكتمال الدين بعد رسول الله (ص).....١٢٠

السجود لخليفة الله الطريق الحصري للعبادة.....١٢٤

ضرورة وجود خليفة في كل زمان.....١٢٤

إنكار وصية رسول الله (ص).....١٢٥

الوصية في كتب السنة.....١٢٥

الوصية في كتب الشيعة.....١٢٦

وصية رسول الله(ص) في المنظور السني.....١٢٨

وصية رسول الله(ص) في المنظور الشيعي.....١٣١

الديمقراطية انقلاب على وصية رسول الله (ص).....١٤٠

علم الرجال استهداف لاستمرار مشروع التنصيب **الإلهي**.....١٤٢

العلم والعصمة..... ١٤٩

العلم في القرآن.....١٤٩

العقل مقام النفس التام أو الروح في السماء السابعة.....١٥٣
العلماء ورثة الأنبياء.....١٥٤
علم خليفة الله وحضور القابل ١٥٧
علم خليفة الله والوحي في كل آن.....١٦٠
مناهج التفسير وتعطيل المشروع الإلهي في الأرض.....١٦٨
بعض أقوال الأئمة (ع) في التفسير.....١٦٧
هل يعتقد المفسرون بوجود خليفة الله في زمانهم؟.....١٧٢
الفصل الثالث: عالم الرجعة (عالم الظلمة الثالث).....١٧٥
الرجعة في اللغة.....١٧٦
المعنى الاصطلاحي للرجعة ١٧٦
أقوال العلماء في الرجعة.....١٧٧
لماذا امتحان الرجعة.....١٨٧
الرجعة يوم آخر.....١٨٩
الرجعة ليست على هذه الأرض.....١٩٤
الرجعة امتحان آخر.....١٩٦
ذروة المعرفة في الرجعة.....١٩٨
الرجعة يوم من أيام الله.....٢٠١
الفهم الخاطئ للرجعة ونتائجه.....٢٠٤
الأئمة والمهديين في منظار الرجعة.....٢٠٦
الأئمة اثنا عشر.....٢٠٧
الأئمة ثلاثة عشر.....٢٠٨

المهديين الأحد عشر **٢٠٩**

المهديين الاثني عشر..... **٢٠٩**

دولة العدل الإلهي والمهديين..... **٢١١**

وصية رسول الله بوصلة الرجعة..... **٢١٢**

فيما يؤكد انطباق المهدي الأول على مصداقه..... **٢١٥**

امتحان الأمة في المهدي الأول **٢١٨**

خاتمة..... **٢٣٠**

الإهداء

إلى خلفاء الله المنصبين الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم والأئمة والمهديين

(عليهم السلام)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليما

نظرة سريعة إلى التاريخ البشري والتاريخ الديني بالخصوص ومنذ أولى الرسالات الإلهية، والتي دأب حملتها على طول الخط ببذل قصارى جهودهم وتقديم أقصى ما يمكن من التضحيات التي كلفت معظمهم أرواحهم الطاهرة فكانوا قرابين المشروع السماوي لإيصال رسالة السماء وتحقيق الهدف منها، وهو إيصال الخلق الغافل المنشغل بنفسه عن الله – بانشغاله بالدنيا التي أخذتهم بعيدا عن غاية وجودهم في هذا العالم– إلى أعلى مراتب المعرفة الممكنة للمخلوق ، ولم يتحقق هذا الهدف لعدم وجود القابل لرسالات السماء وحملتها سوى لثلة قليلة كانت تعاصر الخليفة الإلهي في كل زمان.

أن غاية الخلق هي التوحيد [1] كما سيتوضح في قادم البحث إن شاء الله، وجوهر التوحيد هو المعرفة، إذ لا توحيد بلا معرفة، وبما أن الخلق فشل في الوصول إلى هذه المرتبة منذ بداية خلقهم الأول، ولكن هذه الغاية – أي المعرفة أو التوحيد– تحققت عند الأنبياء والرسل والأوصياء (ع) والتي تربع محمد (ص) على عرشها وفاز بأعلى مراتبها؛ لأنه كان الأقرب إلى النور المطلق أو الله سبحانه وتعالى ، وحاز على أعلى درجات الإخلاص الممكنة للمخلوق فكانت صفحة وجوده محلا للعلم الموجب للمعرفة والتوحيد بأعلى مراتبها.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وهي كما قال عنها آل محمد (ع) إلا ليعرفون.

فالمشروع والمنهج المعرفي كان سبب الخلق، وفي عوالم الخلق منح الله سبحانه لعباده فرصة المعرفة.

فهل سارت الأمم على هدي هذا المنهج؟

---

[1] . (واعلم أن الغرض من هذه الغاية العظيمة (التوحيد) هو معرفة الله سبحانه وتعالى، وهذا الغرض خلق الله الإنسان لأجله فمن ضيع هذا الغرض فقد ضيع كل شيء ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾([الذاريات:٥٦])، أي ليعرفون، وهذا الغرض وهذه المعرفة لابد لها من التوحيد لتتحقق، والتوحيد الحقيقي لا يتحقق بتحصيل الألفاظ والمعاني، بل يتحقق بالعمل والإخلاص لله سبحانه حتى يصبح العبد وجه الله سبحانه في أرضه أو الله في الخلق.)كتاب التوحيد- السيد أحمد الحسن.

المنفذون لهذا المنهج المعرفي والسابقون للخلق في جدهم واجتهادهم وصلوا واتصلوا فاختارهم الله وأرسلهم ليعرفوا الخلق ويأخذوا بأيديهم إلى سلم الرقي والمعرفة وهم الرسل والأنبياء والأوصياء(ع)، فهل عرف الناس تكليفهم وجدّوا بالوصول إلى هؤلاء المختارين الذين مثلوا رحمة الله ولطفه؟!

ولأن المتتبع لمسيرة الدعوات الإلهية يجد أنها جوبهت بكل أنواع القهر والتعسف والإقصاء لدعاتها أمة إثر أمة تكاد نفس المواقف تتكرر ونفس الممارسات تعاد مع خلفاء الله في كل مرة، وفي كل مقطع زمني يظهر خط مناهض لهذا الخط الإلهي المتمثل برجل يحمل رسالة السماء الداعية لهداية الناس والوصول بهم إلى السعادة في الدنيا والأخرة، ولكن في كل مرة تفشل الأمم في معرفة هذا الخليفة وتضيع حظها في طاعته، إلا الثلة القليلة منهم في كل زمان، وعندما نراقب هذه التجربة المريرة على مر التأريخ يعترينا سؤال ملح :

كيف يتم التفريط في كل مرة بفرصة اللحوق بركب الهداية الإلهية الذي يقوده خليفة الله في كل زمان؟!

لعل البشرية الآن تمر بأقصى حالات الإعراض عن منهج السماء، لما اتخذته من مناهج بديلة وضعها أناس متبرعون لتمثيل الدين وقبِل بها أتباعهم، أو إنكاراً لأصل وجوده كالملحدين ومن سار في فلكهم فأصبحت تتقاذفهم أمواج الفتن والابتلاءات.

فهدف البحث يسلط الضوء على عوالم خلق أو عوالم ظلمة وهي عوالم خلق ثلاث يمر بها الإنسان وهي عوالم قوس النزول، ثم نتبين طبيعة هذه العوالم وسبب أو علة وجودها وعلاقتها بامتحان الخلق، ونتعرف من خلال معرفتنا بأصل عالم الظلمة الأول على أصل وجودنا والهدف منه لعلنا نستطيع أن نقطف ثمرة وجودنا في هذا العالم، وهو العالم الثاني من عوالم قوس النزول، ومنها نعرف سبب وجودنا في هذه العوالم والغاية منه.

لم أجد فيما قدمه رجال الدين والفقهاء بمختلف طبقاتهم من الشيعة والسنة بخصوص العوالم الثلاث ما يشبع شيئاً من فضول الباحث فيما يخص حقيقة عوالم قوس النزول وعلل وجودها؛ فلم يقدم أحد منهم صورة واضحة تشخص هذه العوالم كونها عوالم منفصلة عن بعضها وكل عالم قائم بذاته مختلف تكوينياً ورُتبياً ليكون كل واحد منها يمثل خلقاً جديداً ونشأة جديدة خاضعة لنظام تكويني مختلف؛ بل أن بعضاً منهم أنكر وجود أحدها وأقر بعالمين منها وآخر أنكر عالمين ولم يستوعب عقله الذي جعله حاكماً على

نصوص القرآن والروايات سوى عالم الدنيا، فتمخضت نتاجاتهم عن توهمات وأفهام متضاربة مما قدموه من تفسيرات لم تلامس أغلبها سوى ظواهر بعض النصوص المتعلقة بوجودهم المادي الجسماني أربكت النتاج العقائدي بشكل كبير، وعكست عنه صوراً مشوهة، بل وتركت مساحات كبيرة عرضة لسهام المتصيدين الذين استهدفوا من خلالها الدين برمته كالملحدين المشككين والمنافقين الذين يتربصون بالعقيدة الحقة.

فأصبح هدف هذا البحث الوصول إلى غايتنا في تقديم الصورة الواقعية لمسيرة المشروع الإلهي منذ بداية خلق عوالم التكليف–عوالم قوس النزول– وحتى الوصول إلى أعلى غاية في تحقيقه موسوماً بفصوله الثلاث الحاكية عن عوالم الظلمة الثلاث والعلاقة فيما بينها. ولعل أهم ما يتعلق ببحثنا لهذه العوالم هو علاقتنا نحن البشر بكل عالم منها وبالأحرى العلاقة المرتبطة بسبب وجودنا في كل عالم منها، وما هو نوع الممارسات التي جسدت طبيعة التكليف في كل عالم، وهذا ما سيفسر طبيعة العناوين التي تناولتها في كل فصل يصف لنا طبيعة العلاقة بين البشر ونوع التواصل مع خالقهم وفق ما أتيح لهم من وسائل الاتصال والتعريف به سبحانه، والمنهج الذي يقدمه الله سبحانه للبشر، وما يفترض أن يعملوا به فيكون ضمانة نجاتهم، حيث يتمظهر فيه التكليف الذي يناسب طبيعة كل عالم، وفي الفصل الثاني من هذا البحث تتبلور هذه المعطيات باستعراض مقارن بين المنهج الإلهي والمناهج التي قدمها المخالفون والمناهضون والمبتدعون، وهو ما يتعلق بطبيعة التكليف في هذا العالم الجسماني والتي تعكس سلوكيات ومواقف ومناهج يتبناها الناس تجسد علاقتهم مع الله ومع خلفاءه من الرسل والأنبياء والأوصياء (ع) وكلها محسوبة في سجل امتحانهم في هذا العالم.

فما هي عوالم الظلمة أو عوالم (قوس النزول)؟ وما هي أسباب وجودها؟ وما طبيعة كل عالم؟ وما هو المحور الأساس الذي تشكلت عليه هذه العوالم ولماذا كانت عوالم ثلاث؟ وما علاقة وجودنا في كل عالم ومن أين بدأت وكيف ستنتهي؟ وعلاقة ذلك بتكليف الإنسان في كل عالم ومآله فيه؟

كل هذه الأسئلة سنناقشها ونحصد نتائجها عبر فصول هذا البحث الثلاث والتي يعبر كل فصل منها عن عالم من عوالمها الثلاث.

١- عالم الظلمة الأول(من قوس النزول) أو عالم الذر.

٢- عالم الظلمة الثاني(من قوس النزول) أو عالم الدنيا.

٣- عالم الظلمة الثالث(من قوس النزول) أو عالم الرجعة.

أحمد الحسيني

الفصل الأول

عالم الذر

عالم الظلمة الأول

وهو أول عوالم قوس النزول أو عالم النشأة الأولى.

عالم الذر تعريفه وتسمياته

وهو عالم سبق عالم الدنيا وفيه وجدت أنفس أو أرواح جميع الخلق. والذر يعني بالغ الصغر، أو النسل والخلق، ويعني صغار النمل وتناثر الذر الهباء المنتشر في الهواء، وهو عالم ذر الله الخلق.

قال بعضهم :(أن لفظة (الذرية) مشتقة من (الذرء) بمعنى الخلق، فتكون الذرية بمعنى: المخلوق. والبعض الآخر قال أنها مشتقة من (الذر) بمعنى الكائنات الصغيرة الدقيقة جداً كذرات الغبار وصغار النمل. وذهب البعض الآخر إلى أنها مأخوذة من (الذرو) أو (الذري) بمعنى التفرق والانتشار وإنما تطلق (الذرية) على ولد آدم ونسله لتفرقهم على وجه الأرض وأكناف البسيطة)[١].

تستعمل لفظة الذرية غالباً في الأولاد الصغار مثل قوله تعالى:﴿وَلَهُ ذُرِيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾[٢] .

وقد تستعمل في مطلق الأولاد مثل قوله سبحانه:﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾[٣].

كما أنّها قد تستعمل في فرد واحد مثل قوله سبحانه:﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٤] .

وقد تستعمل في الجمع مثل قوله تعالى:﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[٥].

---

[١] . مفاهيم القرآن- جعفر السبحاني: ج١ ص٧٨-٨٧.

[٢] . البقرة : ٢٦٦.

[٣] . الإنعام :٨٤ .

[٤] . آل عمران : ٣٨.

[٥] . الأعراف :١٧٣.

استعرض الشيخ جعفر السبحاني – كما في المصدر– آراء ونظريات العلماء في مفردة الذر وأين تنصرف ، وعلاقتها بوجود الإنسان بهذا العالم والميثاق وعلاقة ذلك بتذكر الإنسان والعقل والحجية الملزمة للإنسان ، تركت التفصيل للاختصار.

تسميات أخرى لعالم الذر

١. عالم الامتحان الأول

يمكن أن يطلق عليه عالم الامتحان؛ لأنه مخاض أو اختبار لجميع الخلق أفرز عن عدة مجاميع تنوعت في إجاباتها حول سؤال وجه للجميع فكل أجاب بحسبه، وفيه امتحنت جميع الأنفس من أنبياء ومرسلين وخلفاء لله وباقي المكلفين في آن واحد وتنافس فيه الجميع ففاز من فاز وفشل من فشل حيث نودوا بنداء (ألست بربكم) فتوزعت إجاباتهم حسب استعداداتهم وقابلياتهم.

أما لماذا الأول؟ فلأنه سيتبعه امتحان آخر أو امتحان ثان في عالم آخر يختلف في حيثياته وتفاصيله ولوازمه عن هذا الامتحان، ولكن القاسم المشترك بينه وبين الامتحان الأول هو أن الممتحنون نفس الممتحنين هناك وسؤالهم نفس السؤال وإن اختلفت طبيعته ولوازمه بحسب نظام العالم الذي يجري فيه الامتحان.

٢. عالم الأنفس

كذلك كون أن الشخوص التي جرى عليها الامتحان كانت أنفساً ولم تكن أجساماً؛ لأن الله سبحانه وتعالى أول ما خلقها أنفساً وهي ما يناسب ذلك العالم وقد بينت الآية القرآنية هذا المعنى "وأشهدهم على أنفسهم" ، والأنفس ليست من سنخ مادي أو جسماني كثيف، وإنما خلق ملكوتي لطيف يناسب طبيعة ونظام عالم السماء الأولى الذي خلقت فيه.

٣. عالم العهد والميثاق

عَهِد: (بكسر الهاء) اسم؛ رَجُلٌ عَهِدٌ يُعنى بالأمور ويحفظها[١] . وعهد (بسكون الهاء) مصدر عهد بكسر الهاء وفتح الدال، والعهد الوصية ويقال عهد صديقه على الوفاء أعطاه عهداً وموثقاً.

[١] . معجم المعاني الجامع.

- معنى عهد في تاج العروس: (الوصية والأمر قال الله عز وجل" ألم أعهد إليكم يا بني آدم" وكذا قوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل)[١].
- ومعنى عهد في لسان العرب: (تَقُولُ: عَلَيَّ عهْدُ اللَّهِ وميثاقُه، وأَخذتُ عَلَيْهِ عهدَ اللَّهِ وميثاقَه؛ وَتَقُولُ: عَلَيَّ عهدُ اللهِ لأَفعلن كَذَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ)[٢].
- وردت في دعاء الغدير: (... إلى أن جددت ذلك العهد لي تجديداً بعد تجديدك خلقي، وكنت نسياً منسياً ناسياً ساهياً غافلاً ...)[٣].
- (الْمِيثَاق) الْعَهْد، والجمع مواثيق[٤] .

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٥].

عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: سألت الصادق (ع) عن قوله: (فمنكم كافر ومنكم مؤمن)، فقال: (عرف الله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر وفي صلب آدم (ع))[٦].

٤. العالم المنسي

لأن جميع الممتحنين في ذلك العالم نسوا ما جرى هناك عندما نزلوا إلى العالم الجسماني وحُجبوا فيه، حيث حُجبت النفس في البدن المادي وانشغلت بلوازمه وغفلت عن ذلك العالم ، فكانت ناظرة إلى الأنا ومنشغلة بتدبير البدن وشهواته وملذاته ، فالتصقت بعالم المادة مما تسبب في حجبها عن الانشغال والنظر والتفكر في معرفتها وبالتالي معرفة الرب ونيل مرتبة التوحيد بحسب جدها واجتهادها والسعي بالعمل والإخلاص لنيلها، فنسيت الامتحان، والآية الكريمة ﴿فذكِّر إنَّما أنتَ مُذكِّر﴾[٧] تشير إلى هذا المعنى فالرسول والنبي ومن يقوم مقامهما يذكر الخلق بذلك اليوم أو ذلك العالم، فهم متذكرون وكل بحسب مقامه الذي وصل إليه بحسب إخلاصه واستعداده واستيلاء نقطة النور واتساعها في ساحة وصفحة وجوده.

---

١. تاج العروس من جواهر القاموس (المرتضى الزبيدي) : ج٥ ص ١٤٤ ، طبعة دار الفكر.
٢. لسان العرب- ابن منظور: ج٣ ص٣١١، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
٣. إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس الحسني: ج٢ ص٢٧٧.
٤. المعجم الوسيط- ج٣ ص١٢، الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م] دار الفكر.
٥. الرعد :٢٠.
٦. تفسير القمي: ج٢ ص٣٧١.
٧. الغاشية :٢١.

٥. النشأة الاولى

النشأة: لغة تعني الحياة أو الإيجاد والتربية، والنشأة ما ارتفع من كل نبات ولم يغلظ بعد، والمصدر أنشأ ويقال أنشأ الشيء أحدثه أو أسسه وأنشأ الله الخلق أوجدهم، وأنشأ الله الخلق خلقه وأبدعه ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[١] وانشأه رفعه، أنشأ الله السحاب: رفعه[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

أما الأولى: فكما تبين من تسمية عالم الذر بالامتحان بالأول باعتبار وجود امتحان ثان، كذلك يطلق على النشأة الأولى باعتبار وجود نشأة ثانية وتسمى بالنشأة الأخرى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[٤].

عالم الذر في الروايات عند الشيعة

وردت العديد من الروايات التي يمكن لأي باحث منصف أن يحصل بعد قراءتها على الأقل على درجة عالية من اليقين بوجود عالم الذر وأنه عالم سبق وجودنا في هذا العالم، فضلاً عن كونه عالم تكليف وامتحان مر به الخلق، وتوصيفات أصل وطبيعة الخلقة وأسبابها وعللها ونتائج الممتحنين سأستعرضها كما وردت بنصوصها المختلفة التي تصف لنا مجمل ما جرى في عالم الذر.

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال:

(لو علم الناس كيف ابتدأ الخلق ما اختلف اثنان ، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال كن ماء عذبا أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وكن ملحا أجاجا أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثم أخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فإذا هم كالذر يدبون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي، ثم أمر نارا فأسعرت فقال لأصحاب الشمال أدخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين أدخلوها فدخلوها فقال كوني بردا وسلاما فكانت بردا وسلاما، فقال أصحاب الشمال يا رب أقلنا فقال قد أقلتكم

---

[١] . الأنعام :٩٨.
[٢] . معجم المعاني الجامع.
[٣] . الواقعة : ٦٢.
[٤] . النجم : ٤٧.

فادخلوها فذهبوا فهابوا فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء)[١].

عن زرارة: إن رجلا سأل أبا جعفر (ع) عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم﴾، فقال.. وأبوه عليه السلام يسمع .: (حدثني أبي إن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحا ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركا شديدا، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعا ان يقعوا في النار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم بردا وسلاما، وأبى اصحاب الشمال ان يدخلوها)[٢].

عن أبي عبد الله (ع) قال:

(إن الله جل وعز لما أراد أن يخلق آدم أرسل الماء على الطين ثم قبض قبضة فعركها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذرأهم فإذا هم يدبون، ثم رفع لهم نارا فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها، ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فدخلوها فأمر الله عز وجل النار فكانت عليهم بردا وسلاما، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا ربنا أقلنا فأقالهم ثم قال لهم ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طينا وخلق منها آدم عليه السلام ، وقال أبو عبد الله عليه السلام فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء قال فيرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من دخل تلك النار فذلك قوله عز وجل)[٣] ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [٤].

عن زرارة عن حمران عن أبي جعفر (ع) قال: (إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحا أجاجا فامتزج الماءان فأخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي، ثم قال ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٥]. ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال ألست بربكم وأن هذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولي وأن هذا علي أمير المؤمنين عليه السلام قالوا بلى

---

١. شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني: ج ٨ ص١٥.
٢. الكافي - الشيخ الكليني: ج٢ ص٧.
٣. نفس المصدر السابق.
٤. الزخرف: ٨١.
٥. الاعراف : ١٧٢.

فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي عليهم السلام وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعا وكرها، قالوا أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] قال إنما هو فترك، ثم أمر نارا فأججت فقال لأصحاب الشمال ادخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردا وسلاما فقال أصحاب الشمال يا رب أقلنا فقال قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها فهابوها فثم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية)[2].

عن حبيب السجستاني قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الله عز وجل لآدم أنظر ماذا ترى قال فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذر قد ملئوا السماء قال آدم عليه السلام يا رب ما أكثر ذريتي ولأمر ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ، قال الله عز وجل يعبدونني لا يشركون بي شيئا ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور فقال الله عز وجل كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم)[3].

عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعا عن أبي جعفر (ع) قال: (إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض ممن أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة من النار، ثم بعثهم في الظلال، فقلت وأي شيء الظلال، فقال ألم تر ظلك في الشمس شيئا وليس بشيء، ثم بعث منهم النبيين فدعاهم إلى الإقرار بالله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[4] ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين فأقر بعضهم وأنكر بعض ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾[5] ثم قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثم)[6].

---

١. طه : ١١٥.

٢. الكافي- للكليني: ج٢ ص٨.

٣. نفس المصدر السابق.

٤. الزخرف : ٨٧.

٥. يونس : ٧٤ .

٦. الكافي - الكليني: ج٢ ص١٠.

عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك إني لأرى بعض أصحابنا... (فقال عليه السلام لا تغتم لما رأي من نزق أصحابك ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما فرقتين فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقا بإذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى وقال لأهل الشمال كونوا خلقا بإذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج ثم رفع لهم نارا فقال ادخلوها بإذني فكان أول من دخلها محمد (ص) ثم اتبعه أولي العزم من الرسل وأوصيائهم وأتباعهم)[١].

عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله (ع) كيف أجابوا وهم ذر قال (ع): (جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني في الميثاق)[٢].

علي بن معمّر عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿هذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[٣]، قال:(إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فأقامهم صفوفا قدامه، بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله فآمن به قوم وأنكره قوم، فقال الله: (هذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى)، يعني به محمدا صلى الله عليه وآله حيث دعاهم الى الله عز وجل في الذر الأول)[٤].

عن ابن أذينة عن أبي عبد الله (ع) قال: (كنا عنده فذكرنا رجلا من أصحابنا فيه حدة فقال: إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين . وأنتم هم . أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال . وهم مخالفون . أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ولهم وقار)[٥].

ما نقله صاحب البحار من الإمام الصادق في قوله (ع):

(إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم (ع) من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة لكل نبي, كان أول من أخذ عليهم الميثاق بالنبوة, نبوة محمد بن عبد الله (ص)، ثم قال الله جلّ جلاله لآدم عليه السلام: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملئوا السماء. إلى أن قال آدم (عليه

---

١. الكافي - الكليني: ج٢ ص١١.
٢. نفس المصدر.
٣. الطور :٥٦.
٤. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥ ص٢٣٤ب١٠ح٧.
٥. نفس المصدر: ج٥ ص٢٤١ب١٠ح٢٧.

السلام): فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض, وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ قال الله عز وجل: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم...)[1].

عن ابن سنان قال: قال: أبو عبد الله (ع):

(أول من سبق إلى (بلى) رسول الله وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسرى به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطئت موطئا لم يطأ أحد قبلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه فكان من الله عز وجل كما قال الله: (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي بل أدنى، فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه، فقال الصادق (عليه السلام): كان ذلك الميثاق مأخوذا عليهم لله بالربوبية ولرسوله بالنبوة ولأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة بالإمامة، فقال: (الست بربكم ومحمد نبيكم وعلي إمامكم والأئمة الهادين أئمتكم فقالوا بلى فقال الله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين). فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله: (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: «ومنك» يا محمد، فقدم رسول الله لأنه أفضلهم، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله أفضلهم.

ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين (ع) فقال: (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم)، يعني رسول الله (ص) . لَتُؤمِنُنَّ به ولتنصرنهُ، يعني أمير المؤمنين تخبروا أممكم بخبره وخبر وليه من الأئمة ...)[2].

عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله (ع):

(أن بعض قريش قال لرسول الله (ص) بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم، فقال إني كنت أول من آمن بربي وأجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فكنت أنا أول نبي قال بلى فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل)[3].

---

[1] . نفس المصدر: ج ٥ ص٢٢٦, باب الطينة والميثاق.

[2] . تفسيرالبرهان - البحراني: ج٢ح١٢ص٤٧- ٤٨.

[3] . الكافي - الكليني: ج٢ ص١١.

عن الأصبغ بن نباته قال: أتى ابن الكواء أمير المؤمنين (ع) وكان معنتا في المسائل، فقال: يا أمير المؤمنين خبرني عن الله عز وجل هل كلم أحداً من أولاد آدم قبل موسى؟ فقال أمير المؤمنين (ع): (قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب. قال: فثقل على ابن الكوا ولم يعرفه، فقال: وكيف كان ذلك؟ فقال: أو ما تقرأ كتاب الله اذ يقول لنبيه: (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الستُ بربكم قالوا بلى) فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه كما تسمع في قول الله يا بن الكوا (قالوا بلى) ثم قال: إني أنا الله لا إله إلا أنا وأنا الرحمن الرحيم، فاقروا له بالطاعة والربوبية، وإنه ميز الرسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك في الميثاق وأشهد الملائكة عليهم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) [١].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ..﴾[٢] الآية، قال:(أخرج من ظهر آدم، ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه) [٣].

عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: سألت الصادق (ع) عن قوله: (فمنكم كافر ومنكم مؤمن)، فقال: (عرف الله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر وفي صلب آدم (عليه السلام))[٤].

عن داوود الرقي، قال سألت أبا عبد الله (ع) ... فقال: (...فلما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا انت ربنا فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قال لبني أدم أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا نعم ربنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك ابائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داوود ولايتنا مؤدة علينا في الميثاق)[٥].

---

١. تفسير البرهان - البحراني: ج٢ح١٩ص٤٩.
٢. الأعراف : ١٧٢.
٣. الفصول المهمة للحر العاملي: ج١ص٤٢٤.
٤. تفسير القمي: ج٢ ص٣٧١.
٥. الكافي - الكليني: ج١ ص١٣٣- ١٣٤،ح٧.

من خلال استعراض الروايات المتقدمة يتبين أن هناك مشروعا إلهيا بدأ بامتحان الخلق في عالم عشناه ونسيناه بعد أن نزلنا إلى عالم الدنيا وهو مشروع معرفي كما سيتبين ترتب الخلق بموجبه بحسب إجاباتهم إلى فريقين فريق أجاب وأقر فكان مآله ان يدخل الجنة وفريق تخلف فمصيره النار، وكان جوهر الامتحان الاقرار بالربوبية والطاعة لخلفاء الله .

فمن يعتقد بأهل البيت ووجوب ولايتهم يأخذ منهم ويصدق بإخبارهم ويؤمن بوجود عالم الذر.

الرد على أقوال بعض علماء الشيعة في عالم الذر

الشريف المرتضى:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ..﴾ (وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده، أن تأويل هذه الآية: أن الله استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته وهم في خلق الذر، فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه، لأن الله تعالى قال: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ) ولم يقل من آدم وقال: (مِن ظُهُورِهِمْ) ولم يقل: من ظهره، وقال: (ذُرِّيَّتَهُمْ) ولم يقل: ذريته.

ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة أنّهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم، وأنهم نشأوا على دينهم وسنتهم...فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية، التي استخرجت من ظهور آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال، وما قرروا به واستشهدوا عليه؛ لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وأن بعد العهد وطال الزمان وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالتين تأثير..... على أن تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية، وذلك لأن الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّرهم وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها، وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً ...) [1].

[1]. الآمالي- السيد المرتضى: ج١ ص٢٢-٢٣.

مناقشة ما تقدم:

قراءة الشريف المرتضى لعالم الذر يعتريها الخلط وعدم إدراك أن عالم الذر عالم منفصل سبق عالم الدنيا يختلف في طبيعته وأحواله؛ وهذا فهم منشؤه عدم الإحاطة بطبيعة هذا العالم ورتبة وجوده كونه ليس من سنخ هذا العالم المادي الجسماني وبالتالي خضوعه لنظام مختلف تماماً.

اعتمد الشريف المرتضى في إنكاره لعالم الذر على عدة أمور:

الأمر الأول: استند على فهمه للخطاب الإلهي من خلال قوله: (أن الله استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته) في أن خلق الذرية كونها من أبناء آدم (ع) وليس من آدم فقط مستدلاً بذلك إلى لغة الخطاب كونها موجهة لكل بني آدم، ولو كان المخاطب آدم (ع) فقط لخاطبه بصيغة المفرد!

لدفع هذا الإشكال أقول:

إن صيغة الخطاب بضمير الجمع هو أسلوب معروف في القرآن وله شواهد كثيرة؛ فالله سبحانه وتعالى يبين عظمته وكمال علمه الأزلي والقديم، فيكون جميع الخلق حاضر عنده، أما من جهة عدالته سبحانه، فطبيعة الامتحان تتناسب مع طبيعة وخصائص عالم الذر لذي جرى فيه الامتحان واختلاف تكوينه عن عالمنا المادي الجسماني، فإمكان جمع الخلق وهم في الذر الأول مناسب وممكن في لحظة واحدة ضمن قوانين هذا العالم، إذ يمكن أن يأخذ كل فرد من الذر نفس الفرصة، فلا يتقدم أحد على أحد ولا يتأخر عن ذلك، فهم حاضرون في نفس المشهد فلا زمان ولا مكان، ولكن في عالمنا الجسماني فالأمر مختلف والحال متغير ؛ لأن عالم الذر ليس عالما ماديا جسمانيا وغير خاضع لقوانين هذا العالم – عالم الدنيا– فلا زمان ولا مكان ولا كثافة كما نتحسسها في عالم الدنيا، حيث أن امتحان الخلق يجري في أوقات مختلفة لعلة تعاقب الأجيال بعضها بعد بعض، وهذا ما يتناسب وكثافة هذا العالم المادي وكثرة التفصيلات فيه كما سيأتي بيانه في بعض فقرات هذا الفصل ، وهو أمر تعسر على السيد الشريف الرضي فهمه وإدراكه، ولم يعد يعرف الفرق بين عوالم الملكوت والعالم الجسماني الذي نعيش فيه وبالتالي اختلفت لغة الخطاب وحتى المفردات التي تنقل لنا صورة أي عالم من هذه العوالم.

الله سبحانه أوجد بني آدم في الذر الأول دفعة واحدة من خلال ما صرحت به الروايات فاصبحوا بين يديه في آن واحد، فيكون المراد من الخطاب بالجمع إشارة لاتحاد مفردات الامتحان ولكن الفرق في

التفصيل بين عالم المادة والكثرة وعالم الذر والفرق كبير بل لا نسبة بين طبيعة العالمين لاختلاف القوانين التي تحكمهما.

الأمر الثاني : قضية التكليف وكونها مشترطة بالعقل.

صحيح إن شرط صحة التكليف مقرونة بتعقل الإنسان، فأين ما وجد الأمر بالتكليف يلزم منه أن يكون المخاطب عاقلاً، وهذا ما بينته الشريعة المقدسة، والخطاب في عالم الذر واضح من خلال الآيات القرآنية وأيضاً الروايات الشريفة التي بينت ذلك، فالقول بعدم وجود العالم- عالم الذر- لأن في العقل إثبات العلم وعدم نسيانه، فهذا القول مخالف لصريح القرآن وللروايات وأيضاً يخالفه الواقع، فليس كل ما موجود في عقل الإنسان وباطنه يكون حاضراً وظاهراً عنده فيتذكره في كل وقت وحين.

تكلم الشريف المرتضى عن صفة اكتمال العقول واستيفائها لشروط التكليف، وهذا الأمر تكفل به آل محمد (ع) حيث قالوا بأن الله جعل فيهم ما لو سألهم أجابوه، فعلينا أن نصدق قولهم (ع) أولاً، ومن ثم نتعرف من آيات الله ثم نتدبر روايات الطاهرين (ع) وهل أن العاقل الذي يصفه السيد المرتضى ينسى أم لا؟

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1].

فالله سبحانه يستشهد لنا بآدم (ع) فيرمي في ساحته النسيان الذي لا يقبله الشريف المرتضى، فعن أي عقل يتكلم والذي لا يجوز عليه النسيان؟! فكلامه رحمه الله رد على ثابت في القرآن.

السيد أحمد الحسن (ع) كشف عن العلة عندما عزى سبب النسيان الذي لا يجوزه السيد الشريف المرتضى والشيخ المفيد وآخرين فقال:

(وأيضا الخطاب في أول سورة يوسف (ع) للرسول (ص) وهو خير خلق الله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2]، أي إنك يا محمد (ص) أنزلت إلى هذا العالم، وحجبت عنك حقيقتك وامتحنك الله بهذا الامتحان الثاني في هذا العالم، وكنت الفائز بالسباق مرة أخرى، بعد أن كنت الفائز بالسباق في الامتحان الأول في عالم الذر، قال تعالى:

---

[1] . طه : ١١٥.
[2] . يوسف : ٣.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]) [2].

فهنا يبين السيد أحمد الحسن سبب نسيان ذلك العالم وهو النزول الى هذا العالم الجسماني الكثيف من جهة، ومن جهة أخرى بسبب كونه امتحاناً آخر، فكيف يكون امتحاناً آخر للخلق إن لم يتجدد السؤال؟ فاحتجاب الإنسان بجسده الكثيف في هذا العالم شمل محمداً (ص)، فهو سارٍ على جميع الخلق وهذه عدالة الله سبحانه.

قال رسول الله (ص): (لم أكن أعلم ذلك حتى عرفنيه الآن جبرائيل (ع)، وما كنت أعلم شيئاً من كتابه ودينه أيضاً حتى علمنيه ربي، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [3].

يقول السيد أحمد الحسن: (إذن، فالأنبياء والأوصياء (ع) ممتحنون بهذا العالم، فكما حجب غيرهم وأغفل عن الامتحان الأول والإيمان الأول في عالم الذر، حجبوا (ع) ليكون هذا الامتحان الثاني عادلاً فالكل أغفلوا عن عالم الذر بحجاب الجسد، والمطلوب تجريد الروح بمرتبة ليعرف الإنسان الحقيقة وينظر في ملكوت السماوات، وقد تجرد الأنبياء والأوصياء، والمطلوب من الكل التجرد لينجحوا في الامتحان كما أن الله سبحانه وتعالى ساوى كل بني آدم في الفطرة لتتم كلمته سبحانه أنه هو العادل الحكيم، فالكل مفطورون على معرفة أسماء الله سبحانه، ليكونوا وجه الله وأسماءه الحسنى، وكل من قصر فحظه ضيع)[4].

عبد الحسين شرف الدين

((و)ذكر يا محمد للناس ما قد واثقوا الله عليه بلسان حالهم التكويني من الإيمان بالله والشهادة له بالربوبية وذلك (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ) أي حيث أخذ ربك جل سلطانه (مِن بَنِي آدَمَ) أي (مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فأخرجها من أصلاب آبائهم نطفا، فجعلها في قرار مكين من أرحام أمهاتهم ثم جعل النطف علقا ثم مضغاً ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم أنشأ كلا منهم خلقا سويا قويا في أحسن تقويم سميعاً بصيرا ناطقا عاقلا مفكرا مدبرا عالما عاملا كاملا ذا حواس ومشاعر وأعضاء أدهشت الحكماء، وذا مواهب

---

[1] . الشورى : ٥٢.
[2] .إضاءات من دعوات المرسلين - السيد أحمد الحسن: ج٣ ق١.
[3] . بحار الأنوار- المجلسي: ج٩٤ ص٥٧.
[4] . اضاءات من دعوات المرسلين - السيد أحمد الحسن: ج٣ ق١.

عظيمة وبصائر نيرة تميز بين الصحيح والفاسد والحسن والقبيح وتفرق بين الحق والباطل فيدرك بها آلاء الله في ملكوته وآيات صنعه جل وعلا في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ... وبذلك وجب أن يكونوا على بينة قاطعة بربوبيته، مانعة عن الجحود بوحدانيته فكأنه تبارك وتعالى إذ خلقهم على هذه الكيفية قررهم (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) فقال لهم: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) وكأنهم (قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا) على أنفسنا لك بالربوبية ... نزولا على ما قد حكمت به عقولنا وجزمت به بصائرنا حيث ظهر لديها أمرك ... فلا إله إلا أنت خلقتنا من تراب ثم أخرجتنا من الأصلاب فلك الحمد إقراراً بربوبيتك.....هذا كله من مرامي الآية الكريمة، وإنما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير تقريبا للأذهان إلى الإيمان وتفننا في البيان والبرهان، وذلك مما تعلوا به البلاغة فتبلغ حد الإعجاز .. ألا ترى كيف جعل الله نفسه في هذه الآية بمنزلة المشهد لهم، على أنفسهم وجعلهم بسبب مشاهدتهم تلك الآيات وظهورها في أنفسهم بمنزلة المعترف الشاهد وإن لم يكن هناك شهادة وإشهاد. وباب التمثيل واسع في كلام العرب ولا سيما في الكتاب والسنة)[1].

إنكار السيد شرف الدين لعالم الذر بسبب اعتقاده أن الخلق المقصود به هنا هو خلقه في هذا العالم المادي وهو تغييب لأصل خلقه في عالم مختلف سبق وجودنا في هذا العالم، وهذا يعني بحسب تصوره أن الله قد أجبر الخلق على أفعالهم واعتقادهم في عالم الدنيا، لأنه بحسب توهمه إن ابتداء خلق الإنسان في هذا العالم، فيكون قد طوى صفحة الامتحان الأولى في عالم الذر، حيث أودع الله سبحانه الفطرة التي تمكن الإنسان من الاختيار في أن يكون صورة لله بالإخلاص طاعة وتسليما أو أن يسلك طريقا آخر بالعدول عن طاعته سبحانه، فإذا ألغي امتحان الذر بحسب فهم السيد شرف الدين فالخلق مجبورون على الطاعة حيث أشهدهم على أنفسهم فقالوا بلى وهذا ما لا يمكن تحققه حسب اعتقاد شرف الدين.

ثم أي تمثيل يقصده السيد شرف الدين، وكيف لم يكن هناك شهادة ولا إشهاد؟! حين يقول ألم ترى كيف جعل الله نفسه بمنزلة المشهد؛ أقول ألم يكن فعلاً هو المشهد، ثم هل أنه لم يكن المشهد والناس الممتحنين في هذا العالم هم الشاهدين على أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم؟ فكيف يتم الإقرار بهذا ثم تتم إحالة ذلك إلى البلاغة والتفنن بالبيان، لكي يكون مخرجاً في عدم إنزال عالم الذر منزلته التي جعلها الله لتكون عالماً بذاته امتحن فيه الخلق ثم نزل إلى هذا العالم ليخوض امتحانه الثاني وبحدود رتبته التكوينية التي تناسب تنزله في حدود جسمانيته وماديته.

[1] . فلسفة الميثاق والولاية - عبد الحسين شرف الدين: ص٢٧. مجلة تراثنا - مؤسسة آل البيت: ج٦٢ ص٢٣٨.

فمسألة الإشهاد "وأشهدهم على أنفسهم" أي أنهم أنفس لها وجود حقيقي في عالم حقيقي اختبرت فيه.

لكن السيد شرف الدين يستبعد وجود شيء اسمه عالم الذر؛ لأنه يصف الآية المباركة فيقول ظاهر الآية أنها إنما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير، بل ويستبعد وجود سؤال حقيقي وإجابات حقيقية من الخلق، بدلالة قوله وكأنهم "قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا" على أنفسنا وهذا من غريب القول!

السيد الطباطبائي:

(على أن هذا العقل الذي لا تتم حجة ولا ينفع إشهاد ولا يصح أخذ ميثاق بدونه حتى في عالم الذر المفروض هو العقل العملي الذي لا يحصل للإنسان إلا في هذا الظرف الذي يعيش فيه عيشة اجتماعية فتتكرر عليه حوادث الخير والشر، وتهيج عواطفه وإحساساته الباطنية نحو جلب النفع ودفع الضرر فتتعاقب عليه الأعمال عن علم وإرادة فيخطئ ويصيب حتى يتدرب في تمييز الصواب من الخطأ، والخير من الشر، والنفع من الضر والظرف الذي يثبتونه أعني ما يصفونه من عالم الذر ليس بموطن العقل العملي إذ ليس فيه شرائط حصوله وأسبابه.... فلا يقر بوجود عمل ترتب عليه الامتحان وترتبت على ضوء العمل إجابات الخلق.... والظرف الذي يثبتونه أعني ما يصفونه من عالم الذر ليس بموطن العقل العملي إذ ليس فيه شرائط حصوله وأسبابه، ولو فرضوه موطنا له وفيه أسبابه وشرائطه كما يظهر مما يصفونه تعويلا على ما في ظواهر الروايات أن الله دعاهم هناك إلى التوحيد فأجابه بعضهم بلسان يوافقه قلبه وأجابه آخرون وقد أضمروا الكفر وبعث إليهم الأنبياء والأوصياء فصدقهم بعض وكذبهم آخرون، ولا يجري ما هاهنا إلا على ما جرى به ما هنالك، إلى غير ذلك مما ذكروه، كان ذلك إثباتا لنشأة طبيعية قبل هذه النشأة الطبيعية في الدنيا نظير ما يثبته القائلون بالأدوار والأكوار، واحتاج إلى تقديم كينونة ذرية أخرى تتم بها الحجة على من هنالك من الإنسان، لأن عالم الذر على هذه الصفة لا يفارق هذا العالم الحيوي الذي نحن فيه الآن، فلو احتاج هذا الكون الدنيوي إلى تقديم إشهاد وتعريف حتى تحصل المعرفة وتتم الحجة لاحتاج إليه الكون الذري من غير فرق فارق البتة ... وأما هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني وهو الذي يفرق بين الآحاد، ويشتت الأحوال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان، وتطبيقها على مر الليالي والأيام، ويحجب الإنسان عن ربه بصرف وجهه إلى التمتعات المادية الأرضية، واللذائذ الحسية فهو متفرع على الوجه السابق متأخر عنه، وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرعها عليها موقعا كن ويكون في قوله تعالى: ﴿أن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ويتبين بذلك أن هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أخرى إنسانية هي هي بعينها غير أن الآحاد

موجودون فيها غير محجوبين عن ربهم يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا من طريق الاستدلال؛ بل لأنهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه ويعترفون به وبكل حق من قبله، وأما قذارة الشرك وألواث المعاصي فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة التي ليس فيها إلا فعله تعالى القائم به)[1].

إن قول السيد الطباطبائي في أن الحجية ليست العقل بل العقل العملي، أي ما توصل إليه العقل من التجارب وما يؤديه من أعمال، ذلك تتكون مرتكزات في الإنسان وهذه المرتكزات هي التي من خلالها يتبين الخير والشر، وأيضاً يتبين من خلال دفع الضرر وجلب المنفعة التي شخصها الإنسان من خلال تجاربه وما قام به من أعمال، فيقول أن النشأتين هي أي الأولى والآخرة هي نفسها أو بحسب قوله بعينها، لكن الفرق بينهما يكون الخلق في الأولى غير محجوبين عن مشاهدة وحدانية ربهم، ولكن هذه المشاهدة لا تكون إلا عن طريق مشاهدة أنفسهم، معللاً ذلك أن النشأة الأولى ماهي إلا نتاج فعله سبحانه وتعالى، أي لا يظهر فيه أي فعل لأي إنسان، أما هذه النشأة فتكون المعرفة عن طريق الاستدلال؛ لدخول أفعال الإنسان فيها ومنها ما لوث هذا العالم بالشرك والمعاصي، أي أن العالم الخلقي هذا له جهتان الأولى جهة المعرفة، حيث تتجلى المعرفة بالنفس بمباشرة من الخالق سبحانه وتعالى، والثانية يكون فيها للإنسان مدخلية في المعرفة ولا فصل بينهما واقعا.

هذا القول أيضا يثبت أن الإنسان في النشأة الأولى– والتي قصدها السيد الطباطبائي– يكون مقهوراً ومجبوراً وليس له الاختيار في الإجابة وهذا لا يسمى امتحاناً؛ لأنه عند الامتحان لابد أن يكون للإنسان فرصة للاختيار مع تعدد الخيارات أمامه، مع العلم أن الروايات أكدت على تصنيف الخلق على نتائج الامتحان الأول، فمن أين أتى هذا التصنيف إذا كان الإنسان مسلوب الاختيار بل ومقهور عليه؛ لأن الله أوجد في نفس الإنسان بصيغة أمرية ما كان يريد إمضاءه وهو الإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى.

إن القبلية الزمانية تصح في نفس العالم ولا يمكن أن نحمل القبلية الزمانية على عالم آخر؛ لأن القوانين تختلف في كلا العالمين، فالقبلية تصح إذا كانت وجودية؛ لأن عالم الأنفس هو غير عالم الأجسام وإن كان هناك اتحاد برزخي بينهما.

[1] . تفسير الميزان - الطباطبائي: ج٨ ص٣٠٥- ٣٣١.

وأما قوله" كان ذلك إثباتا لنشأة طبيعية قبل هذه النشأة الطبيعية في الدنيا نظير ما يثبته القائلون بالأدوار والأكوار" فهو دليل واضح على أنه لا يفرق بين نشأة سبقت هذه النشأة الطبيعية كما يسميها أي نشأة عالم الدنيا، ويعتبر نشأة الدنيا أو ولادة الإنسان في عالم الدنيا امتدادا طبيعيا لنشأته الأولى الطبيعية أيضا، باعتبار أن خلق الإنسان في هذا العالم يمر بمراحل لا تنفك عن جسمانية ومادية هذا العالم وطبيعته ، بيد أن حيثيات النشأة الأولى والتوصيفات القرآنية والروائية لها تثبت التباين والاختلاف بين طبيعة تلك النشأة– كونها عالم أنفس لم يتصل بأبدان مادية – أو عالم الذر وعالم الدنيا المادي الجسماني.

خلاصة ما وصل إليه السيد الطباطبائي فيما تقدم من قوله:

أنه ينفي الكلام عن نشأة حقيقية حصلت، بينما القرآن يصفها نشأة أولى باعتبار وجود نشأة أخرى وقد فصل بين النشأتين وحدثنا عن أحوال النشأة الأولى وبين لنا ببيان واضح، ثم وعظنا بتذكرها، وهو بذلك يلزمنا الحجة، فهذه النشأة التي ترك لنا آل محمد (ع) عنها الكثير من التوصيف والعبر وحقيقة التكليف فيها والتي تم بموجبها ترتب الخلق بين مؤمن وكافر وسعيد وشقي.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] فهو غير مقتنع بأن تلك النشأة هي كهذه النشأة من حيث لزوم وجود ما سيحتج به الله على الخلق الممتحن هناك، وإن كانت هذه اللوازم بما يناسب وجودها في ذلك العالم المختلف عن عالمنا، كوجود العقل وما يمكن اقتضاء وجوده لدواعي الإجابة عند السؤال، فهو لا يعتقد بوجود عالم قائم بذاته جرى فيه امتحان حقيقي لكل الخلق امتحنت فيه نفوسهم بكل ما سيمتحنون به هنا في عالم الدنيا من عقائد وتوحيد، فيقول:

(فإن هذا المعنى المستفاد من سائر الآيات والنشأة السابقة التي تثبته لا تفارق هذه النشأة الإنسانية الدنيوية زمانا، بل هي معها محيطة بها لكنها سابقة عليها السبق الذي في قوله تعالى كن فيكون، ولا يرد عليه شيء من المحاذير المذكورة)[2].

وهذا يعني بشكل أو بآخر عدم إيمانه بوجود عالم سبق عالمنا نسميه عالم الذر بإزاء ما نسمي عالمنا بعالم الدنيا، فكيف يصبغ الآية الكريمة بصبغة لا يستفاد منها ما يفصحه ظاهرها، حيث أن الأخذ "وإذ

[1] .الواقعة : ٦٢.
[2] . تفسير الميزان - السيد الطباطبائي: ج٨ ص٣٢١.

أخذ" تم في الماضي وهو يقول كن فيكون، وهذا ينصرف الى أمر ربما فات على السيد الطباطبائي وهو أن القبلية والبعدية إنما من سنخ المخلوق والعوالم المخلوقة، وعالم الذر منها، فمسألة كن فيكون تجري وفق القوانين التي تحكم العوالم المخلوقة، وإنما تجري حركة الوجود بأسبابها.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب...)[1] أما الله سبحانه فلا يجري عليه زمان ولا مكان فكيف يجري عليه ما هو أجراه؟!

والروايات عن آل محمد (ع) فصلت لنا كثيراً أحوال ذلك العالم والتي سيطول بنا المقام إن أردنا تناولها ولا أعتقد أن هذا المعنى يغيب عن الكثير فقد ورد في الزيارة لفاطمة (ع):

(السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك به صابرة)[2].

وهذا المقطع من زيارة فاطمة (ع) بحد ذاته صورة واضحة الملامح وبيان دقيق على الأقل بأن عالم النشأة الأولى عالم خلق وامتحان وإن كنا لانعرف ربما حيثيات عوالم أخرى وامتحان آخر وما جرى فيها لصفوة الخلق ومنهم فاطمة (ع) قبل نشأة عالم الذر والله أعلم ، ثم أن هناك نشأة أخرى أو خلق آخر جديد وامتحان آخر لم يدركه السيد الطباطبائي.

الشيخ ياسر عودة:

في محاضرة له تحت عنوان "خرافة عالم الذر المنسوبة إلى التشيع" يستنكر على من كتب وتكلم وروى أحاديث عالم الذر، فيقول من أين جاؤوا هؤلاء الفلاسفة والكتاب فتحدثوا لنا عن عالم – الألست: المستوحى من ألست بربكم– وعالم اللاهوت وغيرها، فهو ينكر كل شيء لم يره أو يسمع عنه كما يقول.

الشيخ ياسر عوده لم يكترث لعشرات الروايات المعتبرة التي نقلت عن أئمة أهل البيت (ع) بخصوص حقيقة وجود عالم الذر وما حصل فيه، والتي تتوافق مع القرآن في إثبات وجود هذا العالم وإن كنا نسيناه بسبب نزولنا إلى عالم الدنيا– والذي سيتبين لنا سبب نسيانه في قادم البحث إن شاء الله فيستهجن كون هذا الأمر بدأ يشيع بين الناس، فعالَم لم نسمع منه شيئاً ولم نتذكر منه شيئاً سيتعارض مع الآية "وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا" ، فيحتج ويقول كيف سيسألني الله أنك شهدت وأنا لم أسمع ولم أرى ويعضد ادعائه بحديث عن النبي (ص): (رفع عن أمتي فيما لا يعلمون والنسيان) يقول فهم غير مطالبين بشيء

[1] . بحار الأنوار- المجلسي: ج٢ص٩٠.
[2] . مفاتيح الجنان: ص٤٠٧ - ٤٠٨.

لا يعلموه، فلم نكن نعلم ولا حتى الأنبياء بهذا العالم وهذا قبيح على الله ومخالف للعدل الإلهي، فلا يحاسب الله على شيء لم ينبه عليه)[1].

فكيف لم ينبه عليه الله والآيات ناطقة بحصول هذا الأخذ للميثاق ولكي لا يسترسل الشيخ ياسر عودة ويحتج بالأنبياء كونهم لا يعلموه فالله يقول "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ولم نجد له عزما" فأين حصل هذا؟ وأي عهد لم يكن له العزم فيه وقوله تعالى "أفلا تتذكرون" يتذكرون ماذا إذا كان أمراً قد حصل قبل وجوده في هذا العالم، وهل تنبيه الله هذا الذي ينكره الشيخ ياسر ويقول لم ينبهنا الله عليه؟!

قال تعالى: "فذكر إنما أنت مذكر" فبماذا يذكر رسول الله (ص) وهل يذكر من يذكر إلا عن نسيان؟!

ثم إذا كان تصديقه بإخبار عن الله تعالى ذكره وعن آل محمد (ع) موقوف على علمه أو سماعه له أو رؤيته فهذا يستلزم منه أن يقدم دليلاً عن تصديقه بيوم القيامة والحساب؛ لأنه ليس له دليلا يماثل الدليل الذي يدعي فقدانه حول عالم الذر!

فالذي أخبرنا عن عالمي الذر والقيامة هو الله في كتابه الكريم واللذَين بينوا لنا ما جرى في عالم الذر وما سيجري في يوم القيامة هم آل محمد (ع) ، والأخبار مستفيضة عن هذه العوالم فهل يؤمن ببعض ويكفر ببعض؟ ثم ينتقل إلى موضع كان سبباً في توهم المفسرين، إذ يتبجح بالقول أن القرآن يفسر بعضه بعضا! فأين حديث الثقلين –كتاب الله وعترتي– ألم يختص القرآن وبيانه بمن خوطب به "لتبين للناس ما أنزل اليهم"، فيدعي الشيخ ياسر ويرى لنفسه الحق في تفسير القرآن، ثم يخرج بنتيجة أن القول بعالم الذر "مسخرة" ليضرب كل معقول ومنقول من الكتاب والعترة.

قال أمير المؤمنين (ع): (رحم الله امرء عرف قدره ولم يتعد طوره..)[2].

أبو عبد الله (ع): (وما إخال رجلا يرفع نفسه فوق قدرها إلا من خلل في عقله)[3].

---

[1] . ياسر عودة: متاح على https://www.youtube.com/watch?v=TXeFu_mY٩Nw

[2] . شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)- عبد الوهاب: ص٣٠. نشر وتصحيح وتعليق مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث سنه ١٣٩٠.

[3] . شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد: ج٧ ص١٠٨.

أخبار وتفسيرات اعتمدها علماء السنة في الإشهاد على الأنفس

لا يخفى على متتبع لنتاجات المفسرين من كل الطوائف أن الذي أدى إلى الاختلاف الواضح والعميق بين طوائف المسلمين ومذاهبهم هو إقحامهم أنفسهم في الدخول على خط الخطاب الإلهي، وبشكل أدق النصوص المقدسة للقرآن وإضفاء الشرعية لأنفسهم في تفسير النصوص وتقديمها كونها تمثل مراد الله سواءً صرحوا بها حرفيا ، أم أنهم قدموها كونهم معنيون بالتعامل مع النصوص ولابد من تقديم فهم لظاهرها ولا سبيل آخر للتعامل معها.

نحن بصدد تسليط الضوء على نص قرآني تشعبت في فهمه وتوظيفه عقول المفسرين وبالتالي خرجوا بنتائج متباينة ومتضاربة سواء على مستوى الطائفة الواحدة أو على مستوى الاختلاف بين طائفتين تصدى كبار علمائها لبيان مضامين آية الإشهاد وهم بشكل أوضح علماء السنة والشيعة.

سأتعرض إلى جانب من هذه الأحاديث التي انبرى من خلالها مفسرو السنة كما سيأتي .

نقلت الأحاديث وما فسر منها بحسب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: لما خلق الله آدم، أخذ ذريته من ظهره مثل الذر، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين: "ادخلوا الجنة بسلام"، وقال للآخرين: "ادخلوا النار ولا أبالي")[1].

وعنه، عن ابن عباس قال: (مسح الله ظهر آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة)[2].

عن جويبر قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم، ابن ستة أيام قال: فقال: (يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرز وجهه، وحل عنه عقده، فإن ابني مجلس ومسئول! ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت، قلت: يرحمك الله، عم يسأل ابنك؟ من يسأله إياه؟ قال: يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام، قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم؟ قال: حدثني ابن

[1] تفسير الطبري: ص٢٢٧.
[2] . نفس المصدر.

عباس أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وتكفل لهم بالأرزاق، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يفي به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة)[1].

عن ابن عباس، قوله: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: (إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه، حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة)[2].

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمر، قال: ثنا أسباط عن السدي بنحوه وزاد فيه بعد قوله: "وطائفة على وجه التقية" (فقال هو والملائكة: "شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم". فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول لأبنه: (إنا وجدنا آباءنا على أمة)، والأمة: الدين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾، وذلك حين يقول الله: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)، وذلك حين يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، وذلك حين يقول: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يعني يوم أخذ منهم الميثاق)[3].

عن محمد بن كعب القرظي في قوله: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: (أقرت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها)[4].

---

[1] . نفس المصدر السابق: ص٢٣١.
[2] . نفس المصدر: ص٢٣٧.
[3] . نفس المصدر.
[4] . نفس المصدر.

أقوال وتفاسير بعض علماء السنة

تفسير الطبري

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[1].

قال أبو جعفر: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به)[2].

أقول: الإشهاد في ظاهر الآية على الأقل يكون على الأنفس المنفردة؛ أي أن الله سبحانه يشهد كل نفس على ما أقرت عليه ولا علاقة بإشهاد بعضهم على بعض، ثم أورد رواية يبدو من ظاهرها خلطا بين إخراج الذرية من ظهر آدم (ع) وبين هبوطه إلى الأرض.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أول ما أهبط الله آدم، أهبطه بدهنا، أرض بالهند، فمسح الله ظهره، فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة، ثم أخذ عليهم الميثاق: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾)[3].

وهذا قول باطل؛ لأن الذر الذي أخذ عليه الميثاق في عالم غير هذا العالم بل وقبله وهو في السماء الأولى التي لا يشتمل عليها عالمنا الجسماني، وهو يقول بأرض في الهند والحديث الآخر في عرفة حيث أن نزول أدم(ع) متأخر عن امتحان الذر، وهذا يعني إنه لا يعرف أن هناك عالم قبل عالم الدنيا أخذ فيه العهد وهو عالم الذر.

الله سبحانه وتعالى عادل وحكيم فعندما امتحن الخلق أودع فيهم نفس الفطرة التي تمكنهم من الإجابة والنجاة فالذي أجاب ونجى وكان من أصحاب اليمين على حد ذكر الحديث، فهو كان مختارا في بادئ الأمر فسعى واجتهد، وأما الذين قال عنهم ادخلوا النار ولا أبالي فباختيارهم نكسوا فطرتهم وتمردوا عليها واستحقوا النار التي هي صورة اختيارهم، فهناك حلقات مفقودة غابت عن هؤلاء المفسرين فعدالة الله توجب أن من كان مصيره النار كان بعد أن أودع الله في فطرته ما يرشده للأيمان والتوحيد الحقيقي

---

[1]. الاعراف: ١٧٢.

[2]. جامع البيان في تأويل القرآن - الطبري ح١٥٣٤٠- تاريخ الطبري: ص١١٩. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

[3]. نفس المصدر: ص٢٢٥و ص٢٢٦.

فأبى، ومن كان مصيره الجنة فباختياره حيث أقر بالوحيد والإيمان بمن أوجب الله عليهم معرفتهم وطاعتهم وهم محمد وآل محمد (ع).

أما مسألة إقرار الأرواح قبل أجسادها فهو بحسب الحديث إقرار بالفصل بين الخلق في عالم الذر والامتحان فيه وبين عالم الأجساد أو العالم الجسماني – عالم الامتحان الثاني– فالقبلية في قوله (خلق الأرواح قبل الأجساد) تعني أن خلقها ووجودها سبق خلق الأجساد التي هو من لوازم العالم المادي أو عالم الدنيا، وهذا ما لم يدر في خلد الطبري أو غيره لغياب حقيقة عالم الذر كونه عالما مستقل سبق عالم الدنيا.

تفسير القرطبي

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

يقول القرطبي فيه ست مسائل:

اخترت ثلاث منها:

(الأولى: قوله تعالى وإذ أخذ ربك أي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر. وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها، فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض.

قالوا ومعنى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم دلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا. ألست بربكم أي قال. فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: قالتا أتينا طائعين ذهب إلى هذا القفال وأطنب.

وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها. واختلف في الموضع الذي أخذ فيه الميثاق حين أخرجوا على أربعة أقوال؛ فقال ابن عباس:

[1]. الأعراف : ١٧٢- ١٧٣.

ببطن نعمان، واد إلى جنب عرفة. وروي عنه أن ذلك برهبا– أرض بالهند– الذي هبط فيه آدم عليه السلام. وقال يحيى بن سلام قال ابن عباس في هذه الآية: أهبط الله آدم بالهند، ثم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال يحيى قال الحسن: ثم أعادهم في صلب آدم عليه السلام. وقال الكلبي: بين مكة والطائف. وقال السدي: في السماء الدنيا حين أهبط من الجنة إليها مسح على ظهره فأخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي. وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء وقال لهم ادخلوا النار ولا أبالي. قال ابن جريج: خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء، وكل نفس مخلوقة للنار سوداء.

الثانية: قال ابن العربي رحمه الله: (فإن قيل فكيف يجوز أن يعذب الخلق وهم لم يذنبوا، أو يعاقبهم على ما أراده منهم وكتبه عليهم وساقهم إليه، قلنا: ومن أين يمتنع ذلك، أعقلا أم شرعا؟ فإن قيل: لأن الرحيم الحكيم منا لا يجوز أن يفعل ذلك. قلنا: لأن فوقه آمرا يأمره وناهيا ينهاه، وربنا تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا يجوز أن يقاس الخلق بالخالق، ولا تحمل أفعال العباد على أفعال الإله، وبالحقيقة الأفعال كلها لله ﷻ، والخلق بأجمعهم له، صرفهم كيف شاء، وحكم بينهم بما أراد، وهذا الذي يجده الآدمي إنما تبعث عليه رقة الجبلة وشفقة الجنسية وحب الثناء والمدح; لما يتوقع في ذلك من الانتفاع، والباري تعالى متقدس عن ذلك كله، فلا يجوز أن يعتبر به)[1].

الثالثة: واختلف في هذه الآية، هل هي خاصة أو عامة. فقيل: الآية خاصة؛ لأنه تعالى قال: من بني آدم من ظهورهم فخرج من هذا الحديث من كان من ولد آدم لصلبه. وقال عز وجل أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل فخرج منها كل من لم يكن له آباء مشركون. وقيل: هي مخصوصة فيمن أخذ عليه العهد على ألسنة الأنبياء. وقيل: بل هي عامة لجميع الناس؛ لأن كل أحد يعلم أنه كان طفلا فغذي وربي، وأن له مدبرا وخالقا. فهذا معنى وأشهدهم على أنفسهم)[2].

---

[1] .نفس المصدر السابق: ص٢٨٣.

[2] . تفسير القرطبي : ج٧ ص٣١٣-٣١٨. الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - تفسير سورة الأعراف الآيات: ١٧٢- ١٧٤ ج٧ ص٣١٣-٣١٨. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

تعليق على ما تقدم

أوجزه بثلاث نقاط:

١- إن أقوال هؤلاء جميعاً لا تخرجهم من فهمهم بأن الميثاق إنما أخذ في هذا العالم الجسماني، ولو كان كذلك فسيتعارض مع الأحاديث التي أوردوها في تفاسيرهم بأن الله خلق الأرواح قبل الأجساد وعالم الأرواح ليس في هذا العالم.

٢- بقي ابن العربي خارج أسوار العلة ولم يعالج الإشكال من وجهته الصحيحة أبدا إنما تعلل بأمر أدخله في إشكال جديد وهو أنه رمى سبب تعذيب من يعذب ونعيم من ينعم في ساحة الله دون إرجاع ذلك إلى السبب الحقيقي وهو أن الخلق قد اختاروا بعد أن أودع الله سبحانه فيهم الفطرة وجعل فيهم ما يمكنهم من المعرفة وأعطاهم حق الاختيار، فإن تصور ابن عربي أنه ينزه الله ويعظم شأنه بعد أن ينسب اليه مآل المعذبين ابتداءً دون أن يكون لهؤلاء الخلق نصيب في تقرير مصيرهم باختيارهم فهو أبعد ما يكون عن ملامسة الحق، وطبعا إن كان لهذا التخبط والابتعاد عن جادة الصواب والفهم الحقيقي لمثل هذه الأمور العقائدية تعليلا فإنما يعزى لجرأتهم على الخوض فيما ليس لهم فيه؛ لأن مثل هكذا علوم تفرد بها أهلها ومن هم على بصيرة من الأمر وأطلعهم الله على حقيقة تلك العوالم التي حجب عنها غيرهم لغفلتهم، ثم أنهم لم يأخذوا العلوم من مصدرها ولم يقتفوا من الحقيقة آثارها.

٣- فقوله "فهذا معنى أشهدهم على أنفسهم" فقد جانب الصواب فيه؛ لأن الإشهاد هنا ليس حيثما ذهب إليه، وإنما كون الخلق في حال امتحانهم وعرضهم كانوا أنفساً في عالم الذر، فهو عالم أنفس؛ وأن الامتحان حصل في السماء الأولى.

وقوله: (ومعنى قالوا بلى أي إن ذلك واجب عليهم. فلما اعترف الخلق لله سبحانه بأنه الرب ثم ذهلوا عنه ذكرهم بأنبيائه وختم الذكر بأفضل أصفيائه لتقوم[١] حجته عليهم فقال له: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ثم مكنه من السيطرة، وأتاه السلطنة، ومكن له دينه في الأرض. قال الطرطوشي: (إن هذا العهد يلزم البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وقد نسيه)[٢].

---

[١]. نفس المصدر السابق: ص٢٨٤.

[٢] .الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - تفسير سورة الأعراف الآيات: ١٧٢- ١٧٤ ج٧ ص٣١٣-٣١٨. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

فهذا إقرار منه بأمرين:

الأول: هو أن هذا العهد ملزم للبشر، وأيضا هو إشارة إلى إقراره بنسيانهم لذلك العهد.

والثاني: يتضح من كلامه أنه يعتبر هذا العهد لم يؤخذ عليهم في هذه الحياة الدنيا، ولكن قد لا يعني أنه يفهمها أنها في عالم آخر كما نقول وإنما حصر مسألة عدم التذكر في الدنيا ولم يبين أن الإشهاد كان قبلها وفي عالم آخر.

تفسير السعدي

يقول تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ" أي: أخرج من أصلابهم، ذريتهم، وجعلهم يتناسلون، ويتوالدون، قرنا بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم " وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ[2]" أي: قررهم, بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم، من الإقرار, بأنه ربهم, وخالقهم, ومليكهم. وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم, حين استخرجهم من ظهره, وأشهدهم على أنفسهم, فشهدوا بذلك. فاحتج عليهم بما أمرهم به في ذلك الوقت، على ظلمهم، في كفرهم, وعنادهم في الدنيا والآخرة. ولكن ليس في الآية، ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى. والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي. فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟" ولهذا لما كان هذا أمرا واضحا جليا، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ) أي: نبينها ونوضحها، (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى ما أودع الله في فطرهم، وإلى ما عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح)[1].

فكل ما يعتقده السعدي هو أن الله أودع في فطرتهم هذا الإقرار ولم نعرف عنه شيء إلا في هذه الدنيا؛ لأنه متعلق بما يلمسه الخلق من الآثار لمحسوسة بوصفه "ليس له عين ولا أثر" ومن ثم عدم تذكرهم الذي يصفه بأنه ليس عندهم به خبر، فالأمر ليس كذلك لأن الآية الكريمة تحكم أن الإشهاد تم في الماضي فالأخذ حدث في وقت سابق على هذا الوجود وعلى جميع الخلق عندما قال أن تقولوا يوم القيامة، فهل هذا يشمل لمن لم يولد بعد؟ فإن قال يشمله فقد ناقض الآية باعتبار الخطاب فيها

الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

[1] . تفسير السعدي: ص٣٠٨ (المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م)

بالماضي، وإن قال لم يشمله فهل يعامل الله مجموعة من الخلق دون مجموعة أخرى؟! وهذا لا يجوز في عدل الله سبحانه.

الشيخ محمد متولي الشعراوي

يقول في مضمون حديثه عن الآية[1] إن بني آدم أو الذرية المذكورة في الآية هم مؤمنون بالفطرة ويسميها شهادة الفطرة، فهو يقول: الفطرة أنك تشهد لله بعد سؤاله لك ألست بربكم (أني إله) فيفهم من قوله أن خطاب الله سبحانه لبني أدم كونهم في هذه الدنيا فيقول فاشهدوا الآن قبل أن توجد أغيار الشهوات في وقت أو سن التكليف أو قبل تحرك شهواتهم في نطاق الاختيار فتغير فيكم.

فالحد الفاصل عند الشيخ الشعراوي بين الفطرة التي يصبغها بصبغة الإيمان وبين التكليف ، ويقول أن أعذار العاصين حسبما يسميهم تنحصر في أمرين هما الغفلة والتقليد، ويعزو الغفلة لقوله أن القضايا الإيمانية لم تكن في بؤرة الشعور والتقليد في كون تقليد اللاحق للسابق في هذا العالم كذلك، ويسوق تبريراته نيابة عن الخلق ويبرئ ذمتهم من أمر قاموا به في عالم قبل عالمهم هذا لم يتطرق إليه ولم يذكره لا تصريحاً ولا تلميحاً فيقول إن الله أخذ منهم الميثاق قبل سن التكليف لكي لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وهذا يعني أن عالم الذر عنده ليس بعالم تكليف.

أقول: فالشعراوي يتكلم عن حدث حصل في عالم قبل عالمنا هذا والأدلة أكثر من مستفيضة فيه ولكنه يقيد حصوله في عالم الدنيا أو عالم الأجسام.

ومما يثير الانتباه أن من يتكلمون عن عالم الذر والفطرة وسؤال الله للخلق وجوابهم، فهم يتكلمون بطريقة يغلب عليها الحكم العقلي الصرف المبني على قواعد عقلية وفهم ظاهري لآيات الكتاب لتعكس صورة مختلفة عن الحقيقة التي تبين أنها أحداث جرت في عالم ملكوتي وطبيعة الإشهاد للخلق، وكأن الله أوكل أمر توضيح ما جرى لهم وفق تصوراتهم وقصر نظرهم، فأفرغوا محتوى الآية المباركة عن الهدف والغاية من هذا الخلق والتكليف الذي أنيط بهم، فمرة يتكلمون عن فطرة أودعها الله فيهم دون أن يعرفوا ماذا تعني الفطرة ومرة يتكلمون عن التوحيد بطريقة توحي إلى أن الله امتحنهم كي يسألهم من الذي خلقكم وانتهى الأمر. ولم أجد أن أحداً منهم وبالخصوص مفسري السنة تكلم عن امتحانهم بالربوبية وأين

[1] . https://www.youtube.com/watch?v=EFNL‏WrDnA

حدود هذه الربوبية، والذي تحقق هو أن الله امتحن الخلق بالربوبية وأخذ منهم الميثاق على ولاية خلفاء الله في كل زمان وكان أولهم محمد (ص) وأمير المؤمنين والأئمة من بعده (ع) إلى يوم القيامة.

الدكتور زغلول النجار[1]

(في عالم الذر أشهد ربنا جميع بني آدم كما أشهد آدم وحواء (رضوان الله عليهما) بأنه لا إله إلا الله.... وأن الله أشهد هذا الخلق على وحدانيته وروبيته وألوهيته ... كل المخلوقات غير المكلفة تعبد ربها بالفطرة ؛ أي تعبد ربها عبادة فطرية وليست عبادة تكليفية....كل المخلوقات تعبد ربها بالفطرة والإنس والجن لديهم الإرادة فإذا عبدوه وافقوا الفطرة وإن لم يعبدوه فقد خالفوها ....لم يكن كافيا أن يعتذر الكافر بقوله إني وجدت آبائي على هذه الملة؛ لأن الله وهب كلا منا عقلا راجحا ولو اعتدل الإنسان لوصل إلى الفطرة التي فطرنه الله عليها ..).

أما قوله أن العبادة لكل المخلوقات غير المكلفة هي عبادة فطرية وليست تكليفية ، لا أدري إن كان يعني ما يقول كونها فطرية ويفهم أن الفطرة لا تنفك عن متعلقها بالتكليف؛ لأنها إنما أودعت في نفوس الخلق لغاية التكليف وأن الذي حصل هو عبادة في عالم النفوس ترتب عليها نجاح مجموعة من الخلق وفشل أخرى، فهو بالنتيجة جهل بمعنى الفطرة ومقتضاها. على أي حال فهو يقر بوجود امتحان حصل في عالم قبل عالمنا هذا وأن الخلق كانوا مختارين فمن آمن هناك كان إيمانه هنا ومن لوث فطرته وزاغ عن مقتضى الإيمان لم يؤمن في عالم التكليف الثاني.

خلاصة ما أشارت إليه الروايات في امتحان الذر

إن الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال كن ماء عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثم أخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فإذا هم كالذر يدبون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي، فجرت الحكمة أن ترك الله الاختيار ولعلة الاختيار خلق الخلق لتجري سنته فيهم فأخذ العهد والميثاق من جميع الخلق.

[1] . متاح على https://www.youtube.com/watch?v=sZtE-hBtCqY

فأخذ الله ميثاقه من الخلق بقوله ألست بربكم قالوا بلى وكانت الإجابات كل بحسبه أو بحسب ما به من نور وظلمة وكان الامتحان لكل الخلق بما فيهم الأنبياء والمرسلين والأوصياء(ع) فمن هنا تدرجت مراتب الإجابة ابتداء من أول وأسرع مجيب لنداء الله وهو سيد الخلق وأقربهم له سبحانه وهو محمد (ص) والقول بأنه أول وأسرع من أجاب بقوله بلى فهو حقا سباق الخلائق والأقرب فالأقرب وكل بحسبه أي كل بحسب إخلاصه ومن هنا كانت المفاضلة وتدرجت مراتبهم (ع) ومراتب الخلق بلحاظ أن ما صدر عنهم في عالم الدنيا أو الامتحان الثاني هو عين النتيجة التي صدرت في الامتحان الأول.

السيد أحمد الحسن:

(إن إعطاء الفرصة حقيقي وليس وهمياً، فالله سبحانه قد أعطى للخلق فرصة حقيقية لتغيير النتيجة إن كانت سيئة في عالم الذر، ولكن لأن حقائقهم منكرة وخبيثة تكرر نفس النتيجة، أي أنّ الحكمة هي أن الله كريم رؤف رحيم، وهذه الفرصة الأخرى هي ظهور لفضله ولكرمه ورحمته سبحانه، إضافة إلى ما بينه الإمام الصادق (عليه السلام) في أن انزال الأرواح في هذا العالم الجسماني الضيق هو ليظهر لها ضعفها من خلال ضيقه وقيوده، وإضافة إلى ما بيّنته من علة الرجعة، وأيضا هناك علة بيّنها الله سبحانه وتعالى هي أيضاً متعلقة برحمته وكرمه ، وهي أنه يعلم أنهم سيطلبون فرصة ثانية وبالتالي قدّم لهم هذه الفرصة قبل أنْ يطلبوها، فمع هذا التكرار وهذا الكرم منه سبحانه تجدهم يطلبون في الأخرة أنْ يعاد امتحانهم، ويطلبون فرصة أخرى غير الفرص التي منحت لهم سابقاً قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1])[2].

وكذلك أكد السيد أحمد الحسن في سؤال وجه إليه فيما إذا كانت هناك فرصة للتصحيح أو التوبة والتعويض عن الفشل في الامتحان الأول وتغيير النتيجة في هذا العالم الجسماني الذي نحن فيه.

(ليس لأن الناس مجبورون على تحقيق نفس النتيجة، وإنما هم يعيدون نفس التقصير)[3].

ولذلك عندما نتكلم عن عدل الله سبحانه نجد هذه الصورة متجسدة في هذا المعنى؛ لأنه كما يقول المعصوم أن الخلق إما سعيد أو شقي، فليس سوى أن يكشف لهم عن اختيارهم، فالإنسان هو من يصنع جنته أو ناره التي يدخلها بعد أن يختار أحد السبيلين (إما شاكرا أو كفورا)، والمسألة مسألة خيار، فالله

---

[1] . غافر : ١١.
[2] . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٢٤٤.
[3] . الجواب المنير - السيد أحمد الحسن: ج٥س٤٧٤.

سبحانه خلى بين العبد واختياره، والقرآن أرسى دعائم هذا الفهم الواضح ومن ثم آل محمد (ع) واليوم يبينه حجة من حجج الله وهو السيد أحمد الحسن حيث أن كلامه وتفسيره وتقريره يصلنا دون أن يعبث به المفسرون والمحرفون والمتأولون كما تعرضت روايات آل محمد عبر تأريخ تعرض به تراث آل محمد (ع) للعبث والظلم والتهميش.

الفطرة وعالم الذر

إن الله سبحانه وتعالى أودع الفطرة في نفوس الخلق، وهي القدرة والإمكانية أو القابلية لأن تنعكس أسماء الله أو صورة الله فيها فتكون مظهرة لها وكل بحسب صفاء مرآته أو خلو صفحة وجوده من الأنا أو الظلمة وهي شائبة الوجود أو العدم التي تعكس ما تكرسه النفس من الأنا وإعراضها عنه سبحانه أو غفلتها عنه (هو).

فعالم الذر هو العالم الأول الذي امتحنت فيه الخلائق وكما تبين من خلال الآيات القرآنية والروايات إنه بداية خلق الإنسان وأن الفطرة هي أول ما يفطر عليه الإنسان في بداية خلقه بغض النظر عن اختلاف المفسرين في كيفية ذلك وما تعنيه الفطرة وكيف تم توجيهها، إلا أنهم متفقين على أنها في مبتدأ الخلق، فصار لا بد من التعريج عليها لتداخلها مع مفهوم امتحان الذر وعلاقتها به.

١. الفطرة في اللغة

جاء في اللسان: فَطَرَ الشيء يَفْطُرُه فَطْرًا فانْفَطَر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أدري ما (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرت البئر، فهي بئري، يعني: أنا بدأتها)[١].

وفَطَّره: شقه، وتَفَطَّر الشيء: تشقق، والفَطْر: الشق، وجمعه فُطُور. وفي التنزيل العزيز: ﴿هل ترى من فطور﴾[٢].

---

[١] . تفسير ابن كثير: ج٦ ص٥٣٢(دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ ١٤١٩ه)، الإمام الصادق (ع) - في الدعاء -: (يا من هو كل يوم في شأن، كما كما كان من شأنك أن تفضلت علي بأن جعلتني من أهل إجابتك وأهل دينك وأهل دعوتك، ووفقتني لذلك في مبتدأ خلقي تفضلا منك وكرما وجودا، ثم أردفت الفضل فضلا، والجود جودا، والكرم كرما، رأفة منك ورحمة) ميزان الحكمة - الريشهري - ج٥ ص١١٠. تحقيق: مركز بحوث دار الحديث - قم:

[٢] . الملك : ٣.

وأصل الفَطْر: الشق، ومنه قوله- تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[1]؛ أي: انشقت. وفي الحديث: "قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- حتى تَفَطَّرت قدماه؛ أي: انشقتا. يقال: تَفَطَّرت وانْفَطَرت بمعنى. وفي التنزيل العزيز: ﴿السماء منفطر به﴾[2]، كما قالوا: سيف فطار: فيه صدوع وشقوق. قال عنترة:

وَسَيْفِي كالعَقِيقَةِ وَهْوَ كِمْعِي سِلاَحِي لاَ أَفَلَّ ولا فُطَارَا[3]

وفطرت الناقة: أفطرها فطرا؛ أي: حلبتها بأطراف الأصابع.

وفطر ناب البعير: طلع.

وفطر الله الخلق؛ أي: خلقهم وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السموات والأرض.

والفطرة: التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته، ومنه حديث: (كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[4].

٢. الفطرة اصطلاحا

الفِطرةُ اصطلاحًا: هي الطَّبع السَّويُّ، والجِبلَّة المُستقيمةُ التي خُلِقَ النَّاسُ عليها، وقيل: هي سُنَنُ الأنبياءِ[5]. الفطرة هي دين الإسلام.

٣. الفطرة عند مفسري السنة

الطبري في تفسيره:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[6].

يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، (حَنِيفًا) يقول: مستقيما لدينه وطاعته "فِطرةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها

---

[1] . الانفطار : ١.
[2] . المزمل : ١٨.
[3] . اللسان (٥/٥٥).
[4] . العين (٧/٤١٨،٤١٧)، وقال في المغرب (ص: ٣٦٣): "(الفَطْر): إيجاد الشيء ابتداء وابتداعًا. ويقال: فطر الله الخلق فطرًا: إذا ابتدعهم. و(الفطرة): الخلقة، وهي من الفطر، كالْخِلْقَة من الخلق في أنها اسم للحالة، ثم إنها جعلت اسمًا للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص.
[5] . الموسوعة الفقهية- الدرر السنية.
[6] . الروم : ٣٠.

ونصبت " فطرة " على المصدر من معنى قوله: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفًا" وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

لا خلاف أن الفطرة صنعة الله التي خلق الناس عليها وهي الإسلام، ولكن لم يخرج هذا الفهم عن ظاهر لها لا يوصلنا إلى حقيقة الفطرة وعلاقتها بعدالة الله واختيار الخلق.

ذكر من قال ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال: الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا، يقرّون بذلك، وقرأ: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا قال: فهذا قول الله: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ.

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فِطْرَةَ اللهِ) قال: الإسلام)[١].

ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٢]، وفي الحديث: (إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم). وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية. وقوله: "لا تبديل لخلق الله" قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: (ومن دخله كان آمنا)[٣]، وهذا معنى حسن صحيح.

وقال البخاري: قوله: (لا تبديل لخلق الله): لدين الله، خلق الأولين: [دين الأولين]، والدين والفطرة: الإسلام)[٤].

فالفطرة لا تعني نتائج إيجابية مسبقة بنيت عليها عواقب الخلق، وأنها إقرار من جميع الخلق على نحو يرضاه الله على كل حال، إنما هي القابلية والاستعداد والإمكانية التي زود الله بها أنفس الخلق قبل

---

١ . https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura٣٠-aya٣٠.html.
٢ . الأعراف : ١٧٢.
٣ . ال عمران : ٩٧.
٤ . http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura٣٠-aya٣٠.html

امتحانهم بمعرفته سبحانه وتوحيده وبكل ما ينضوي تحتها وما ينطوي عليها من عقائد حقة من شأنها أن توصل الأنسان إلى ما يريده الله و يرضاه وترك الاختيار له.

فالفائدة من معرفة معنى الفطرة هي معرفة حقيقة ايداعها في نفوس الخلق وعلاقة ذلك بالتوحيد أو الإسلام كما تشير إليه تصريحات علماء السنة بمعناها الإجمالي الذي لم يترتب عليه علة وجودها والنتائج المترتبة على الاختيار بواسطتها.

٤. الفطرة في روايات الشيعة

- **الفطرة تعني التوحيد**

سأل هشام بن سالم الإمام الصادق جعفر بن محمد (ع) عن معنى الفطرة فقال(ع): التوحيد)[١].

ما رواه زرارة عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) حينما سأله قائلا: أصلحك الله، قول الله عز وجل في كتابه: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) فقال الإمام مجيباً:

(فطرهم على التوحيد[٢] عند الميثاق على معرفته أنه ربهم)[٣].

- **الفطرة تعني المعرفة**

عن زرارة أيضاً عن أبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر (ع) قال سألته عن قول الله عز وجل: (حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ) وعن الحنيفية، فقال الإمام (ع):«هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله ».ثم قال:« فطرهم الله على المعرفة»[٤].

وقد أوضح الإمام الباقر المقصود بهذه المعرفة في رواية أُخرى رواها زرارة عنه أيضاً لمّا سأله عن نفس الآية فقال (عليه السلام):«فطرهم على معرفة أنّه ربهم، ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ومن رازقهم»[٥].

---

[١] . الكافي - الكليني: ج٢ ص١٢.
[٢] . التاج الجامع للأصول: ج٤ ص١٨٠، تفسير البرهان - البحراني: ج٣ ص٢٦١.
[٣] . راجع تفسير البرهان - البحراني: ج٣ص٢٦١ - ٢٦٣ ، التوحيد - الصدوق: ص ٣٢٨ - ٣٣١.
[٤] . المصدر السابق.
[٥] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٦٤ ص١٣٤.

- **الفطرة تعني الإسلام**

عن عبد الله بن سنان، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) لما سأله عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١] ما تلك الفطرة؟ قال الإمام: (هي الإسلام).

إن تفسير الدين المفطور عليه، في هذه الأحاديث بالتوحيد لا يدل على اختصاص الدين في الآية بالتوحيد خاصة بل أن ذكر التوحيد إنما هو من باب ذكر أظهر المصاديق وأجلاها.

ثم أوضح الإمام نفسه في رواية أخرى عن عبد الله بن سنان أيضا المقصود بالإسلام وأنه هو التوحيد ومعرفة الله حيث قال (ع):(هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد)[٢].

عبد الله بن سنان يقول سألت أبا عبد الله الصادق (ع)، عما هو المقصود من الفطرة؟ فقال: (هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ألست بربكم وفيه المؤمن والكافر).

سأل محمد بن حكيم الإمام الصادق (ع) عن المعرفة من صنع من هي؟ فقال (ع): (من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع)[٣].

سأل أبو بصير الإمام الصادق (ع) فقال: (نعم وليس للعباد فيها صنع)[٤].

ولقد تعرض الإمام علي (ع) إلى هذا المطلب «أي فطرية الاعتقاد بالله» في ذكر الأنبياء وأرسالهم لإثارة دفائن العقول، أي لإحياء ما هو مرتكز في عقول البشر وما هو كامن في حنايا فطرتهم من الاعتراف بوجود الله والإذعان بإلهيته ، فقال(ع):

(فبعث الله فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول)[٥].

مع ملاحظة هذا الكلام العلوي يمكننا القول بأن المقصود من قول الله تعالى: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" في حق الرسول الأعظم (ص) هو: أن يذكّر الرسول الأكرم الناس بما هو كامن ومودوع أساسا في فطرتهم ، أو أن هذا هو أحد أبعاد الآية ومعانيها على الأقل.

---

[١] . الروم : ٣٠.
[٢] . التوحيد - للشيخ الصدوق: ص٣٢٩.
[٣] . أُصول الكافي: ج١ ص٨٥، ٩٣، ١٦٥.
[٤] . نفس المصدر : ج١ ص١٦٣.
[٥] . نهج البلاغة : الخطبة الاولى .

في تفسير العياشي:

عن الأصبغ بن نباته– هل كلم الله أحدا من ولد ادم قبل موسى عليه السلام فقال:(قد كلم الله جميع ولد آدم فردوا عليه الجواب وذكر الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم ....) فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب قالوا بلى فقال إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم.. وقال وميز الرسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك بالميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

ثم دعوهم إلى ولايتنا وهو قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[2].

وقد ورد في الخطبة الأولى لنهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) حديث موجز العبارة غزير المعنى، إذ يقول (ع)" فبعث فيهم رسوله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول".

توضيح:

إن غاية ما حصل في عالم النشأة الأولى أو الذر الأول هو فطرة الخلق على التوحيد ؛ أي أن الله سبحانه أودع في النفوس القدرة والإمكانية على أن تنعكس فيها أسماؤه سبحانه فيوحدوه ويعرفوه ويسلموا له بطاعة خلفاءه المعرفين به والسير معهم والتسليم لهم، وطبعا كما ذكرنا عندما عرضنا بعض روايات أهل البيت (ع) أن أول من نطق عندما قال الله سبحانه من ربكم؟ رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والأئمة (ع) عندما كان السؤال لكل الخلق ثم قال لبني آدم اقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة – وهذا العنوان تم تصريفه واستهلاكه وفق مفهوم الفطرة على التوحيد وتمت المعرفة من جميع الخلق على ما فطروا عليه، فصارت الفطرة حاكية عن حال ما أودع في النفوس من المعرفة المنطوية في وجودهم ولكن طرأ عليها النسيان وهو مصداق ما أشار اليه الإمام الصادق (ع) حيث قال: "ثبتت المعرفة ونسوا الموقف" فهو من جهة تصريح بثبوت المعرفة حيث تحدد على ضوئها ما كان من حال إجاباتهم هناك، ومن جهة أخرى يؤكد الإمام الصادق (ع) إنه كان موقفا وكان حضورا لتلك النفوس وعرضا لها على خلاف من أراد أن يسوق[3] حال العرض والموقف وأخذ العهد والميثاق كان ليس على

---

[1] . الاحزاب : ٧.
[2] . يونس : ٧٤.
[3] .متاح عللى http://www.alukah.net/sharia/٠٣٢/٣٨٠٣٢/#ixzzQTLaYZlT٤

سبيل المشاهدة والمعاينة والحضور وإنما هي سجايا ومكنونات احتفظت فيها النفوس بطبيعة الخلقة حيث أودعها الله ولا يفصح عنها شيء مما ذكر من شخوص الموقف إلا أن يكون ذلك في ترجمتها بعد وجودهم في هذا العالم وفق ما تمليه عليهم الأحداث والميول والتأثيرات.

وهنا يشير أمير المؤمنين في خطبة له ذكرت في نهج البلاغة إذ يقول (ع): "فبعث فيهم رسوله، وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول".

فكم آية في كتاب الله تحدثنا عن الذكرى والتذكر والتذكير "فذكر إنما أنت مذكر"، ويأتي هذا التذكير مؤكدا ثبوت وجود عالم قبل عالمنا وهو الذر ومن ثم التذكير على العهد والميثاق الذي أخذ هناك.

الهدف من فطرة المعرفة المودعة في النفوس

كل ما ذكرناه واستعرضناه في أقوال الفطرة سواءً على مستوى قول المعصوم أو أقوال المفسرين الذين تصدوا لبيان الميثاق وما اكتنفه من مفاهيم وتصورات فهو يبقى في حدود تأطرها على مستويين:

١- بالنسبة لما ورد من إجابات للمعصومين (ع) فلا يخفى على المتتبع أنهم يحدثون الناس على قدر عقولهم: (أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم)[١].

وكذلك حقيقة أن ليس كل ما يعرف يقال (ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله)[٢]، فكانت إجاباتهم (ع) تتوافق مع ما يفهمه ويتحمله السائل ولذلك ربما لم يصل التفصيل في معنى الآية موضع البحث "فطرة الله التي فطر الناس عليها" بل جاء على وجه الإجمال.

٢- أما الذين تبرعوا في تفسير الآية وتبيان مدلولاتها فهي وفق ما جادت به عقولهم القاصرة فأدلوا دلوهم والطوى بعيدة المنال، فكان قصورهم وتقصيرهم منشأ الإبهام والغموض إن لم نقل الزيغ والشطط الذي ألمّ بطروحاتهم المبتورة والناقصة والتجني على النصوص التي لا يمسها إلا المطهرون (ع).

---

[١] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٢٥ ص٣٨٤.
[٢] . نفس المصدر: ج٥٣ ص١١٥.

فعندما خلق الله الخلق فلعلة خلقهم كما يشير الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[١] والحديث في هذا المقام يطول تكفينا منه الاشارة الى أن الله سبحانه لديه مشروع معرفي لابد أن يأخذ طريقه في الخلق ومتعلق أصل هذا المشروع هو في مبتدأ الخلق وفي ما أودعه في فطرتهم.

يقول السيد أحمد الحسن: (الإنسان هو تجلي اللاهوت سبحانه في عالم الخلق، ففطرة الأنسان تؤهله لأن يكون الله في الخلق، أي صورة الله أو وجه الله أو يد الله)[٢].

عن أبي الصلت الهروي، عن الأمام الرضا (ع) قال: (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم): من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى، ودرجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى. قال فقلت له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت، من وصف الله تعالى بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته[٣]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٤] وقال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٥]..... وسعي الإنسان لمعرفة نفسه يمر في كل حركة بمعرفة الرب بمرتبة ما ومن ثم التخلق بأخلاق الرب سبحانه والتحلي بصفاته حتى يصل الأنسان– إن كان مخلصا متجردا عن الأنا – إلى أن يكون الله في الخلق، أي صورة اللاهوت ووجه اللاهوت، وفي هذه المرحلة وهذا المقام سيكون الأنسان عارفا بنفسه، ومعرفته بنفسه هي معرفته بربه؛ لأنه وجه الله، والرب يعرف بوجهه الذي يواجه به، وكل إنسان يسير إلى الله بإخلاص يكون وجه الله بمرتبة ما بحسب سعيه وإخلاصه، أي إنه يكون وجه الله بحسب ما تحمل نفسه من صفات الله كما وكيفا وبالتالي فوجه الله في الخلق ليس مرتبة واحدة، فمحمد صلى الله عليه واله وسلم وجه الله، وعلي عليه السلام وجه الله، وفاطمة عليها السلام وجه الله، والحسن وجه الله، والحسين وجه الله، والأئمة عليهم السلام وجه الله، والمهديون وجه الله، والأنبياء والرسل عليهم السلام وجه الله، وسلمان الفارسي وجه الله، ولكن كل منهم بحسبه. فوجه الله الحقيقي في الخلق

---

[١] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٨٤ ص٣٤٤, تفسير القرآن - السيد مصطفى الخميني: ج٤ ص٣٨٥.
[٢] . الجواب المنير عبر الأثير- السيد أحمد الحسن: ج٤ س٣٢٣
[٣] . التوحيد - الصدوق: ص١١٧.
[٤] . الرحمن : ٢٦- ٢٧.
[٥] . القصص : ٨٨.

هو محمد (ص) وبالتالي ستكون معرفته بربه سبحانه هي الأكمل في الخلق؛ لأنها عبارة عن معرفته بنفسه، ولا أحد من الخلق أعرف منه (ص) بنفسه التي عكست صورة اللاهوت بالصورة الأكمل في الخلق وكانت هي الأكمل في الخلق. ولو فرضنا أن النفس الإنسانية مرآة ومودعة فيها القدرة على عكس صورة اللاهوت فإن صورة اللاهوت في هذه المرآة ستكون أكمل وأوضح بقدر توجيه هذه المرآة إلى اللاهوت، فمن يوجهها بشكل كلي سيعكس صورة كاملة للاهوت، ومن يقصر في التوجيه الكلي لمرآته سيكون هناك قصور في صورة اللاهوت المنعكسة في مرآة وجوده بقدر تقصيره. ومعرفته للاهوت ولربه ستكون بقدر تلك الصورة المنعكسة في مرآة وجوده وبالتالي فمن يعرف حقيقة نفسه بالفعل، وأؤكد بالفعل– فليست المسألة معرفة الفاظ أو معاني– سيكون قد عرف ربه بقدر معرفته بنفسه)[1].

وهنا إشارة أخرى إلى شيء من هذا المعنى يوضحه السيد أحمد الحسن:

(فالذات الإلهية تجلت وظهرت للخلق في الإنسان الكامل، كما ورد في الحديث ما معناه: (خلق الله آدم على صورته)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾[2]، والتعليم هنا يتجاوز اللفظ والمعنى إلى شيء من الحقيقة الخارجية والتأثير. والأسماء هي أسماؤه الذاتية: .. الله، الرحمن، الرحيم، العليم، العزيز، الحكيم، ... الخ. والفعلية الخالق: البارئ، المصور، الرازق .. الخ. وما يتعلق بها من ظهور وتجلي؛ سواء في أعلى الساحات النورانية القدسية، كالأنبياء والأئمة والصالحين والملائكة، أو في أدنى الظلمات المادية، كالبساط الذي تجلس عليه، كما ورد في الحديث عن الإمام المعصوم (ع). وهذا العلم كان سبب أفضلية آدم على الملائكة، فوعاء الإنسان الفطري كبير، وسعة الأفق الذي يمكن أن ينظر فيه عظيم. وليس للملائكة الكرام إلا الشيء اليسير من هذه القدرة التي أودعها الله في الإنسان الفطري وائتمنه عليها؛ لهذا أمروا بالسجود له والخضوع بين يديه، إذا أطاع الله وذلك؛ لأنه انطوى على معرفة الله سبحانه وتعالى، وأصبح تجلياً وظهورا لأسمائه سبحانه وتعالى)[3])[4].

---

[1]. الجواب المنير - السيد أحمد الحسن: ص٦٤- ٦٦.

[2]. البقرة : ٣١.

[3]. شيء من تفسير سورة الفاتحة - السيد أحمد الحسن.

٤. وفي الرواية عن الإمام الرضا(ع) عن آبائه(ع)، عن أمير المؤمنين(ع)، قال: قال رسول الله(ص): (ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه مني، قال علي(ع): فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل (ع)؟ فقال: يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وأنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله تقديسه؛ لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبحنا؛ لتعلم الملائكة إنّا خلق مخلوقون، وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا. فلّما شاهدوا عظم شأننا، هللنا؛ لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله، وإنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن تُعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلاّ الله. فلما شاهدوا كبر محلّنا، كبرنا؛ لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلاّ به. فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّ والقوّة، قلنا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله؛ لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوّة إلاّ بالله. فلما شاهدوا

ولكي تكتمل الصورة ونصل إلى مكمن السر في مسألة الفطرة التي أثبتنا فيها من خلال ما تقدم بأنها فطرة المعرفة والتوحيد التي أودعها الله في صفحات وجود الخلق ؛ أي إن الإنسان مفطور على التحلي بأسماء الله سبحانه، حتى يصبح هو وجه الله سبحانه في خلقه، وأسماءه الحسنى في الخلق ومقدار ما يتحقق منها هو مقدار توجه كل إنسان إلى ربه أو الى اللاهوت فيعرف نفسه، وبمقدار ذلك التوجه والمعرفة يعرف ربه (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

فالنفس الإنسانية الأولى كما يقول السيد أحمد الحسن[1] تكونت من رفع طينة آدم (ع) إلى سماء الذر وبثت فيها روح الأيمان وروح القدس فأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود له، أم النفس الانسانية

ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله؛ لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله. فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده. ثم إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له؛ تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجل عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة؛ لكوننا في صلبه. فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون. وإنّه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثنىً مثنى، وأقام مثنىً مثنى، ثم قال لي: تقدّم يا محمد، فقلت له: يا جبرائيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم؛ لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصّة. فتقدّمت فصليت بهم ولا فخر. فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرائيل: تقدّم يا محمد، وتخلّف عنّي، فقلت: يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمد إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي؛ بتعدي حدود ربي ﷻ، فزجّ بي في النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه، فنوديت يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت عبدي، وأنا ربك، فإياي فأعبد وعلي فتوكل، فأنّك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجتي على بريتي، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي. فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثنا عشر نوراً، في كل نور سطر أخضر عليه أسم وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب(ع) وآخرهم مهدي أمتي (ع)، فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأصفيائي، وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك، وخير خلقي بعدك. وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدنه بملائكتي، حتى تعلو دعوتي، ويجتمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمنّ ملكه ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة) [علل الشرائع: ج١ ص٥]، عنه [بحار الأنوار- المجلسي: ج١٨ص٣٤٥].

وعن الصادق (ع)، قال: (كان جبرائيل إذا أتى النبي (ص) قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذن) .[علل الشرائع - الصدوق: ج١ص٧]، عنه[بحار الأنوار - المجلسي : ج١٨ص٢٥٦].

[1] .يقول السيد أحمد الحسن في معرض حديثه عن خلق النفس الإنسانية: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة - الآية: ٧]. رفعت طينة آدم من الأرض إلى السماء الأولى(عالم الذر)(الرفع هو العودة خطوة أو أكثر باتجاه المبدأ أو المصدر) ثم بثت روح الأيمان فيه فتكونت النفس الإنسانية الأولى، ثم بثت روح القدس فيه وأمر الملائكة بالسجود له، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر - الآية : ٢٩].

وهكذا تكونت النفس الإنسانية الأولى من طينة آدم المرفوعة والروح التي بثت فيها، ثم أخذت من هذه النفس الإنسانية الأولى نفس أخرى شقت منها بقدرة الله سبحانه، وهذه هي النفس الإنسانية الثانية أو نفس حواء (عليها السلام) زوج آدم (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء - الآية: ١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الاعراف - الآية : ١٨٩].

ثم أخرجت أنفس الذرية من أنفس آدم وذريته وامتحنهم الله في ذلك العالم، وكان هذا هو الامتحان الأول الذي سبق الامتحان في هذا العالم الجسماني: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[الاعراف - الآية : ١٧٢].

وبهذا أصبحت كل أنفس بني آدم مركبة من الطينة المرفوعة وتجلي لروح الإيمان وروح القدس ،وبهذا فيكون كل إنسان مفطور على أن يصل إلى أعلى المراتب ومفطور أن يكون من الملأ الأعلى، ومفطور على معرفة الله، بل ولديه الآلة التي يرتقي بها وهي صورة روح الأيمان وروح القدس، فالمفروض إنه من الصورة المودعة فيه يعرف حقيقته ويصير إليها، ولكن للأسف بعض بني آدم بدل أن ينتفع من هذه الصورة المنعكسة في مرآته، يقوم بطمسها ويزري بنفسه إلى أن لا يبقى فيه غير بهيمة الجسم التي يشاركه فيه البهائم والقردة والخنازير، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان – الآية :٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[المائدة - الآية: ٦](انتهى)[عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٢٥٥-٢٥٦].

الثانية وهي نفس حواء (ع) فاشتقت أو خلقت من نفس آدم (ع) ثم أخرجت أنفس الذرية من أنفس آدم وذريته وامتحنهم الله في ذلك العالم.

يتبين من خلال توضيح السيد أحمد الحسن، بأن شرف الأنسان واعتبار وجوده هو ليس لهذا البدن الطيني الكثيف الذي كان سبب حجب الحقائق والعلوم الربانية المفاضة على جميع الخلق، إلا أن الإنسان هو من يكون مانعا لاستقبال هذا الفيض لتكاسله وقبوله ببهيميته التي من شأنها الانشغال بتدبير هذا الجسد المادي الذي لا يساوي سوى العدم، أو أن الوجودات أعدام لها القابلية على الوجود، وأنها تحمل عدمها معها[1]، فاذا كانت قيمة لوجودنا ومآلنا فهو بروح الإيمان وروح القدس التي اقترنت بالمستأهلين لها محمد وآله والأنبياء والمرسلين (ع) وكل بحسبه، فالفائدة كبيرة وعظيمة من هذه الجواهر المحمدية ونحن نسير خلال هذا البحث برفقة عالم من علماء آل محمد (ع) ذخر الله له حروف العلم ليبثها بين الناس فيستفيد منها من لم يضيع حظه مرة أخرى في هذا العالم والملتفت لصوت المذكر الرحيم والراعي الصالح.

وهنا لابد من التأكيد على أن فرصة الارتقاء والمعرفة إلى أعلى مراتبها قد منحت لجميع الخلق دون استثناء أو مفاضلة؛ لأنها من الحكيم العادل، حيث أودع الله سبحانه وتعالى هذه الإمكانية والقابلية لكل النفوس ، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وكل قد أخذ نصيبه منها بقدر إخلاصه وتوجهه لربه وبمقدار انشغاله بالله دون انشغاله بنفسه.

فالفطرة غرزت في نفس الإنسان من أول خلقه في النشأة الأولى أو عالم الذر[2].

وكلام السيد أحمد الحسن(ع) طبقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3] فهو إثبات لنشأة الإنسان قبل هذه النشأة الدنيوية، أما مسألة النسيان كذلك واضحة من ظاهر الآية "فلولا تذكرون" وهي إشارة إلى أمر منسي.

---

[1] . أنظر كتاب وهم الإلحاد للسيد أحمد الحسن: ص٥٥٩.

[2] .(النشأة الأولى: هي عالم الذر، وفيها الامتحان الأول، وقد أحاط بها بنو آدم علما، ولكنهم لما جاءوا إلى هذا العالم حجبتهم الكثافة الجسمانية، ثم شهواتهم ومعاصيهم وغفلتهم عن ذكر الله، والأولياء من الأنبياء والرسل والحجج يتذكرون هذه النشأة ويعرفون أولياءهم فيها، وكل من كانت فطرته نقية يتذكر هذا العالم السابق، ويعلم حاله فيه، ولكن عامة الناس ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[الحشر- الآية: ١٩].فبسبب غفلتهم عن الله واهتمامهم بالعالم الجسماني وانغماسهم في الشهوات لا يتذكرون شيئاً عن أنفسهم والعالم السابق الذي عاشوا فيه وحالهم فيه [المتشابهات - السيد أحمد الحسن: ج٣ ص٧٥].

[3] . الواقعة : ٦٢.

الممتحنون في عالم الذر

لكي نسلط الضوء على أمر غاية في الأهمية والخطورة وهو الداء الذي أصاب اعتقاد الكثيرين من الغافلين الذين نصبوا أنفسهم قواما على دين الله وعلى عقائده الحقة، فحرفوها عن مسارها وصبغوها بغير صبغتها وتجنوا على الله وعلى من اختارهم سادة وقادة لما بدا منهم من إخلاص فاستحقوا تمام التوفيق فصاروا إلى ما صاروا إليه من علو الشأن عند الله وعند خلقه.

فالمتبرعون الذين سمحوا لأنفسهم أن يتكلموا في مالم يخولهم الله فقد تجنوا على الله فاتهموه في عدله من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون عندما نسبوا إليه عطاءه المجاني للأنبياء والرسل والأوصياء(ع) إذ قلدهم رتبا عليا وأعطاهم نصيبا أوفر من المزايا والخصائص التي تميزوا بها عن بقية خلقه، ليكون ذلك منحة منه سبحانه دون النظر إلى كون هذا العطاء كان باستحقاق؛ لأنهم قصروا نظرهم إليه سبحانه دون أنفسهم بإخلاص فوفقهم، ولذلك لم تكن تلك الهبات كما وصفوها دون مقابل، وهو ظلم في ساحة الله؛ لأن الله عادل مع جميع خلقه على حد سواء.

والأمر الآخر أنهم ظلموا خلفاء الله (ع) عندما عزوا رفعتهم وعلو شأنهم بأنها هبة من الله وأن الله اختارهم هكذا دون موجب ولم يلتفتوا بأنهم ضيعوا حق هؤلاء المختارين وتنكروا لفضلهم الذي لم ينالوه إلا بالجد والاجتهاد والإخلاص لله والتنكر لذواتهم، بل عملوا قصارى جهودهم لفنائها واعتبروا وجودهم وتشخصهم ذنبا أمام وجود بارئهم، وبطبيعة الحال فالأمر سيان سواءً المقصود من ذلك كان في عالم الذر أو الامتحان الأول أو في عالم الدنيا بعد نزولهم لخوض الامتحان الثاني، بالتالي أن هؤلاء الذين تكلموا فيما لا يعنيهم أخرجوا خلفاء الله من دائرة الامتحان، وهنا كان للسيد أحمد الحسن (عليه السلام) تفصيلا يؤكد هذا المطلب[1] .

---

[1] . (وفي دعاء يوم الغدير الذي رواه عمارة بن الجوين أبي هارون العبدي، وذكر الدعاء يرجى الرجوع لمفاتيح الجنان .... وقوله (ع): (بعد تجديدك خلقي): أي انك خلقتني في هذه الدنيا بعد أن خلقتني في الذر، وقوله (ع): (جددت ذلك العهد لي تجديداً): أي ذكرتني وجعلتني أقر بولاية أوليائك الأنبياء والأوصياء (ع) في هذه الدنيا كما أقررت بها لما خلقتني في الذر بفضلك فلماذا لا تتذكرون، وأيضاً لماذا لا تسعون إلى الله ليذكركم؟! وتتذكرون لما ترفع الحجب ويكشف للإنسان حقائق الملكوت كأنبياء الله (ع) ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[الأنعام - الآية:٧٥] وأيضاً الخطاب في أول سورة يوسف (ع) للرسول (ص) وهو خير خلق الله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[يوسف - الآية: ٣]، أي إنك يا محمد (ص) أنزلت إلى هذا العالم، وحجبت عنك حقيقتك وامتحنك الله بهذا الامتحان الثاني في هذا العالم، وكنت الفائز بالسباق مرة أخرى، بعد أن كنت الفائز بالسباق في الامتحان الأول في عالم الذر، قال تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى - الآية: ٥٢].
قال رسول الله (ص): (لم أكن أعلم ذلك حتى عرفنيه الآن جبرائيل (ع)، وما كنت أعلم شيئاً من كتابه ودينه أيضاً حتى علمنيه ربي، قال الله (عز وجل): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾.

من خلال ما تقدم فأن الامتحان الأول الذي جرى في عالم الذر والذي نحن بصدد تقصي حيثياته وآثاره شمل كل الخلق ومنهم الأنبياء والرسل والأوصياء (ع).

بقي أن نتذكر دائما أن الإنسان هو من يترجم هذه الفطرة في عالمنا الجسماني هذا بعد نزوله إليه وهي نسخة حاله في ذلك العالم وهذا يمثل صورة فطرته في عالم الامتحان الأول أو النشأة الأولى ولا يكون ما ها هنا إلا ما كان هناك سوى أن الاختلاف في طبيعة العمل، ففي عالم الذر كان العمل بما يناسب ذلك العالم وقوانينه فهي ليست كطبيعة وقوانين عالم الملك أو العالم الجسماني الكثيف الذي تحكمه المادة والالفاظ والزمان والمكان ..الخ.

فخلاصة الأمر أن كل الخلق كانوا حاضرين في ساحة امتحان عالم الذر ولله الحجة البالغة بأن أعطاهم وأودع في نفوسهم القدرة على أداء الامتحان.

أين ومتى حصل الامتحان الأول وما هي حقيقته؟

قبل الخوض في بيانه لابد أن نعرف شيئا مهما وهو أن الكثير ممن تصدى للخوض والكلام في هذه العوالم وقعوا بالمحاذير والاشتباه مما نتج عنه مفاهيم مغلوطة وتصورات خاطئة تم الأخذ بها والاعتماد عليها في بناء عقائد واستنتاجات أبعدتهم عن كثير من الحقائق العقائدية الحقة إن لم نقل عن جميعها وأخص بالذكر هؤلاء الذين خولوا أنفسهم لتفسير آيات القرآن أو حتى روايات وأحاديث الأئمة (ع) اعتمادا على فهمهم وآراءهم، فنتيجة لابتعادهم عن مصدر العلم والقيّم على كتاب الله فقد تناولوا المسميات والأسماء التي ذكرت في القرآن أو حتى في الروايات حسب تصورات قاصرة فألبسوا الأمر على أنفسهم وعلى غيرهم.

لابد من معرفة إن امتحان عالم الذر حصل في غير عالمنا هذا وقبله وهو عالم ملكوتي وليس عالما حسيا أو جسمانيا يخضع لنظام مختلف تماما عن النظام الذي يحكم عالمنا أو العالم الجسماني الذي

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ (ع) عَنِ الْعِلْمِ أَهُوَ عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالِمُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، أَمْ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ تَقْرَءُونَهُ فَتَعْلَمُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ (ع): الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْجَبُ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَما الْإِيمانُ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَيَّ شيء يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيُقِرُّونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لا يدري مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا يَقُولُونَ. فَقَالَ لِي: بَلَى قَدْ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّتِي ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَوْحَاهَا إِلَيْهِ عَلَّمَ بِهَا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ، فَإِذَا أَعْطَاهَا عَبْداً عَلَّمَهُ الْفَهْمَ).

إذن، فالأنبياء والأوصياء (ع) ممتحنون بهذا العالم، فكما حجب غيرهم وأغفل عن الامتحان الأول والإيمان الأول في عالم الذر، حجبوا (ع) ليكون هذا الامتحان الثاني عادلاً فالكل أغفلوا عن عالم الذر بحجاب الجسد، والمطلوب تجريد الروح بمرتبة ليعرف الإنسان الحقيقة وينظر في ملكوت السماوات، وقد تجرد الأنبياء والأوصياء، والمطلوب من الكل التجرد لينجحوا في الامتحان كما أن الله سبحانه وتعالى ساوى كل بني آدم في الفطرة لتتم كلمته سبحانه أنه هو العادل الحكيم، فالكل مفطورون على معرفة أسماء الله سبحانه، ليكونوا وجه الله وأسماءه الحسنى، وكل من قصَّر فحظه ضيع.)[إضاءات من دعوات المرسلين - السيد أحمد الحسن: ج٣ ق١].

نحن فيه الآن، فهو عالم تنزلي كثيف، غير أن هناك بعض المسميات التي يتناولها القرآن والروايات تشترك ظاهراً حين استعمالها اثناء الحديث أو الاشارة إلى عالم الملكوت وأخص بالذكر عالم الذر كونه محل ذكره هنا، وكذلك عند التعرض لعالم الدنيا أو العالم الجسماني، فمادام كونه عالم لم ندركه فلم يبقى إلا طريق واحد للتعرف عليه وما جرى فيه، وهو الإخبار الذي وصلنا وهذا الإخبار كذلك بأحد طريقين لا ثالث لهما، أما الأول فهو كتاب الله الذي حدثنا عن عالم الميثاق والعهد المأخوذ بآيات واضحات ومنه عرفنا إجمالا أن عهدا أخذ منا قبل نزولنا الى هذا العالم، والطريق الثاني هو روايات أهل البيت (ع) وبيانهم وأقوالهم التي فصلوا فيها ما حدث هناك ؛ لأنهم ترجمان القرآن ولا يخلو منهم زمان ، فمن طابت طينته وسلمت فطرته سيقبل من الله ومنهم (ع) وهو امتحان للنفوس.

واحدة من أهم هذه المفردات التي ذكرت في القرآن أو الروايات: السماء أو السموات ، فالسماء الأولى مثلا لها مصداق جسماني من جهة ومصداق ملكوتي من الجهة الأخرى أو جهة الغيب، فما الذي يتعلق منها من جهة العالم الجسماني وما هو مصداقها كسماء وما تشتمل عليه وما الذي يتعلق منها من جهة الغيب أو الملكوت وما تشتمل عليه كسماء أو كسموات؟

لم أجد تفصيلا يكشف عن معنى ومصداق كل سماء وما يناسب عالمها سوى ما أفصح عنه السيد أحمد الحسن (ع) مع العلم أن رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) ذكروا الكثير عن السماء أو السموات ووصفوها، ولكن لقصور وتقصير في ساحة الناس لم يدركوا حقيقتها وخصوصا من حشروا أنفسهم في جملة المفسرين والمستنطقين للقران من جهة ولروايات آل محمد (ع) من جهة أخرى فعندما ذكر رسول الله (ص) بأن الأرض بالنسبة للسماء الدنيا كحلقة في فلاة والسماء الأولى بالنسبة للسماء الثانية كحلقة في فلاة وهكذا حتى السماء السابعة وكما أن السموات سبع فالأرضين سبع، فقد تعامل المفسرون سواءً كانوا سنة أو شيعة مع هذا المفهوم ابتداءً من الأرض وصعودا حتى السماء السابعة من حيثيات مادية أو جسمانية وعدّوا الانتقال من السماء الدنيا – وأقصد من جهتها الجسمانية أو المادية – نحو السماء الأولى – التي تمثل مرتبتها من جهة الملكوت باعتبار أن السماء الدنيا لها جهتين جهة تمثل الوجود المادي ونهايتها أو بداية السماء الأولى تمثل جهتها أو مرتبتها الملكوتية – انتقالا ماديا أو جسمانياً أي من نفس سنخها، ولم أجد ما يشير من طروحاتهم إلى وجود برزخ بين بداية السماء الدنيا ونهايتها أو بين نهايتها وبداية السماء الأولى ينقلنا على الأقل ذهنيا من التصور والإحساس بجسمانية السماء الدنيا ومثالية السماء الأولى.

ولا أريد الإسهاب في هذا التفصيل الذي قد يذهب بنا بعيدا عن جوهر البحث ولكني تناولت هذه المقدمة عن مفهوم السماء ومصداقها لما له علاقة مباشرة في التعامل مع عالم الذر وطبيعته ومكان حدوثه لكي يتسنى لنا الإحاطة والوقوف على بعض الأسباب والدواعي التي جعلت المفسرين وغيرهم يقفون بالضد، فمنهم من ينكر ما حدث في عالم الذر بالقطع ومنهم من ينكره على سبيل التفصيل بل وحتى الذين يقرون بوجود هذا العالم لم تسعفهم أفهامهم لصياغة الصورة التي تناسب أو تكون حاكية عن ذلك العالم وما حدث فيه لابتعادهم عن عالم الغيب أو لمن له الحظ الأوفر فيه والذين لهم تجليات حقيقية في كل مراتبه وهم خلفاء الله (ع) وبذلك فهم وليس غيرهم من يفصحون عن طبيعة وأسرار تلك العوالم.

عالم الذر في السماء الأولى

يقول السيد احمد الحسن:

(ربما يظن من يجهل أن السماء الأولى سماء جسمانية، أو أنها السماء الزرقاء المحيطة بنا والتي نشاهدها بأعيننا، كما اعتقد بذلك الكثير من المفسرين شيعة وسنة ولكن الحق إنها ليست كذلك، فهي سماء مثالية ولا ترى بالعين.)[١].

وفي توضيح آخر يقول: (السماء الأولى لا ترى بالعين وفقك الله، السماء الدنيا تنقسم إلى سماء أولى وسماء جسمانية، في السماء الأولى أنفس الناس، وفي السماء الجسمانية يوجد جسم الإنسان المادي الذي يرى بالعين)[٢].

فالسماء الجسمانية هي هذه المجرات والكواكب والشموس التي ترى، وهي أيضا تسمى الأرض، أي إن السماء الجسمانية بأجمعها تسمى الأرض في بعض الأحيان.

وهي عالم آخر لا علاقة فيها بالزمان والمكان: (.. فهي لا علاقة لها أصلا بالجهات، ليس فيها مكان أو زمان، ولا علاقة لها بالمكان أو الزمان..)[٣]؛ بل أن الالفاظ التي نستعملها في عالمنا هذا لا تعبر عنها بدقة لأنها عالم آخر.

---

١. كتاب الرجعة ثالث ايام الله الكبرى - السيد أحمد الحسن.
٢. مع العبد الصالح - السيد أحمد الحسن: ص٨٢.
٣. نفس المصدر.

ثم يقول: (المشكلة أنها من عالم آخر فلا يمكن أن تعبر عنها بدقة تامة بهذه الألفاظ التي هي في حقيقتها من هذا العالم وتعبر عن هذا العالم، ..... حيث إن الألفاظ لا تعبر عن ذلك العالم تماما مهما كانت؛ لأنها غير معدة للتعبير عنه، فهي ليست منه بل غريبة عنه)[١].

والسماء الأولى أولى السماوات السبع ، وبين أن الرجعة تكون فيها، فقال:

(... ويجب ملاحظة أن السماء الأولى هي نهاية السماء الدنيا، أي أن السماء الدنيا تبدأ في هذا العالم الجسماني، وتنتهي في أول العالم الملكوتي الروحاني، أي إن نهايتها حلقة وصل، ونهايتها أو حلقة الوصل هي السماء الأولى، في الزيارة الجامعة: (.. وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ..)[٢][٣].

وسبب التخبط وخلط المفاهيم يعود للقصور والتقصير والخوض في مسائل عصية على عقول وفهم من وضع نفسه موضع التصدي لبيان وتفسير النصوص المقدسة.

ولذلك يقول السيد أحمد الحسن: (إن جهل العلماء بهذه الحقيقة المهمة كان سببا في عدم فهمهم للرجعة وظهور الأقوال المتعددة البعيدة عن الحق تماماً مما تقدم عرض بعضه)[٤].

---

[١] المصدر السابق: ص٨٣.

[٢] . مفاتيح الجنان: ص٦٢٠.

[٣] . وفي القرآن: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(القصص:٧٠). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾(الواقعة:٦٢). (وفي الأولى عالما: الذر والرجعة، وفيها الأنفس، فالله سبحانه وتعالى لم ينظر إلى عالم الأجسام منذ أن خلقه كما قال رسول الله (ص)، إنما محط الاهتمام يبدأ من نهاية عالم الأجسام، وهي نهاية السماء الدنيا، وهذه النهاية هي السماء الأولى. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾(المؤمنون:١٧). السبع طرائق هي: (السماوات السبع) من السماء الأولى إلى السماء السابعة، وليست السماء الدنيا الجسمانية منها؛ لأنها ليست فوقنا بل نحن فيها، فهي محيطة بنا وهي (تحتنا وفوقنا وعن كل جهات الأرض)، ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(العنكبوت:٧٤) ، وسيتبين لك فيما يأتي لم أوردت هذه الآية في هذا الموضع. وهذا يعني أن السماوات إذا عدت بهذا التفصيل تكون ثمانيا، وليست سبعا، وإنما لم تعد الدنيا الجسمانية؛ لأنها جزء من السماء الدنيا بما فيها من سماء أولى وسماء جسمانية، فإذا ذكرت الأولى أو الدنيا فهي من ضمنها؛ لأنها جزء منها أو تابعة لها.
والسماء الجسمانية مرة تعد هي (الأرض)، ومرة تعد هي (السماء الدنيا)؛ لأنها الجانب المرئي منها. وفي السماء الجسمانية الأرض بل كل الأرضين السبع، وفي السابعة (جهنم)، كما أن الجنة في السماء الثانية، أما في الأولى فتوجد (الجنة الأرضية) وهي جنة آدم؛ لأن الأولى كما بينتُ إنما هي جزء من السماء الدنيا، وهي ملكوتها.
عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الحسين بن ميسر، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن جنة آدم (ع)، فقال: (جنة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً)(الكافي : ج٣ ص٢٤٧).
﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾: والمصابيح هم الأنبياء والمرسلون والأوصياء (ع) يحفظون الذين يتبعونهم من وسوسة الشياطين بالتعاليم والأخلاق الإلهية التي يعلمونها الناس. وظهورهم في السماء الجسمانية بالكواكب والشموس المضيئة، فما أكثر الظلام في السماء، وما أقل النجوم نسبة إلى الجزء المظلم، كما أن في الأرض ما أقل الأنبياء، وما أكثر من خالفهم وحاربهم وتخلف عنهم ولم ينصرهم. فقليل دائماً هم الأنبياء والأوصياء وأنصارهم، كـ(قلة النجوم في السماء الجسمانية).
وفي نهاية حركة الفلك الأعظم (أقصد قوس النزول)، وبداية صعوده إلى جهة الآخرة، سيبدأ هذا العالم الجسماني بالتحول إلى جحيم ويستعر، فالذين اختاروا زخرف الأرض عقوبتهم إعادتهم إلى ما اختاروه، وعصوا الله من أجله، أو قل إبقاؤهم فيه؛ لأنه سيكون جهنم المستعرة بإعمالهم وأفعالهم وظلمهم( ).
فليست الدنيا هنا هي العالم الجسماني أو سماؤه، وإنما هي السماء الأولى، وقد توضح وجه إطلاق الدنيا عليها. وهنا عندما يقول السيد أحمد (عليه السلام) (فليست الدنيا) فالمقصود بالدنيا هنا ليست الحياة الدنيا هذه أو العالم الجسماني بل هي المذكورة في الآية وزينا الدنيا).(المتشابهات- السيد أحمد الحسن :ج٤).

[٤] . الرجعة ثالث أيام الله الكبرى- السيد أحمد الحسن.

أقول:

بما أن الرجعة في السماء الأولى وأن جهل العلماء بحقيقة السماء الأولى والفرق بينها وبين العالم الجسماني أدى إلى عدم فهمهم للرجعة–كما سيأتي تفصيله–، فإن الجهل بطبيعة هذا العالم كان واحدا من أهم الأسباب التي أدت الى نكران قسم منهم لعالم الذر، وقسم آخر لم يدركه وقسم ثالث ترك الخوض فيه وبحد قولهم "أننا لم نخبر عنه" وذلك؛ لأن عالم الذر كذلك في السماء الأولى فسبب جهلهم بعالم الرجعة هو نفس السبب في جهلهم بعالم الذر.

فتعامل أكثر هؤلاء الفقهاء والمفسرين مع مفردة السماء من جهتها المادية كما قلنا اعتمادا على قصر نظرهم على العالم الجسماني، فتصوروا أن السماء وما تتفرع عنها من سموات هي في حدود هذا العالم الجسماني الكثيف فغابت عنهم المصاديق الحقيقية وبالتالي ابتعدوا عن كل ما تعلق بالسماء أو السموات من خلق وعوالم وأحداث إن صح فهمها صح فهم ما بعدها وما ترتب عليها، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، اللهم الا ما قال بعضهم في ما يخرجه عن دائرة الخوض في ما لا يعلم.

سئل السيد الخوئي: (هل صحيح ما يذكر عن عالم الذر، وكيف هو؟ فأجاب رحمه الله: عالم الذر.. نعم صحيح أصله على إجماله وغير معلوم تفصيله)[1].

بداية خلق الإنسان

أين وكيف ومتى كانت بداية خلق الإنسان؟ تلك الحقيقة التي غابت عن الجميع، فالذين تكلموا عن الخلق وبدايته تباينت طروحاتهم وفق ما تناولوه ووفق العناوين أو المسميات التي تعاملوا معها كالنفس والروح والجسم وما علاقة كل منها بالأخرى وأيها أسبق من الأخرى وكيف اقترنت ببعضها، ولما كان بحثنا في هذا الفصل يشتمل بالدرجة الأساس على هذه المسميات كان لابد من الوقوف عليها بشيء من التفصيل لما يعطيه من صورة واضحة وجلية عن عالم عشناه ونسيناه.

بطبيعة الحال الكلام طويل في هذا الباب واذا أردنا بسط الحديث عنه فسيستلزم التطويل، فالعلماء والمفسرين بكل طوائفهم وطرائقهم تكلموا عن النفوس والأرواح والخلق وكل حسب مشربه، وقبل كل ذلك وردت روايات عن أهل البيت (ع) وقد تكلموا عنها حسب بمقتضى الأسئلة التي وجهت اليهم من قبل

[1] . متاح على https://www.al-khoei.us/fatawa١/index.php?id=٣٢٤

الناس فكانت إجاباتهم حسب قاعدتهم (ع) من باب كلموا الناس على قدر عقولهم، فهم يحدثون أتباعهم حسب استعداداتهم سواءً عن النفس أو الروح أو الخلق فجاءت الإجابات على أوجه عديدة من حيث التفصيل والإفصاح، وفي أحيان أخرى يحجمون عن الإجابة بل وينصحون أتباعهم بالكف عن هكذا نوع من الأسئلة؛ لأنهم (ع) يتعاملون وفق منهج ليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال حضر أهله وليس كل من حضر أهله حان وقته، فمستوى حديثهم (ع) وفق مستوى القابل في زمانهم.

فمن هذا وغيره نقول: ونحن نعيش في زمن وجود رجل من آل محمد (ع) تحدث عن هذه العوالم وما اكتنفها من غموض ولبس خالج عقول الفقهاء والمفسرين ؛ لأنهم بكل بساطة بعيدون عن تلك العوالم الملكوتية وأسرارها ، وجل ما يعرفوه ظاهرا من الحياة الدنيا أو عالم الظلمة المحجوب عن تلك العوالم فصار دون ولوجهم إلى أعماقها ونيل شيء من حقائقها خرط القتاد، ولأن هذه العلوم الربانية حان أوان الكشف عن بعضها أو الكثير منها كما أخبرنا آل محمد (ع) بأن في آخر الزمان يأتي القائم (ع) بخمس وعشرين حرفا من العلم حيث يحضر أهله ويحين وقت بثها فيهم، والقرآن أخبرنا على لسان رسوله الكريم (ص) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] فالعلم يبقى في صدور أهله حتى يجدون له حملة كما قال أمير المؤمنين (ع) لكميل: (إن هاهنا . وأشار بيده إلى صدره . لعلما جما لو أصبت له حملة)[2].

الله سبحانه وتعالى بدأ خلق آدم (ع) في السماء الأولى أو سماء الأنفس، ولكي يكون آدم وذريته مؤهلين للنزول إلى الأرض والاتصال بالأجساد كان لابد من رفع الطينة للسماء الأولى وخلق نفس آدم (ع) وبقية الناس منها[3].

فلذلك أصبحت الطينة المرفوعة هي الآلة التي تصل روح آدم بجسده ولكي تحمل نفس آدم (ع) ما في الأرض من قوة وشهوة تؤهله للتكاثر والهيمنة على الأرض، ثم بعد ذلك خلق الله سبحانه نفس حواء (ع) من نفس آدم (ع) ، وهنا مازال الكلام عن الأنفس وهو ليس عالما ماديا جسمانيا، ثم أخرج ذريتهما وامتحنهم الامتحان الأول جميعا هناك؛ أي (عالم الذر) بسؤال (ألست بربكم)، وبعد أن انتهى الامتحان شاء الله أن ينزل آدم (ع) إلى الأرض ويمتحنه فيها فحصل امتحان آدم(ع) في السماء الأولى(الجنة الدنيوية) وفشل في الامتحان كما كان مقدرا له.

---

[1] . الإسراء : ٨٥.
[2] . أمالي المفيد: ص٢٤٧، أمالي الطوسي: ص٢٠، الغارات: ج ١ص١٤٩.
[3] . انظر كتاب وهم الإلحاد- السيد أحمد الحسن: ص١٤٣-١٤٩.

وقول الله تعالى: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى* إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى* فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لّا يَبْلَى* فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[2].

فالآيات تدل على أن آدم (ع) لم يكن أرضيا ولم يخلق ابتداءً في الأرض بل في السماء الأولى في الجنة الدنيوية وهي ليست جنة الخلد وكذلك هي ليست كالأرض لاختلاف طبيعتها باختلاف العالم الذي تنسب اليه وهو عالم السماء الأولى، والدليل على ذلك هو أن التوصيفات التي في الآية لحال آدم وحواء (عليهما السلام) لا تتناسب وحال الأرض وحال الأجسام فيها، فجسم آدم الأرضي إذا لم يكن جزء منه مغطى باللباس سيكون مكشوفا يراه صاحبه ويراه غيره، إذن فأي نوع من اللباس كان يلبس حسب وصف الآية لينزع عنه حال ارتكابه المعصية؟! فهو حتما لباس ليس أرضيا؛ بل لباس يناسب عالم الأنفس وهو لباس التقوى الذي تفقده النفس حال المعصية.

ولذلك نقول وقع المفسرون في أخطاء جسيمة بسبب الجهل بهذه العوالم وطبيعتها والتفريق بينها ولو أنهم عرفوا بأن الخطاب القرآني هو لغة الله وهو لخلفاء الله (ع) ولا يمكن أن يفهمها إلا هم لما أوقعوا أنفسهم في مشاكل عقائدية جسيمة ، وهذه صورة أخرى من صور الامتحان في هذا العالم.

صورة من فساد عقيدة المفسرين

الخلق نتاج زنا المحارم

معظم الاخفاقات التي وقع بها المفسرون فيما يتعلق بالخلق وتكاثر الذرية كان سببها الجهل ببداية خلق الإنسان أو عالم الذر وأن لآدم (ع) أول نفس إنسانية نزلت من عالم الذر ، الذي خلقت فيه نفس آدم ونفس حواء وليس كما أشيع بأن الله خلق حواء من ضلع آدم، كما أن جسم آدم البيولوجي كان موجودا في الأرض وولد من أب وأم في هذا العالم الجسماني ؛ لأن وجود البشر كان قد سبق خلق آدم

[1] . البقرة :٣٥.
[2] . طه : ١١٧-١٢١.

في هذا العالم بملايين السنين ، ولذلك وضعت هنا هذا العنوان شاهدا لبيان النتائج السلبية والمخطوءة والتي تسببت في انحرافات عقائدية كبيرة ليكون هذا الشاهد داعما لحجم التهم الذي وقع فيه المفسرون وهو ذات السبب للجهل في حقيقة عالم الذر وما ترتب من نتائج عقائدية فاسدة .

كل من تبرع للكلام عن أصل الخلق وكيف خلق آدم (ع) وكيف تكاثرت الذرية وقع في مغالطات كبيرة ومخيفة ضربت أصل العقائد الحقة في الصميم، فاليهود والمسيحيين ومفسري المذهب السني ومفسري الشيعة وقعوا في نفس الخطأ، وطبعا سبب ذلك أنهم اعتمدوا على فهمهم لظاهر النصوص سواءً كانت من الكتب السماوية أو الروايات والأحاديث، وبالتالي توهموا أن الآيات والنصوص الأخرى كانت تتحدث عن خلق الأجسام فسوقوا هذا الفهم وخرجوا بنتائج أفسدت العقائد وأصّلت لفهم مغلوط منذ بداية الخلق، في حين أن أصل الخلق هو خلق النفوس وليس الأجساد؛ والله سبحانه لم ينظر إلى الأجساد منذ خلقها.

فمن خلال هذا التخبط خرجوا بالنتائج التالية:

١- إن حواء (ع) خلقت من ضلع آدم (ع) الجسماني وبالتالي يكون آدم (ع) قد تزوج جزءً من جسمه كخطوة أولى.
٢- الخطوة الثانية التي أصّلت نتاج زنا المحارم بين الأخوة والأخوات.

بعض النصوص التي تشبث بها المفسرون لإثبات مدعاهم:

ورد في العهد القديم– التوراة بخصوص خلق حواء:

(فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الإله الرب الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)[١].

فقال في تفسيرها القس انطونيوس فكري أن الله أخذ من آدم أحد ضلوعه فخلق منه حواء[٢]، وكذلك فسرها القس تادرس يعقوب فقال: فرأى آدم أنها عظم من عظامه ولحم من لحمه وقد دعاها امرأة ؛ لأنها من امرئ (إنسان) أخذت[٣].

---

[١] . العهد القديم - سفر التكوين - ٢: ٢١-٢٢.
[٢] . تفسير الكتاب المقدس- العهد القديم- القس أنطونيوس فكري[عن كتب وهم الإلحاد – السيد أحمد الحس : ص١٦٨].
[٣] . تفسير الكتاب المقدس- العهد القديم- القمص تادرس يعقوب[عن كتاب وهم الإلحاد – السيد أحمد الحسن: ص١٦٨].

وكذلك ورد في العهد القديم– التوراة– بخصوص ذرية آدم:

(وعرف قايين آمرأته فحبلت وولدت حنوك وكان يبني مدينة فدعا إسم المدينة كإسم ابنه حنوك)[١].

فيقول انطونيوس في شرحه لهذه الآية من التوراة (امرأة قايين هي أخته والله سمح بهذا ليقيم نسلا وحنوك هو الثالث من آدم من ناحية قايين وله نفس اسم أخنوخ تقريبا السابع من آدم من جهة شيث)[٢].

إذن كان مبلغ علمهم أن آدم أول إنسان وجد على هذه الأرض[٣] وبالتالي لا سبيل لتكاثر الذرية سوى أن يتزوج أولاد آدم أخواتهم وهذا بحد ذاته اتهام للخالق سبحانه بالقصور وكأنه ليس لدى الله سبحانه طريق لتكاثر الذرية– في هذا العالم المادي الجسماني بعد أن كانوا جميعا (الخلق) أنفسا في عالم الامتحان الأول وهو عالم الذر– سوى زواج الأخوة من الأخوات ليكون أنبياء الله ورسه وأوصيائهم (ع) وباقي الخلق نتاج زنا محارم!

في حين أن آدم (ع) ولد من أب وأم انحدروا من سلسلة يمتد عمرها إلى ملايين السنين وبالتالي فإن أبناء آدم وبناته يمكن أن نقول أنهم تزوجوا من أقرانهم من البشر الذين كانوا يعيشون بينهم.

فإصرار الفقهاء ورجال الدين على التصدي لبيان عقائد على هذا المستوى من الأهمية والخطورة لما لها علاقة بقدرة الخالق وحكمته فضلا عن قدسية خلفاء الله ونسبة وجودهم في العالم إلى زنا محارم يدفعنا للشعور برغبتهم للاستئثار في البقاء في موقع لم يكن لهم فيه نصيب من الله وهو تفسير كلام الله والتشريع وهذا أيضا له علاقة بامتحانهم في هذا العالم .

أقوال علماء السنة في خلق آدم وحواء (عليهما السلام)

يقول السيد أحمد الحسن (ع): (كثير من فقهاء السنة ومفسريهم وافقوا الاعتقاد اليهودي والمسيحي فيما يخص حواء وذرية آدم، فعندهم حواء زوجة آدم (ع) خلقت من ضلعه وأبناء آدم تزوجوا بناته، وهكذا

---

[١] . العهد القديم - سفر التكوين- ٤: ١٧

[٢] . شرح الكتاب المقدس- العهد القديم – القس أنطونيوس فكري[عن كتاب وهم الإلحاد – السيد أحمد الحسن: ص١٦٩].

[٣] . (رجال الدين الذين يمثلون الديانات الابراهيمية يرجعون عمر أول مخلوق على الأرض وهو آدم (عليه السلام) إلى ستة آلاف عام في حين أن (التاريخ الاحفوري الذي يخص الإنسان يسجل بداية أشباه الإنسان أو الإنسان ذو الجسم المنتصب (الهومو إركتس) بتاريخ يعود إلى الوراء (٢) مليون سنة تقريبا ، والهومو إركتس في الأغلب تمكن من استخدام النار والأدوات البسيطة كالفؤوس الحجرية ولديه حياة اجتماعية..)[وهم الإلحاد – السيد أحمد الحسن ص١١٤].

فقد جعلوا آدم ينكح بعضه والأنبياء والأوصياء وذرية آدم نتاج زنا محارم وهذا نموذج من فتاواهم: (المرأة خلقت من ضلع أعوج)[١].

يقول الشيخ شعيب الأرناؤوط المرأة كالضلع على وجه التشبيه لا أنها خلقت من ضلع آدم كما توهمه البعض. غير أن اللجنة العلمية للإفتاء (عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عبد العزيز ال الشيخ، عبد الله بن غيدان، صالح الفوزان، بكر أبو زيد) قالوا ما مفاده أن المرأة والمراد بها حواء –عليها السلام– خلقت من ضلع آدم. وفي زواج الأخوة والأخوات (زنا المحارم):قال بن كثير في تفسيره (وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى كان قد شرع لآدم– عليه السلام– أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال.. الخ)[٢].

وهناك أقوال أخرى لمفسريهم في هذا المعنى– وقد تكلم السيد أحمد الحسن (ع) عن فساد هذه العقائد ومخالفتها للعلم وانحراف من يعتقدها عن الحق وكيف أنها وضعت الإنسان في مستوى دون بقية الحيوانات– أحجمت عن نقلها خشية الإسهاب والتطويل[٣].

أقوال بعض فقهاء الشيعة في مسألة زواج أبناء آدم (ع)

يقول السيد أحمد الحسن: (هناك بعض فقهاء الشيعة التحقوا بركب علماء السنة ولا يرون بأسا في قول أن البشرية نتاج زواج أشقاء (زنا محارم) ونقل بعض أقوالهم:

في تفسير الميزان، قال محمد حسين الطباطبائي: (...أن انحصار مبدأ النسل في آدم وزوجته يقضي بازدواج بنيهما من بناتهما، وأما الحكم بحرمته في الإسلام وكذا في الشرائع السابقة عليه ما يحكى فإنما هو حكم تشريعي يتبع لمصالح والمفاسد لا تكويني غير قابل للتغيير وزمامه بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فمن الجائز أن يبيحه يوما لاستدعاء الضرورة ذلك ثم يحرمه بعد ذلك لانتفاء الحاجة واستيجابه انتشار الفحشاء في المجتمع)[٤].

---

١. أنظر كتاب وهم الإلحاد- السيد أحمد الحسن.
٢. https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura٢٧-aya٥.html
٣. أنظر كتاب وهم الإلحاد - السيد أحمد الحسن: ص١٦٠- ١٨٤.
٤. تفسير الميزان - الطباطبائي: ج٤ ص١٤٤- ١٤٥.

السيد أحمد الحسن: (استدل الطباطبائي على أن الناس نتاج زنا المحارم بين أولاد وبنات آدم (ع) بظاهر توهمه هو لقوله تعالى "وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء" باعتبار أن الآية لم تذكر أصلا آخر للذرية غيرهما!

والحق إن ظاهر الآية يتكلم عن الأنفس في السماء الأولى أو الجنة التي خلق فيها آدم (ع) فحتى لو قلنا: أن الآية تدل على حصر الذرية بأدم وحواء يبقى أن الآية تتكلم عن الأنفس، وهي واضحة الدلالة على أن نفس حواء خلقت من نفس آدم (ع) فهذا الخلق بمعنى أن نفسها شقت من نفس آدم (ع)، وليس أن جسم حواء خلق من جزء من جسم آدم كما في التوراة وكما يعتقد بعض فقهاء السنة.

وخلق آدم(ع) أو نزوله إلى الأرض متأخر عن خلق نفسه، فنفس آدم (ع) خلقت في السماء من الطينة المرفوعة ونفخ الروح فيها، ثم من نفس آدم (ع) خلقت نفس حواء (ع)، ثم منهما خلقت بقية أنفس بني آدم(ع)، ونفس زوجتي ابني آدم هي من هذه الأنفس، وهذا ما بينته الآية بوضوح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1] وعموما ظاهر الآية لا يمكن أن يكون دليلا على أن البشرية نتاج زواج أخوة وأخوات– زنا محارم – كما يدعون، فحتى من لم يقبل ما قدمته– مع شدة وضوحه – في معنى الآية وأنها تتكلم عن الأنفس كما هو ظاهرها (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أيضا يلزمه أن ما قدمناه وجه لفهم ظاهرها، وبهذا أصبح ظاهرها متشابها عنده ولا يمكنه أن يتخذها سنداً لاعتقاده، فلا تؤخذ العقيدة من المتشابه.)[2] .

قول آخر لمفسري الشيعة ناصر مكارم الشيرازي:

كذلك سأكتفي بنقل جزءً من كلامه الذي نقله السيد أحمد الحسن حيث يقول الشيرازي: (قال سبحانه: "يورث منهما رجالا كثيرا ونساء" هذه العبارة يستفاد منها أن انتشار نسل آدم، وتكاثره قد تم عن طريق آدم وحواء فقط، أي بدون أن يكون الموجود ثالث أي دخالة في ذلك، وبعبارة أخرى أن النسل البشري الموجود إنما ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركهما في ذلك غيرهما من ذكر أو أنثى، وهذا يستلزم أن يكون أبناء آدم (أخوة وأخوات) قد تزاوجوا فيما بينهم؛ لأنه إذا تم تكثير النسل البشري عن

[1] . النساء : ١.
[2] . وهم الإلحاد- السيد أحمد الحسن: ص١٧٣-١٧٤.

طريق تزوجهم بغيرهم لم يصدق ولم يصح قوله "منهما") ..... إن هذا النوع من الزواج كان مباحا حيث لم يرد بعد حكم بحرمة "تزوج الأخ بأخته"[١].

ولكلام الشيرازي بقية تركتها لمن يريد الاستزادة.

(هم يقولون أن هناك طائفة من الروايات تقول أن البشرية نتاج زنا محارم وقد رجحوا المروي في زواج المحارم لأنه موافق لظاهر قرآني توهموه هم، حيث أنهم اعتبروا الآية تتكلم عن الأجساد وتفيد الحصر بآدم وحواء في حين أن الواضح من ظاهرها أنها تتكلم عن النفس وليس الجسد (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)[٢] .

أقول: ووفق ما بينه السيد أحمد الحسن عند استعراضه لبحوث علمية مفصلة عن موضوع التطور فأن العلم قد أثبت أن أفراد مجتمع الشمبانزي يتجنبون زنا المحارم[٣] ، وإذا كان الأمر كذلك فالأولى أن يكون مجتمع الهوموسابينس الذي انحدرت منه المجتمعات الإنسانية متجنبا لزنا المحارم باعتباره يملك آلة الذكاء الفائق التي تجعله أرقى من باقي الحيوانات، ولا أدري كيف تصدى المفسرون لبيان عقائد بهذه الدرجة من الأهمية والخطورة وخرجوا بنتائج مؤسفة مع وجود هكذا حقائق علمية مثبتة فضلا عن سطحية الأفهام التي لم تؤهل أصحابها لفهم وتعقل أوضح الواضحات في كثير من الأمور التي حشروا عقولهم القاصرة فيها، والنتائج أفضت إلى اعتقادات فاسدة خالفت القران والعترة.

وفي الحقيقة كان تناولي لهذا العنوان لما له علاقة مباشرة بعنوان بحثنا ومعالجة الاشكالات التي أفرزتها تجنيات المفسرين على ما جرى في عالم الذر "عالم الأنفس" وكيف بدأ الخلق وهل هم نفوس أم أجساد وإذا كانوا نفوسا استلزم كونهم في السماء المثالية وليس في العالم الجسماني، فالخلط الذي طرأ على العقول والأفهام أدى إلى إتهام أبو البشر وذريته بزنا المحارم، لأنها تناولوا المفردات الواردة في النصوص سواءً في الكتب المنزلة أو في الروايات وعوملت من جهتها المادية أو الجسمانية.

يقول السيد أحمد الحسن: (هل من المعقول أنهم يعترضون على التطور؛ لأنهم يرفضون أن يكون هناك سلف مشترك بين الأنسان والشمبانزي أو يرفضون أن أصل جسم الأنسان البعيد قرد، وفي نفس الوقت يضعون الأنسان الحديث– وبالخصوص آدم وأولاده– في مستوى دون القردة بكثير بحيث إن

---

[١] . تفسير الأمثل - ناصر مكارم الشيرازي: ج٣ ص٨٢.
[٢] . وهم الإلحاد – السيد أحمد الحسن: ص١٧٥.
[٣] . انظر كتاب وهم الإلحاد- السيد أحمد الحسن :ص١٧٧.

تناسل الأخوة والأخوات الذي تتجنبه مجتمعات الشمبانزي والغوريلا عادة منذ ملايين السنين يمارسه ويقره الأنسان عندهم، وأي إنسان، نبي الله آدم وأولاده الأوصياء (ع)؟!)[1].

فمن له مسكة من العقل عليه أن يضع هذه الحقائق العلمية في ميزان الإنصاف كي يخرج بنتيجة على الأقل تبعث فيه روح الانتصار لدين الله سبحانه الذي شوهته أقلام المفسرين عندما تكلموا باسم الدين فصاروا وبالا على الدين وتركوا ثغرة كبيرة ومساحة واسعة مكشوفة يضرب عليها الإلحاديون اليوم بسهام أفكارهم المسمومة الذي بدأ خطر اجتياحها لعقول الشباب يأخذ طريقه بسرعة النار في الهشيم، كل ذلك لأن الإلحاديين قالوا أن ما قدمه المفسرون والفقهاء يمثل الدين، في حين لم يثبت أن الدين يتعارض مع الحقائق العلمية المثبتة، ونكرانهم لنظرية دارون كانت حجر الارتكاز لهؤلاء الإلحاديين لما قدموا من تفسيرات بائسة نأت بعيدا عن حقائق أثبتها العلم، لولا وجود هذا الرجل الإلهي والراعي الحقيقي لدين الله السيد أحمد الحسن(ع)، فتصدى لهؤلاء الإلحاديين المتصيدين في برك الظلام التي عشعشت فيها جهالات المدعين، وذكر على سبيل المثال لا الحصر بأن كتاب الله بالأصل يشرح لنا كيف أن الخلق مر بمراحل تطور، وحقيقة كتاب وهم الإلحاد للسيد أحمد الحسن ثروة علمية عقائدية لا يغفل أو يتغافل عنها إلا من لا يريد أن يتذكر أو يعود للفطرة ؛ لأن الله فطر الناس أو أودع في صفحات وجودهم القدرة على سماع كلمات الله وخلفاءه في الأرض ، فالذي سمع من خلفاء الله الذين سبقوا الخلق في الامتحان الأول في عالم الذر يسمع في هذا العالم أو يتذكر إذا ذكروه في هذا العالم.

السماء الدنيا وبداية الامتحان

تبين من خلال ما تقدم بأن عالم الذر أو الامتحان الأول لم يحصل في عالم تحكمه المنظومة المادية الجسمانية بل في عالم سماوي خارج عن منظومتنا الجسمانية بكل مسمياتها وتفاصيلها وهذا العالم كما ذكرنا له قوانينه ومؤهلاته التي تتناسب مع طبيعة الموجودات فيه وهي مختلفة تماما عما نحن عليه في عالم الدنيا، وأما ما ذكر من السماء الدنيا "وزينا السماء الدنيا" فالمقصود كما مر أو كما سيمر ذكره إذا اقتضى التفصيل هو ليست هذه السماء الجسمانية فقط[2] وإنما هو سماء جسمانية وسماء أولى وبين

---

[1] . وهم الإلحاد - السيد أحمد الحسن: ص١٧٧.

[2] . (..السماء الدنيا تنقسم إلى سماء أولى وسماء جسمانية، في السماء الأولى أنفس الناس، وفي السماء الجسمانية يوجد جسم الإنسان المادي الذي يرى بالعين.... السماء الجسمانية هي هذه المجرات والكواكب والشموس التي ترى، وهي أيضاً تسمّى الأرض، أي إن السماء الجسمانية بأجمعها تسمى الأرض في بعض الأحيان)[مع العبد الصالح- السيد أحمد الحسن].

نهاية السماء الدنيا وبداية السماء الأولى كان الامتحان الأول والذي خلقت فيه الأنفس التي امتُحنت وكانت تحمل ما يؤهلها لخوض الامتحان.

ولكي تترسخ عقيدة وجود وثبوت عالم الذر وكونه عالم حقيقي وليس عالما اعتباريا أو صوريا كما عبر عنه من ضاقت أفهامه وخانته أوهامه فكان كحاطب ليل لا يدري أين يقع فأسه، لابد أن نطل على هذا العالم من نافذة الحق التي ترشدنا أين حصلت أحداث هذا العالم ولماذا؟

بطبيعة الحال هناك مشروع إلهي وغاية ذكرناها على نحو من الإيجاز، منشأها الآية الكريمة "وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون" وحسب ما جاء عنهم (ع)، أي ليعرفون، ومقتضى ذلك لابد أن تكون هناك بداية وتكون هناك نهاية فكانت البداية حيث الخلق الأول وهم الذين تجلت فيهم أسماء الله التي من خلالها يصل المخلوق إلى أقرب نقطة ممكنة لمعرفته سبحانه؛ ولأن معرفتهم معرفة الله، فلكي تتحقق معرفة الله لابد أن تكون وفق آلية ممكنة، يمكن أن نوضحها من خلال بيان السيد أحمد الحسن (ع) لعبارة "اعرف الله بالله" وهو سؤال منبثق عن قول أمير المؤمنين (ع): (اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان)[1].

يقول السيد أحمد الحسن (ع):

(أي اعرف الله سبحانه وتعالى بالله في الخلق، وهو الأمام المهدي (ع)، فهو صلوات ربي عليه تجلي وظهور الله في الخلق، أي تجلي وظهور مدينة الكمالات الإلهية في الخلق، وبعبارة أخرى: تجلي وظهور أسماء الله سبحانه في الخلق، فهو صلوات ربي عليه وجه الله سبحانه وتعالى الذي يواجه به خلقه، فمن أراد معرفة الله سبحانه لابد له من معرفة الأمام المهدي(ع))[2].

أما قوله (ع) فمن أراد معرفة الله سبحانه لابد له من معرفة الأمام المهدي (ع) ومادام الكلام يدور حول معرفة الله التي هي أصل الامتحان سواءً في عالم الذر أو عالم الدنيا أو في عالم الرجعة، فلابد من توضيح مسألة في غاية الأهمية وهي أن خلفاء الله الذين اختارهم سبحانه وتعالى ونص عليهم هم أفضل من تجلت أسماء الله في صفحة وجودهم وكل بحسبه، فصاروا سببا وطريقا لمعرفته سبحانه، بعد أن كانت الفرصة متاحة لكل الخلق بأن يكونوا صورة الله لأنهم مفطورون على أن تتجلى فيهم صورة الله كما

[1] . الكافي - الكليني : ج١ ص٥٨, التوحيد - الصدوق: ص٢٨٥- ٢٨٦.
[2] . السيد أحمد الحسن - المتشابهات: ج١ س١.

توضح في بحث الفطرة، ولكن الذي فاز بهذا السباق هم الأنبياء والمرسلون وأوصياءهم (ع) وكان المجيب الأول فيهم محمد (ص).

ولما كان لكل زمان خليفة من خلفاء الله يدعو أهل زمانه لتوحيد الله ومعرفته، فهكذا جرت سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير في خلفاءه (ع) حيث جعلهم الطريق الوحيد لمعرفته سبحانه ، ولكل زمان ما يناسبه، فتوالت الرسالات وأنزلت الكتب والصحف وصولا لإبراهيم (ع) وموسى وعيسى (ع) وختمت الرسالات بمحمد(ص) الانسان الكامل الذي تجلت فيه أسماء الله بأعلى رتبها فكان صورة الله في الخلق ومن ثم فتح الأرسال منه (ص)[1] إلى نفسه علي (ع) ثم الأئمة والمهديين (ع) واحدا بعد واحد إلى يوم القيمة.

لابد أن نعرف أن العلوم التي يبثها خليفة الله في أهل زمانه تتوقف على إمكانية القابل واستعداده لاستقبال هذه العلوم كما ونوعا وأقصد بالعلوم الإلهية والتي من شأنها توصل من يلتزمها إلى معرفة الله وكل بحسبه، والإمام الصادق(ع) أخبرنا بأن(العلم سبع وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم (ع) أخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا)[2]، وهذا يرشدنا أن في زمانه سيكون هناك من يستقبل هذه العلوم، وبما أننا نعيش أيام ظهور دعوته برسوله ووصيه فلهذا قال السيد أحمد الحسن(ع): من أراد معرفة الله لابد من معرفة الأمام المهدي (ع)؛ لأنهم (ع) قالوا بنا عبد الله وبنا عرف الله.

وختم الإرسال بمحمد (ص) والفاتح لما استقبل حيث فتح الإرسال منه إلى الأوصياء من بعده (ع).

عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل: (وَلِلّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها)[3] قال: (نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا)[4].

وعنه (ع) أنه قال:(من عبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقا)[1].

---

[1] . الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل.
[2] . بحار الأنوار - المجلسي : ج٥٢ ص٣٣٦
[3] . الأعراف :١٨٠.
[4] . شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني: ج٤ ص٢٢١.

عن أبي عبد الله (ع) قال: خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه فقال: (أيها الناس، إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه. فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته)[٢].

فمنها يتضح ما المقصود في قوله تعالى (يَعْبُدُونِ):(وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ) أي (ليعرفون)[٣].

وقوله (ع): "ما خلق الله العباد إلا ليعرفوه" فعبارته دالة على الحصر، ظاهر في كون العبادة فرع المعرفة كما ذكرنا من قبل، ومن الواضح أنه كلما ازدادت المعرفة ازدادت العبادة والطاعة، وقد جاءت الزيارة الجامعة للكشف عن علوّ مقامات الأئمة (ع) في خصلتين: المعرفة والطاعة.

لكنهم كلما حباهم الله تعالى بقرب منه ومقام رفيع عنده ازدادت عبوديتهم له، فتدبر في الزيارة: (عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيرا. فعظمتهم جلاله وأكبرتم شأنه ومجدتم كرمه وأدمتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتم عقد طاعته...)[٤].

وتأمل في تفرع (فعظمتم...وأحكمتم عقد طاعته)عن (عصمكم آلله من الزلل...) و سيأتي بيانه في محله إن شاء الله.

لقد بلغ الأئمة بعد النبي (ص) في المعرفة والطاعة ما لم يبلغه أحد من العالمين، فكانوا هم سوى غيرهم الذين من عرفهم فقد عرف الله... ولذا ورد عنهم (ع): "بنا عرف الله وبنا عبد الله".

وهذا ما ورد عنهم في أحاديثهم (ع) كما في الزيارة الجامعة "من أراد الله بدأ بكم.."، بكم يبين الله الكذب و بكم يباعد الله الزمان الكلب و بكم يختم الله، وقولهم (ع) بنا بدأ الله وبنا يختم، فهم مدار الخلق وهم البداية والنهاية وعلى معرفتهم دارت الأيام ودهرت الدهور. وبما أن عالم الملكوت وما به من مراتب منه كانت البداية ومن هناك بدأ عالم الظلمة، ووصفه بعالم الظلمة؛ لأنه أول صادر عن الله ، حيث أن الله سبحانه نور لا ظلمة فيه فكل ما دونه مخلوق تشوبه الظلمة لعلة تشخصه ووجوده، ومن هنا كان

---

[١] . الكافي - الكليني: ج١ ص٨٧.
[٢] . علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج١ص٩.
[٣] . الذاريات : ٥٦.
[٤] . الزيارة الجامعة.

لخلفاء الله جدهم واجتهادهم للخلاص من شائبة الظلمة أو الأنا وكل بحسبه فكان الامتحان الأول دعوة لجميع الخلق لاجتياز الاستغراق في الأنا وهو مقدار الالتفات للنفس على حساب الالتفات له سبحانه ، وقول أمير المؤمنين (ع): (..إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها، فلها الويل إن لم تغفر لها..) إشارة الى هذا المعنى.

نعود فنقول الإنسان عندما إلى نزل هذا العالم الجسماني وهو عالم تنزلي كان لأجل الامتحان الثاني ليرتقي مرة أخرى بمقدار ما يتخلص من أناه وارتباطه بهذا العالم الجسماني كونه عالم الغفلة والشهوات التي تبقي المنشغل فيها ثقيلا منشدا إلى عالم الدنيا وظلمتها ثم ظلمة الرجعة والعودة الى السماء الأولى، ولكي تتوضح الصورة حول مسيرة الخلق من مبدئها ونعرف لماذا بدأت من عالم ألطف وأقل كثافة وكيف ستكتمل حلقات هذا المشروع الإلهي يحتاج أن نتدبر عوالم الخلق الثلاث[1] .

فالامتحان يفهم من جهتين:

الأولى: أنه حصل للنفوس، ولله الحجة على كل الممتحنين وهم كل الخلق دونما استثناء، وعرض عليهم نفس السؤال وأعطى الجميع نفس القابلية على الإجابة أو التعامل مع السؤال، وبطبيعة الحال طالما أن الحديث عن نوع السؤال من حيث الأجمال وهو "ألست بربكم" أو بعنوان التوحيد والحقيقة فأن السؤال ووفق لوازم وحيثيات ذلك العالم وظروفه وقوانينه يستبطن أو يتضمن جميع العقائد التي سيتم تفصيلها في عالم الدنيا أو عالم الامتحان الثاني كونه عالم الكثرة، حيث إن الارتقاء من عالم المادة إلى عالم الملكوت والذي يكون فيه عالم الذر والامتحان الأول يقتضي أن تنحسر التفاصيل وهكذا كلما يتم

---

[1] . ما بينه السيد أحمد الحسن من خلال إجابته على سؤال وجه إليه:
ما هي الظلمات الثلاث في قوله تعالى(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)[الزمر: آية٦]؟
فكان جوابه (..وهي (ظلمة الذر)، و(ظلمة الدنيا) و(ظلمة الرجعة)، وهي عوالم قوس النزول. وعوالم قوس الصعود:- هي الأنوار الثلاثة وهي(قبل الفناء) و(الفناء) و(العودة بعد الفناء)، وهي مراتب محمد(ص) الثلاثة قبل (فتح الحجاب) و(بعد فتح الحجاب) و(بعد عودة الحجاب)، فهو يخفق بين الفناء في الذات الإلهية فلا يبقى إلا الله الواحد القهار، وبين عودته إلى الأنا والشخصية .وهذه المراتب الستة في قوس الصعود والنزول تمثل كل الوجود، وتجلي النور في الظلمة، وظهور الموجودات بالنور في الظلمات، وهي واو النزول، و واو الصعود تشير إلى الستة أيام وستة مراتب.(،) واو النزول (و) واو الصعود ، والدائرة في رأس الواو تدل على الحيرة في قوس الصعود هي الحيرة في النور لعدم إدراك ومعرفة النور التام ، الذي لا ظلمة فيه، وهو: الله سبحانه وتعالى معرفة تامة وكاملة، فتكون مراتب قوس الصعود هي:(قبل الفتح) و(بعد الفتح) و(الفناء) والثالثة هي: (العودة إلى الأنا والشخصية بعد الفناء).أما الحيرة في الظلمة: لأنها في أدنى مراتبها لا تُدرك ولا يحصل منها شيء، بل هي ظلمة وعدم ليس لها حظ من الوجود، إلا قابليتها للوجود، وهذه هي حقيقة المادة: ظلمة وعدم، لا يحصل منها شيء، ولا يعرف منها شيء، لولا تجلي الصورة الملكوتية فيها، وإظهارها لها.
فتكون مراتب قوس النزول:- هي عالم الذر ثم النزول إلى ظلمة المادة ثم الصعود في قيامة القائم حتى الوصول إلى الرجعة، وهي المرتبة الثالثة، وباجتماعهما وتداخلهما يتحصل كل الوجود من بدايته إلى نهايته، وهو محمد (ص) [المتشابهات – السيد أحمد الحسن: السؤال١٦٩].

الارتقاء من سماء إلى سماء حتى السماء السابعة الكلية وهي سماء العقل فلا تفاصيل هناك لقلة المتنافيات[1].

الثانية: يفهم الامتحان من خلال التعامل مع مفردات ذلك العالم بأدوات العالم التنزلي وهو عالم الملك أو عالم الدنيا، فيكون من موجبات النزول إلى هذا العالم هو أن تقترن النفس بهذا البدن أو الجسم المادي الذي تحجب فيه وتغفل عن ذلك العالم ولا تتذكر ما حصل هناك ويكون حجم الحجاب وشدته بمقدار الظلمة الموجودة في صفحة وجود الأنسان، وإنما ينفرد عن هؤلاء المحجوبين من كانت ظلمته أقل بكثير؛ بل لا مقايسة أصلا، فهم يتذكرون ذلك العالم وهم الأنبياء والرسل والأوصياء وشيعتهم الخلص وكل بحسبه.

فالجهل وقصر النظر على الأنا عوامل سببت الوقوع بمصائد الهوى والتي دفعت المتبرعين لتمثيل الدين للتعامل مع هذه العناوين المفصلية بالرأي والقياس والاستغناء عن من أمرهم الله بأتباعهم كونهم السبب الوحيد المتصل بالسماء وعالم الحقائق الذي يوصلهم إلى النجاة، فتخبطوا العشواء وكانت النتائج التي خرجوا بها سببا في فشلهم وتأخرهم وربما فشلهم في الامتحان.

التكليف وعالم الذر

العقيدة الإلهية والمشروع الإلهي أمر واحد منذ أول الخليقة إلى يومنا هذا وسيستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأسه وأساسه هو المعرفة، والمعرفة متعلقة بالمعرّف والقابل، أما المعرّف الأول وهو الله سبحانه– وشاء أن يكون من قام مقامه هو المعرف الذي يناسب المخلوق وهو الأنسان الكامل– فقد أعطى سبحانه للجميع نفس الفطرة ونفس المؤهلات لكي تسمع وتطيع وتسلم فترتقي إلى ما شاء الله أن ترتقي اليه بمقدار انشغالها والتفاتها إلى معرفة الله ، والذي حصل ويحصل هو أن القلة القليلة هم من أجابوا وانشغلوا بالله دون انشغالهم بأنفسهم والكثير هم من غفلوا عنه سبحانه وانشغلوا بتدبير أبدانهم وشهواتهم، وهذه الصورة تتكرر في كل عالم من العوالم التي ننتقل اليها حسب مقتضى الامتحان أو الفرصة الأخرى للنجاة إلا أنها تختلف في كل عالم بمسمياتها ولوازمها وطبيعة أدائها حيث أن لكل عالم

[1] . (القرآن كلّه في الفاتحة، والفاتحة في البسملة، والبسملة في الباء والباء في النقطة. أي أنّ القرآن كلما ارتقينا إلى الله سبحانه وتعالى قل تفصيله؛ لقلة الجزئيات والمتنافيات كلما ارتقت العوالم الملكوتية، حتى تصل إلى النور والكليات فيكون القرآن نوراً كلياً). [المتشابهات- السيد أحمد الحسن: ج٤].

أدواته وقوانينه الملائمة له، فالعبادة والتي هي في الحقيقة المعرفة والتي كان عنوانها الأول الإجابة على سؤال "ألست بربكم" السؤال الذي يتكرر في كل امتحان تؤدى في كل عالم بما يناسبه.

غير أن معظم من فسروا وكتبوا في هذا المضمار وكيف كان السؤال وكيف كانت الإجابة، فقد أوكلوها إلى الحالة الاعتبارية، أي بتعبير آخر أن الامتحان لم يجرِ بشكل حقيقي وأنه مجرد إيداع جملة من الملكات والمؤهلات دفعة واحدة ستظهر بشكل واقعي في عالم الدنيا، وهنا نقول أن مفردة الامتحان تستلزم السؤال بما هو سؤال بغض النظر عن الكيفية، والجواب بما هو جواب كذلك بغض النظر عن الكيفية، ولكن الجواب يأتي بعد عمل وحركة أيا كانت طبيعتها لتظهر حقيقة ما استبطنته نفس الممتحن، ووجه المقارنة قائم حيث أن مفردة الامتحان في عالم الامتحان الثاني في الدنيا تستلزم عمل وتحضير وإجابة ناجمة عن إعمال الفكر وإجالته بعد استغراقه في حيثيات السؤال، فما نتعاطاه هنا من فهم حالة الامتحان هو نفسه هناك والفرق هو الكيفية– فهنا المفصّل وهناك المجمل– التي تحكمها طبيعة ذلك العالم والتي تغيب عنا كوننا في عالم المادة الجسماني المختلف بطبيعته و نظامه.

وبحسب المفسرين كالسيد الطباطبائي والسيد الشريف المرتضى: أن العملية تمت وفق قاعدة كن– أي دفعة واحدة– فلم يدفعهم هذا الفهم إلا إلى القفز على حقيقة أننا عشنا ذلك العالم وامتحنا امتحانا حقيقيا فيه، ففي عالم الذر كان الامتحان الأول وفيه التكليف الخاص بطبيعته[1] والذي وصلنا عنه هو سؤال "ألست بربكم".

---

[1] . في سؤال وجه للسيد أحمد الحسن بهذا الشأن:(المعروف أن عالم الذر هو عالم الامتحان الأول لبني آدم، ولكن هل كانت تلبية العباد عند الاستشهاد "ألست بربكم" بعد عمل منهم، أم كان عالماً لبيان النتائج فقط والعمل هنا؟
فكان جوب السيد أحمد الحسن: (تقصد بالعمل صلاة وصياما و .. و ..، أم ذكرا فقط)؟ فقلت: كل ما يسهم في تقرير المصير وأخذ النتيجة التي اختارها العبد.
فقال: (نعم، فإذن هل يشترط فيه طول المدة أو تعدده؟ هل يكفي أن يكون عملا عباديا واحداً هو الصلاة وهو الصيام وهو الذكر وهو الزكاة وهو الدعاء وهو الحج وهو كل العبادات؟ ألم يقل رسول الله (ص) لعلي (ع): يا علي تفكر ساعة خير من عبادة ألف عام
فالعمل واضح في عالم الذر بينته الآية بكل وضوح: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:١٧٢]، وأشهدهم على أنفسهم.
الآن في هذه الدنيا في هذا الامتحان، هل يوجد شاهد على الأعمال؟ أليس الرسول شاهد، أليس حجة الله شاهد، أليس الملائكة الكاتبون شهوداً، أليس ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً، أليس ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[الإسراء:١٤]. فالإنسان شاهد على نفسه ونفسه ستكون حسابه، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾، ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾، أما كيف ستكون نفسه حسابه فهذا أمر آخر، ولكن نحن الآن في كونه شاهداً على نفسه، يشهد على ماذا، أليس على ما شهد عليه رسول الله، وحجة الله، والملائكة، والله سبحانه ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾؟ إذن، فهناك عمل في هذه الآية- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾- أشهدهم الله عليه.
أنت في هذه الدنيا نفسك مشغولة بتدبير بدنك، لهذا كانت هذه العبادات لتمنع النفس عن الانشغال بالبدن ولتوجه إلى الانشغال بالله، انظر في عبادات الإسلام بحسب ظاهرها ستجدها في هذا، لا تأكل لا تشرب، أترك الشهوات، هذه عبادة الصيام وهي واضحة أنها منع للنفس عن الانشغال بالبدن، وغيرها أيضاً. الحج أنظر فيه، الصلاة كذلك، كلها في أمرين: قطع صلة بهذا العالم وتوجيه إلى العالم الآخر، وذكر الله والانشغال بالله.
الآن، إذا خرجنا من هذا العالم هل يمكن أن تبقى العبادات نفسها؟ أكيد أن من غير الصحيح أن نفرض صور عبادات في هذا العالم على عالم آخر لسببين؛ الأول: عدم الحاجة، والثاني: أن العالم الآخر غير مؤهل لنصبها فيه أو لنؤديها فيه، أي نكون كمن يقول أنا ذاهب إلى الصحراء لأمارس السباحة.

نعود الى القول أن الغاية من ابتداء خلقنا هي المعرفة "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف".

ولذلك يقول الإمام الصادق (ع): (من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما ،انصرف وليس بينه وبين الله عز وجل ذنب إلا غفره له)[1].

فصورة الصلاة في هذا العالم وحقيقتها تعود للمعنى الذي بنيت عليه وهو المعرفة أي معرفة حقائق الآيات والأذكار التي نقرأها ونؤديها في هذا العالم ، فالألفاظ التي تتشكل منها آيات الكتاب أو حتى روايات أهل البيت (ع) هي الترجمة الممكنة في هذا العالم للغة عالم الملكوت، فعندما يقول الإمام الصادق (ع): ركعتين يعلم ما يقول فيها ؛ أي يعلم حقائقها ولو بقدر ما يسعه ويعلم مصاديقها كذلك.

جميع الخلق خاضوا هذا الامتحان وأعطوا نفس الفرصة وهذا عدل الله سبحانه، وعلى هذا الأساس اتضحت حقائق النفوس الممتحنة في هذا العالم.

(لما نشر الله سبحانه وتعالى بني آدم بين يديه سبحانه وخاطبهم: ﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ...﴾ ([الأعراف: ١٧٢])، انقسموا إلى جماعات بحسب إجابتهم:

الجماعة الأولى: هم الذين رأوا النور من وراء الحجب، فأجابوا بـ (بلى) قبل أن يصل السؤال إلى أسماعهم. وتنقسم هذه المجموعة إلى جماعات عديدة بحسب عدد الحجب التي رأوا من ورائها النور.

وهؤلاء هم الذين خرقوا حجب النور ووصلوا إلى معدن العظمة[2]، قال أمير المؤمنين (ع): (إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك)[1].

وفي عالم الذر مثلا عدم الحاجة؛ لأن الجسد المادي الذي تنشغل به النفس غير موجود. أما عدم أهلية عالم الذر لعبادات هذا العالم الجسماني فهو أمر بين. إذن، فالآن أصبح الجواب واضحا وهو أن الامتحان نفسه، وهو واحد في هذا العالم وعالم الذر وعالم الرجعة، ولو قدر الله أن يمتحن الناس ألف مرة سيمتحنهم نفس الامتحان؛ لأن علة الخلق واحدة وهي المعرفة، نعم تفاصيل الامتحان تختلف لعلة اختلاف العوالم، فالصلاة والصيام والحج والزكاة و.. و.. و .. جميعها كانت في الذر وامتحننا الله بها ولكن بحسب ذلك العالم، فالصلاة كانت شيئا واحدا وهي أن أركز نظري على ما يصدر عنه سبحانه، والصيام كان ألغي نفسي، والحج كان أن أسير إليه وأطوف ببابه سبحانه منتظرا أمره، والزكاة أن أعطيه نفسي أن أنحر نفسي بين يديه بمحاربة الأنا ..... ، وهكذا.

كل هذا العمل هل تتصور يحتاج لمدة طويلة مع العلم أن عالم الذر ليس فيه زمن ولا حتى مكان، أم تتصور أنه يحتاج ليكون في أكثر من حدث؟ وهل لو أنه جمع في حدث واحد لا يكون عملاً مثلا ؟! أكيد أنه سيكون عملا ولو جمع في حدث واحد. فقلت: أسأل فقط عن الأمر الأخير، أي " لو جمع في حدث واحد "، ما هو ذلك العمل الواحد.

فقال (ع): (يعني " أنا أو هو "، أنظر لنفسي وأغفل عنه، أم أغفل عن نفسي وأنظر إلى ما يصدر عنه؟ إن كنت الأول فلن أجيب وأقول "بلى" عندما يسأل "ألست بربكم"، وإن كنت الثاني فسأكون أول من يجيب، وبين الأول والثاني ترتب الخلق، وقد بينت لك كيف أن الصلاة والصيام والحج والزكاة تكون في " أنا أو هو " فقط)[العبد الصالح – السيد أحمد الحسن: ج١ص٦٨-٧٠] .

[1] . ثواب الأعمال - الصدوق: ص٤٠.

[2] . عن داود الرقي، عن أبي عبد الله (ع) قال: (لما أراد الله (عز وجل) أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحمّلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون. ثم قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبية، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا: نعم ربنا أقررنا،

والجماعة الثانية: هم الذين رأوا النور بعد أن اخترق الحجب، فأجابوا بـ (بلى) بعد أن وصل السؤال إلى أسماعهم. وأيضاً تنقسم هذه الجماعة إلى جماعات عديدة بحسب سرعة السماع والإجابة، وهاتان الجماعتان هم: الأحرار.

ثم تأتي جماعة العبيد: وهم الذين قالوا (بلى) بعد سماع كلمة (بلى) من غيرهم.

ثم جماعة المنافقين: قالوا (بلى)، ولكن في قلوبهم شك مما سمعوا[٢].

ثم جماعة الكافرين: وهم الذين لم يقولوا (بلى)[٣].

والأنبياء والمرسلون والأئمة (ع) من الجماعة الأولى، وقد رأوا النور من وراء الحجب؛ لأنهم لم يلتفتوا يميناً أو شمالاً، بل تعلقت أرواحهم بالملأ الأعلى، وقصروا نظرهم على جهة الفيض الإلهي، فلم يغفلوا عن الله سبحانه وتعالى، وهم (ع) أيضاً درجات، فمنهم من ركز كل وجوده في النظر إلى جهة الفيض الإلهي، ومنهم من هو أقل من ذلك، وكل واحد منهم (ع) أُعطي بحسب ما أَعطى، ورأى من آيات ربه بحسب ما سعى بالنظر لها. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى* وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ([النجم : ٣٩ – ٤٢]). ففي ذلك العالم كان جميع بني آدم مختارين، وكل واحد منهم يمتلك فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكل واحد بإرادته قَصَرَ نظرَه على النور فأصبح من المقربين، أو على الظلمات فأمسى من أصحاب الجحيم. فالأنبياء والمرسلون والأئمة (ع) هم الذين اختاروا الله سبحانه، وقصروا نظرهم على النور فاصطفاهم الله سبحانه)[٤].

فقال الله (سبحانه وتعالى) للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق) [بحار الأنوار : ج٥ ص ٢٤٤] .

[١] . مقطع من المناجاة الشعبانية، انظر: إقبال الأعمال : ص٦٨٧.

[٢] . عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله (ع) في قوله: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) [بحار الأنوار: ج٥ ص٢٣٧].

[٣] . عن أبي جعفر عن أبيه عن جده (ع): (إن رسول الله (ص) قال لعلي (ع): أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: محمد رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: وعلي أمير المؤمنين؟ فأبى الخلق كلهم جميعاً إلا استكباراً وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) [بحار الأنوار : ج٢٤ ص٢].

[٤] . المتشابهات – السيد أحمد الحسن: ج١ ص٤١-٤٣.

الفشل في الامتحان

أولئك الذين يعتقدون أو يقولون أن هناك ما يبرر نكرانهم لما حدث في عالم الذر وأخذ الميثاق على الجميع كونه لم يستوف الحجة وأن عدم تذكّرهم يبرر نكرانه أو عدم التصديق بحدوثه وهذا مردود لاعتبارات عدة:

أولا: إنه أخذ عليهم الميثاق في عالم الذر والقى عليهم الحجة؛ لأنه أعطاهم وأودع في فطرتهم ما يمكنهم من الوفاء بالعهد والميثاق في ذلك العالم.

ثانيا: الذين آمنوا كانوا حجة عليهم كونهم مارسوا نفس الفعل وخضعوا لنفس الامتحان دون أي تمايز أو أي مؤهلات أعطيت لأحد دون الأخر.

ثالثا: إن الذي حدث في عالم الذر سيحدث في عالم الدنيا؛ لأنهم سيعيدون نفس الإجابات، وبالطبع بممارسات وأفعال تناسب العالم الجسماني الذي نعيش فيه أو عالم الامتحان الثاني أو عالم الدنيا.

رابعا: الذين يقولون إننا لم نتذكر تلك النشأة ولم نتذكر بأننا خضعنا للامتحان فأن الله قطع عليهم العذر وألقى عليهم الحجة بأن أرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ومذكرين، وهؤلاء كانوا أول المجيبين لنداء ألست بربكم وكل بحسبه.

فالمجيبون الأوائل الذين قالوا بلى بقوة أصبحوا رسلا ودعاة ونذر وفي ذات الوقت هناك من قال بلى بعد أن سمعها منهم فالله لم يفضل أحد على أحد لأن الجميع معهم نفس الفطرة للوصول لما وصل إليه المجيبون الأوائل "نذير من النذر الأولى"؛ لأنهم قالوا هو والباقون قالوا أنا.

ومازالت ألست بربكم تصل للغافلين الذين انشغلوا بأنفسهم وتدعوهم للاستفادة من الفرصة الثانية ليجيبوا.

والآيات التي تشير إلى هذا المعنى واضحة وجلية:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1].

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

[1]. الغاشية : ٢١.

﴿هُذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾[٢].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣].

وهناك من يقول إن دعوات وتبليغ الأنبياء والرسل لم تصل إلى البعض ولذلك يتعكزون على هذا الفهم ليخلوا ساحة الفاشلين في الامتحان من المسؤولية، فالذين لم يصلهم التبليغ في الدنيا في علم الله لم يؤمنوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤]. وهذا الأمر أوضحناه؛ لأنهم هكذا كان حالهم في عالم الذر وامتحان الذر الأول والذي سوف لن تغير في عالم الدنيا أو في الامتحان الثاني، وذلك في علم الله سبحانه؛ لأنهم سيعيدون نفس التقصير، فالله ملق حجته فلا أعذار.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ*قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥].

الحجر الأسود شاهد على الوفاء بالعهد والميثاق

عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبد الله (ع): لأي علة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضع في غيره؟ ولأي علة يقبل؟ ولأي علة أخرج من الجنة، ولأي علة وضع ميثاق العباد فيه والعهد فيه ولم يوضع في غيره، وكيف السبب ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك فإن تفكري فيه لعجب!

قال. فقال: (سألت وأعضلت في المسالة واستقصيت، فافهم الجواب وفرغ قلبك وأصغ سمعك، أخبرك إن شاء الله، إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الاَسود وهي جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم (ع) فوضعت في ذلك الركن لعلة الميثاق، وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي ذلك المكان تراءى لهم، وفي ذلك المكان يهبط الطير على القائم (ع) فأول من يبايعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل (ع) وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافى في ذلك المكان، والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل على العباد.

---

[١]. الاعراف: ١٨٨ .
[٢]. النجم : ٥٥.
[٣]. النساء : ١٦٥.
[٤]. البقرة : ٦.
[٥]. الأنعام : ١٤٨.

فأما علة ما أخرجه الله من الجنة، فهل تدري ما كان الحجر؟ قلت: لا، قال: كان ملكا من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذه لله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الإِقرار في كل سنة ، فلما عصى آدم أخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد (ص) ولوصيه (ع) وجعله تائهاً حيراناً، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة وأنطقه الله عز وجل، فقال له: يا آدم أتعرفني؟ قال لا، قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم عليه السلام في الجنة، فقال لآدم: أين العهد والميثاق، فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكى وخضع وقبله، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة درة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيما، فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل (ع) حتى وافى به مكة، فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإِقرار له كل يوم وليلة، ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان؛ لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقم الله الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن وتنحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوالي المروة، ووضع الحجر في ذلك الركن، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله وهلله ومجده، فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، فإن الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة ....)[1].

عن بكير بن أعين، قال: سَألت أبا عبد الله (ع) لأي علة أخرج (الحجر) من الجنة، وأي علة وضع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره؟

(فأما علة ما أخرجه الله من الجنة فهل تدري ما كان الحجر؟ قلت: لا قال كان ملكا من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك فاتخذه الله أمينا على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الاقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كل سنة فلما عصى آدم واخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد

[1]. بحار الأنوار - المجلسي:ج٣ ص٢٧٦.

(ص) ولوصيه (ع) وجعله تائها حيرانا، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنة إلى آدم (ع) وهو بأرض الهند فلما نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة وأنطقه الله عز وجل فقال له: يا آدم أتعرفني؟ قال: لا، قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة فقال لآدم: أين العهد والميثاق فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبله وجدد الاقرار بالعهد والميثاق ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة الحجر درة بيضاء صافية تضيئ فحمله آدم (ع) على عاتقه إجلالا له وتعظيما فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل (ع) حتى وافا به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الاقرار له كل يوم وليلة ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق ولذلك وضع في ذلك الركن ونحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحواء إلى المروة ووضع الحجر في ذلك الركن فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله وهلله ومجده فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا فإن الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة لان الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة ولعلي (ع) بالوصية اصطكت فرائص الملائكة فأول من أسرع إلى الاقرار ذلك الملك لم يكن فيهم أشد حبا لمحمد وآل محمد (ص) منه ولذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق وهو يجيئ يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق)[1].

ويؤكد كونه أبيض اللون ما رواه الشيخ الصدوق عن حريز بن عبد الله (ع) عن الإمام الصادق (ع) قال:

(كان الحجر الأسود أشد بياضا من اللبن، فلولا ما مسه من أرجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برء)[2].

عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (ع) قال: (ولقد كان أشد بياضا من اللبن ولكن المجرمين يستلمونه والمنافقين، فبلغ كمثل ما ترون)[3].

تؤكد لنا الروايات المتقدمة :

---

[1] . الكافي - الكليني:ج٤ ص١٨٤- ١٨٦, علل الشرائع - الصدوق:ج٢ ص٤٢٩ - ٤٣١.
[2] . نفس المصدر السابق : ج٢ ص٤٢٨ح١.
[3] . نفس المصدر: ج٢ ص٤٢٣ح٧، وراجع أيضا ما رواه ص٤٢٧ح١٠.

١- أن هناك عالما قبل عالمنا هذا أخذ الله سبحانه فيه العهد والميثاق على الخلق وهو عالم الذر.

٢- أن مسألة أخذ العهد والميثاق حاكية عن امتحان الله للخلق.

٣- أن حقيقة الحجر ملك من الملائكة كان أشدهم حبا لمحمد وآل محمد (ص) وأسرعهم للإقرار بالعهد والميثاق ، وأنه حافظ لشهادة كل من حفظ العهد والميثاق في يوم القيامة.

أصل الحجر الأسود

عن الإمام الصادق (ع) قال: (كان ملكا من عظماء الملائكة عند الله، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك فاتخذه الله أمينا على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم)[١].

فأصل الحجر ملك من الملائكة اختاره الله لأن يكون أمينا على العهد والميثاق لعلة كونه:

أولا: أول ملك من الملائكة آمن وأقر بالميثاق.

ثانياً: كان أشد الملائكة حباً لمحمد وآل محمد (ع) وهنا بيت القصيد فالميزان والمعيار لتفضيل الله أي مخلوق على الآخر هو مقدار حبه وموالاته وطاعته لمحمد وآل محمد (ع)؛ لأن محمد وآل محمد (ع) هم تجلي الله في الخلق؛ لأنهم مظهري أسماء الله وصورة الله التي بها يعرف الله ويبلغ الله بها مراده من "خلقت الخلق لكي أعرف"، فكان هذا الحجر شاهداً على العباد بالعهد والميثاق المأخوذ عليهم في الذر وهو بحد ذاته شاهدا آخر على مصداقية القول بوجود عالم الذر والامتحان للخلق فيه وحجة أخرى على من ينكرونه.

يقول السيد أحمد الحسن: (.. فعمر بن الخطاب عندما قبل الحجر صرح بأنه كاره لهذا الفعل ومنكر ومستخف بهذا الحجر وكونه الشاهد على العباد بالوفاء بالعهد والميثاق المأخوذ عليهم في الذر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢].

---

[١] . الكافي - الكليني: ج٤ ص١٨٥.

[٢] . الأعراف : ١٧٢.

وهذه إشارة جلية لمن لهم قلوب يفقهون بها، بأن عمر بن الخطاب منكر للعهد والميثاق المأخوذ ولذا فنفسه تشمئز من الحجر الشاهد، وبالتالي يحاول عمر إنكار كون الحجر شاهداً حقيقياً، فيخاطب عمر بن الخطاب الحجر الشاهد والحجر الأساس والحجر الأسود بقوله: (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع)، وبما أن الناس الذين كانوا يحيطون بعمر في هذا الموقف قد رأوا رسول الله محمدا (ص) حفي بهذا الحجر شديد الاهتمام به ويقبل هذا الحجر ويسجد عليه، بل هم أنفسهم قد ورثوا عن حنيفية إبراهيم (ع) تقديس هذا الحجر والاهتمام به، لذا تدارك عمر قوله بفعله فقبَّل الحجر ولكن بعد ماذا؟! بعد أن سفه عمر تقبيل الحجر الأسود بأنه حجر لا يضر ولا ينفع، وبالتالي فلا حكمة في تقبيله، وبالتالي فإن عمر بقوله وفعله أراد أن يهمش الحجر الأسود وينفي كونه شاهدا، ويجعل تقبيل رسول الله (ص) للحجر وسجوده عليه أمراً مبهماً غير مفهوم خالٍ من الحكمة، والحقيقة أنه لو كان الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع لكان فعل رسول الله (ص) وحاشاه خالياً من الحكمة، ولا يمكن أن يكون فعل رسول الله (ص) له معنى وحكيماً إن لم يكن هذا الحجر يضر وينفع بإذن الله وبحوله وقوته سبحانه)[1].

فالحجر إذن شاهد على العباد في الوفاء بالعهد والميثاق، كما يقول السيد أحمد الحسن (عليه السلام) (بقي أن أمانة كل إنسان مرتبطة بصاحب الأمانة، وهو كما عبر عنه (ع): بأنه ملك ابتلع كتاب العهد والميثاق، وهو الحجر الأسود في الركن العراقي في الكعبة. وهو في الحقيقة إنسان، وهو المهدي الأول واليماني، وهو صاحب الأمان، ولذلك فهو الفاتح لدولة العدل الإلهي والممهد الرئيسي لها، والحاكم الأول بعد قائدها الإمام المهدي (ع). وكل إنسان يحج بيت الله لابد له من المرور على الحجر، والركن اليماني، وبينهما باب الكعبة، أو كما سمي الملك الذي ابتلع كتاب العهد والميثاق، ولابد له أن يتعاهده ويجدد العهد مع الله من خلاله.

قال رسول الله (ص): (استلموا الركن، فإنه يمين الله في خلقه، يصافح بها خلقه، مصافحة العبد أو الدخيل، ويشهد لمن استلمه بالموافاة)[2]، ومراده (ص) بالركن: الحجر الأسود؛ لأنه موضوع فيه، وإنما شُبِه باليمين؛ لأنه واسطة بين الله وبين عباده في النَيل والوصول والتحبب والرضا كاليمين حين التصافح.

وقال الصادق (ع): (إن الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها، فلذلك يقال: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة)[1].

---

[1] . الجواب المنير عبر الأثير- السيد أحمد الحسن: ج٤ س٣٢٧.
[2] . المحاسن - للبرقي: ج١ص٦٥.

وقال (ع): (الركن اليماني باب من أبواب الجنة، لم يغلقه الله منذ فتحه)[٢].

وقال (ع): (الركن اليماني بابنا الذي يُدخل منه الجنة، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد)[٣].

وعن رسول الله (ص): (... فأقول أمتي يا رب أمتي، فيقال يا محمد أدخل أمتك من لا حساب عليهم- أي المقربين أصحاب اليماني- من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ...)[٤].

(فالحجر والركن اليماني يشيران إلى اليماني صاحب الأمانة والذي ابتلع الأمانة، وهي الميثاق الإلهي، والبيت (الكعبة) يشير إلى آل محمد (ع) ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [٥])[٦].

فهل سيتذكر الخلق الغافل هذا العهد والميثاق؟ وإذا ظل مصرا على النسيان فقد أقام الله سبحانه الحجة دائمة لا تغيب حتى عن حواسه وعالمه الذي مازال مصرا على البقاء ملتصقا به، فهذا الحجر الأسود يحكي القصة كاملة، والناس تبذل الغالي والنفيس لتصل إليه، هل ستعرف لماذا تقبله؟!

والسيد اليماني رجل من آل محمد (ع) اثبت حجيته بالنص وأقام الدليل القطعي عليه يكشف لنا سر الحجر الأسود وهو الملك الذي ابتلع العهد والميثاق.

الكثير ممن يجهلون بامتحان الذر يحاولون أن يصوروا هذا الامتحان أمرا اعتباريا لا يمكن تشخيصه والاستدلال عليه قبل وجود الإنسان في هذا العالم حاملا معه شيئاً اسمه الفطرة التي سوف تأخذ دورها في عالم الدنيا عندما يبدأ سن التكليف، وليس هناك شيئا يمكن وضعه في الحسبان قد جرى قبل هذا العالم وتقررت نتائجه من سعادة أو شقاء.

وسبب هذا التصور هو عدم إدراكهم لامتحان جرى في عالم غير عالمهم هذا، وكذلك لعدم قبولهم حقيقة نسيان هذا الإنسان لذلك العالم؛ لأنهم لم يفرقوا بين عالم أنفس جرى فيه الامتحان وعالم مادي حجبت فيه النفوس فأنسته ما جرى هناك، وبالتالي أبعدهم هذا التصور عن قضية كان محورها الامتحان بطاعة من حضوا بالمراتب العليا بأن يكونوا محلا لتجلي اسماء الله، والمظهرين لها وهم محمد وأل محمد (ع)

---

[١] . وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ج١٣ص٣١٤.
[٢] . الكافي- الكليني: ج٤ ص٤٠٩ح١٣.
[٣] . جامع السعادات - النراقي: ج٣ ص٣١٤.
[٤] . صحيح البخاري: ج٥ ص٢٢٧، صحيح مسلم: ج١ص١٢٨.
[٥] . هود : ٧٣.
[٦] . المتشابهات - السيد أحمد الحسن: ج٤ ص٨٤-٨٥.

فاختارهم الله واجتباهم ليكونوا وجهه الذي يواجه به الخلق فكانوا حججا على الخلق في ذلك العالم، فصاروا محلا لنزول الفيض الإلهي ليكونوا هم المتفضلين على الخلق؛ لأنهم الأدلاء لهم على الله، والمذكرين لهم في هذا العالم؛ ولأن عالم الذر عالم المعاني لقلة الجزئيات والمتنافيات – كما توضح– فالتفصيل لم يكن من لوازمه، ولذا وبما أن الامتحان الثاني هو عالمنا وهو عالم تحكمه المادة والكثافة وتترجم لوازمه الألفاظ وهو عالم التفصيل والكثرة فسيكون الفصل الثاني إن شاء الله حاكياً عنه حيث أن هذا العالم الجسماني–عالم الدنيا– تتشخص فيه مصاديق حجج الله وخلفاءه (ع) الذين زودهم الله بالعلم ليكونوا حجة واضحة عليهم تُستكشف من خلالها مرة أخرى بواطنهم، فتدلهم على الطريق مرة أخرى وتذكرهم بعالم عشناه وامتحنا فيه، فسنتناول ما يسعفنا في إبراز هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

عالم الظلمة الثاني (عالم الدنيا)

طبيعة عالم الدنيا

وهو عالم مادي جسماني كثيف لشدة الظلمة والبعد عن مصدر النور وهو عالم تنزلي بالنسبة للعالم المثالي الذي سبقه وهو عالم الذر، ولعل قصة هبوط آدم وحواء (ع) وتغير أحوالهم بعد هبوطهم إلى الأرض بعد أن كانوا في السماء الأولى يبين لنا كثافة وجسمانية عالم الدنيا الذي نزل إليه، بعد أن كانوا في عالم الذر أنفسا امتحنت فيه، فعندما نزلت إلى هذا العالم ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[1] تركبت في الأبدان الكثيفة التي تلائم ظروف وطبيعة عالم الدنيا أو الأرض ليتم امتحانها فيها[2].

(.. قصة خلق آدم (ع) من الطين المرفوع إلى السماء الأولى ونفخ الروح فيه. فآدم خلق في الجنة الدنيوية الموجودة في السماء الأولى. فنحن سماويون وقد خلقت أنفسنا من الروح المنفوخ في الطين المرفوع لكي يتم امتحاننا في هذه الأرض، وتتمكن الأنفس من التواصل مع الأجسام الأرضية التي ستكون حيز امتحانها في هذا العالم الجسماني المادي)[3].

عن الإمام الصادق (ع): (..إن آدم(ع) لما هبط من الجنة نادى ملك: أيتها الأرض ومن عليها و فيها من الخلق، قد هبط إليكم إنسان نسي عهد ربه، فسماه إنسانا، فأول ما سمع النسر بذلك انفض إلى الحوت وأخبره بذلك ففزع، وقال كل واحد منهما لصاحبه: هذا وقت الوداع بيني و بينك، فويل لأهل البحر والبر من هذا الإنسان. قال: وبقي آدم(ع) باكيا ساجدا لله تعالى حتى شربت الطير من دموعه، ونبتت الأشجار و رسخت عروق رجليه في الأرض كما ترسخ الأشجار، وبكت معه السباع، فلما لقيته ولت عنه هاربة، وقالت: نحن سكان الأرض قبلك يا آدم، وقد أفزعتنا وأبكيتنا لبكائك، وأورثتنا حزنا طويلا. فمن ذلك صارت لا تأنس ببني آدم، و يقال: تفرقت عنه جميع الطيور أيضا إلا النسر، فإنه كان يساعده. ثمّ أنبت الله له الشعر و اللحية، فكان آدم(ع) قبل ذلك اليوم أمرد كأنه الفضة البيضاء، فلما

---

[1] . الأعراف : ٢٤-٢٥.

[2] . (كانت بداية خلق آدم من طين الأرض وماءها ؛ لتحمل نفسه في السماء الأولى ما في الأرض من قوة وشهوة للتكاثر والعيش في كل على الأرض وتؤهله ليهيمن على الأرض) عقائد الإسلام – السيد أحمد الحسن: ص ٢٥٧.

[3] . وهم الإلحاد – السيد أحمد الحسن: ص١٤٩.

نظر آدم(ع) إلى اللحية، قال: «يا رب، ما هذا الذي لم أعهده منك في الجنة؟». قال: «هذه لحيتك، غير أنّها زينتك، ليعرف الذكر من الأنثى)[1].

لماذا الامتحان؟

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال قلت لأبي عبد الله (ع) لأي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محل؟ فقال (ع):

(إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل بقدرته في الأبدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة بها وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على بعض ورفع بعضها على بعض في الدنيا ورفع بعضها على بعض في الآخرة وكفى بعضها ببعض وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزيدهم في الشر وليدلهم بطلب المعاش والمكاسب فيعلموا بذلك أنهم بها مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من الفزع إلى ما ليس لهم بحق، ثم قال (عليه السلام): يابن الفضل إن الله تبارك وتعالى أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية ومنهم قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجمعهم يا ابن الفضل إن الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم ولا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)[2].

بقليل من التدبر نجد أن الله سبحانه أغدق على الخلق بواسع كرمه ولطفه بهم إذ لو تركهم أرواحاً لوقعوا في محذور أكبر وهو إمكانية ادعائهم الربوبية فتسوء عاقبتهم فلا يكونوا إلى خير ويفقدون فرصتهم في تغيير حالهم، ولكن الله تعامل معهم باللطف وهو سبحانه كما يقول أبو عبد الله (ع) في الرواية أعلاه أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم، لعلمه سبحانه ببواطنهم، وبالفعل فمنهم من ادعى الربوبية منهم من

[1] . تفسير البرهان – هاشم البحراني: ص٣٥٨-٣٥٩.
[2] . علل الشرائع - الصدوق: ج١ص١٥- ١٦ باب العلة التي من أجلها جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد أن كانت مجردة عنها في أرفع محل.

ادعى الإمامة مع ما بهم من عجز وضعف وحاجة وهم ناظرون إلى حالهم هذا مغلوبون مقهورون ومع ذلك ادعوا، إذن كان أمر انزال أرواحهم في الأبدان مبَررا من حيث مصلحتهم هم، فلا حاجة أو شأن له سبحانه فهو غني عن العالمين ، أما مسألة ادعاء بعض الخلق بالربوبية أو النبوة أو الإمامة فهذا لا ينفي مداركة الله سبحانه لهم بعد أن أودع في فطرتهم القدرة على اختيار الخير وطاعة من وجبت عليهم طاعته، فمن يختار غير الحق فهو على حد قول الإمام الصادق (ع) " ولكن الناس أنفسهم يظلمون".

أما لماذا تكرر هذا الامتحان؟

يقول السيد أحمد الحسن: (إن إعطاء الفرصة حقيقي وليس وهمياً، فالله سبحانه قد أعطى للخلق فرصة حقيقية لتغيير النتيجة إن كانت سيئة في الذر، ولكن لأن حقائقهم منكرة وخبيثة تكرر نفس النتيجة، أي أن الحكمة هي أن الله كريم رؤوف رحيم، وهذه الفرصة الأخرى هي ظهور لفضله ولكرمه ورحمته سبحانه، إضافة إلى ما بينه الإمام الصادق (ع) في أن إنزال الأرواح في هذا العالم الجسماني الضيق هو ليظهر لها ضعفها من خلال ضيقه وقيوده ... وأيضا هناك علة بينها الله سبحانه وتعالى هي أيضا متعلقة برحمته وكرمه، وهي أنه يعلم أنهم سيطلبون فرصة ثانية وبالتالي قدم لهم هذه الفرصة قبل أن يطلبوها، فمع هذا التكرار وهذا الكرم منه سبحانه تجدهم يطلبون في الآخرة أن يعاد امتحانهم ، ويطلبون فرصة أخرى غير الفرص التي منحت لهم سابقا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1].

بعد أن عرفنا أن الغاية من خلقنا هو الوصول إلى أقصى مرتبة ممكنة من المعرفة – وهي معرفة اللاهوت المطلق– وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة من يمثل صورة الله في الخلق أو اللاهوت في الخلق وهو خليفة الله الكامل، فقد اقتضى أن يكون الطريق إلى هذه المعرفة عبر الامتحان وهذا الامتحان يجري بحسب مرتبة الوجود وطبيعتها فكان الامتحان الأول في عالم الذر– وقد ذكرنا بأنه عالم لطيف جرى في السماء الأولى وهي ليست سماء جسمانية، أي أنه ليس عالما جسمانيا أو كثيفا إذ تنحسر فيه التفاصيل المعبرة عن وجود الخلق في ذلك العالم ووفقا لذلك تفاصيل الامتحان كذلك مختلفة عما يجري في هذا العالم المادي الجسماني– عالم الكثرة – فمادة الامتحان تناسب طبيعة هذا العالم وتفاصيله وحيثياته[2] ،

---

[1] . غافر : ١١.

[2] . (إذن، فهناك عمل في هذه الآية - ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ - أشهدهم الله عليه.

وبما أن وجودنا في هذا العالم– عالم الدنيا– الجسماني هو لغرض أداء الامتحان الثاني– يمثل الفرصة الثانية الممنوحة للخلق من قبله سبحانه– فستكون تفاصيل هذا الامتحان عبارة عن جميع الممارسات التي تتعلق بعلاقة الانسان بالله سبحانه وبالتالي علاقته بخلفاء الله وكل ما يخص العقائد والتشريع، فهذه الممارسات والأعمال المتصلة بالعقائد والتشريع ستكون انعكاسا آخر أو صورة أخرى للامتحان الأول في عالم الذر ولكن بشكل تفصيلي يناسب هذا العالم الجسماني.

ولذلك ستكون كل العناوين المطروحة في هذا الفصل معبرة عن هذه الممارسات، أو الصورة المتكثرة لتفاصيل الامتحان في هذا العالم والتي كانت صورتها في الامتحان الأول (ألست بربكم)، فهي تعني – أقصد بيها العناوين المطروحة للمناقشة في هذا الفصل– كل أشكال الممارسات والتعامل من جهة المكلف اتجاه خالقه سبحانه وبصورة أدق اتجاه صورة الله في الخلق وهو الخليفة الإلهي المعرف بالله ووجوب معرفته واتباعه والتسليم له، أما بعض العناوين التي تكشف عن صفات ومميزات حجج الله (ع) فهي لأجل معرفة نوع العلاقة القائمة بين المكلف وبين خلفاء الله (ع) فيما يخص العلوم والأخلاق الإلهية التي يتصف بها خلفاء الله وهي بحد ذاتها تضع المكلف على الصراط القويم وتوصله إلى النجاة مادام متمسكا بها.

أنت في هذه الدنيا نفسك مشغولة بتدبير بدنك، لهذا كانت هذه العبادات لتُمنع النفس عن الانشغال بالبدن ولتُوجه إلى الانشغال بالله، انظر في عبادات الإسلام بحسب ظاهرها ستجدها في هذا، لا تأكل لا تشرب، اترك الشهوات، هذه عبادة الصيام وهي واضحة أنها منع للنفس عن الانشغال بالبدن ، وغيرها أيضاً. الحج انظر فيه ، الصلاة كذلك، كلها في أمرين: قطع صلة بهذا العالم وتوجيه إلى العالم الآخر، وذكر الله والانشغال بالله.
الآن، إذا خرجنا من هذا العالم هل يمكن أن تبقى العبادات نفسها ؟ أكيد أنّ من غير الصحيح أن نفرض صور عبادات في هذا العالم على عالم آخر لسببين؛ الأول: عدم الحاجة، والثاني: أن العالم الآخر غير مؤهل لنصبها فيه أو لنؤديها فيه، أي نكون كمن يقول أنا ذاهب إلى الصحراء لأمارس السباحة.
وفي عالم الذر مثلاً عدم الحاجة؛ لأن الجسد المادي الذي تنشغل به النفس غير موجود. أما عدم أهلية عالم الذر لعبادات هذا العالم الجسماني فهو أمر بيّن. إذن، فالآن أصبح الجواب واضحاً وهو أنّ الامتحان نفسه، وهو واحد في هذا العالم وعالم الذر وعالم الرجعة، ولو قدّر الله أن يمتحن الناس ألف مرة سيمتحنهم نفس الامتحان؛ لأن علة الخلق واحدة وهي المعرفة ([قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]، أي ليعرفون، كما هو واضح عن آل محمد (ع).])، نعم تفاصيل الامتحان تختلف لعلة اختلاف العوالم، فالصلاة والصيام والحج والزكاة و.. و.. و .. جميعها كانت في الذر وامتحننا الله بها ولكن بحسب ذلك العالم، فالصلاة كانت شيئاً واحداً وهي أن أركز نظري على ما يصدر عنه سبحانه، والصيام كان ألغي نفسي، والحج كان أن أسير إليه وأطوف ببابه سبحانه منتظراً أمره، والزكاة أن أعطيه نفسي أن أنحر نفسي بين يديه بمحاربة الأنا ..... ، وهكذا.
كل هذا العمل هل تتصور يحتاج لمدة طويلة مع العلم أنّ عالم الذر ليس فيه زمن ولا حتى مكان، أم تتصور أنه يحتاج ليكون في أكثر من حدث؟ وهل لو أنه جمع في حدث واحد لا يكون عملاً مثلاً ؟! أكيد أنه سيكون عملاً ولو جمع في حدث واحد).
فقلت: أسأل فقط عن الأمر الأخير ، أي " لو جمع في حدث واحد " ، ما هو ذلك العمل الواحد .
فقال (ع): (يعني " أنا أو هو "، أنظر لنفسي وأغفل عنه، أم أغفل عن نفسي وأنظر إلى ما يصدر عنه ؟ إن كنت الأول فلن أجيب وأقول "بلى" عندما يسأل "ألست بربكم"، وإن كنت الثاني فسأكون أول من يجيب، وبين الأول والثاني ترتب الخلق، وقد بينت لك كيف أن الصلاة والصيام والحج والزكاة تكون في " أنا أو هو " فقط).(مع لعبد الصالح- السيد أحمد الحسن).

عالم الدنيا دار الامتحان في الثقلين

الدنيا وجود مؤقت والنصوص القرآنية بالغت في وصفها بهذا المعنى.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[3].

فالمتاع القليل وحصرها باللهو واللعب حاكيا عن وجودها الاعتباري الوهمي من حيث كونها وجود مادي جسماني لم ينظر الله إليه منذ خلقه، وهنا أقول الوهمي؛ لأن الدنيا وما يتعلق بوجودنا المادي فيها أنما هو وجودات تحمل عدمها معها أو أنها أعدام لها القابلية على الوجود.

(الحقيقة، إن وجود الخلق هو مجرد وجود اعتباري في مقابل وجود الله الحقيقي وحالنا كحال التفاوتات الكمية في الفضاء والتي تعج بها أجسامنا، فنحن في مقابله سبحانه وتعالى مجرد أعدام؛ لأننا أصلا لم نخرج من العدم، إنما نحن في العدم ونحمل عدمنا معنا، فحقا لا يوجد سواه سبحانه ربما يصعب على بعض المتدينين فهم هذه العبارات والتي عرضت برهانها العلمي قبل أن أطلقها، ولكن هناك كثير من الحقائق العلمية المبرهنة يصعب فهمها كميكانيك الكم والنسبية العامة، فهل من السهل فهم واستيعاب أن الكترونا واحدا وهو جسيم مادي يدخل من شقين في صفحة واحدة في نفس الوقت، أم هل من السهل فهم أن الزمان بعد كوني رابع كأبعاد المكان الثلاثة وأن كتلة الأرض تؤثر في الزمان وتحنيه في نسيج الزمكان)[4].

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[5].

---

[1] . الأنعام : ٣٢.
[2] . التوبة : ٣٨
[3] . يونس : ٧٠ .
[4] . وهم الإلحاد - السيد أحمد الحسن: ص٥٥٩.
[5] . الأنعام : ٢٩.

فالحياة الحقيقية في الآخرة ودعوات الترغيب في الآخرة من الله سبحانه وتعالى واقعية من حيث إن الله يريد لخلقه الرقي وحسن العاقبة ومن حيث إن ما يقوله سبحانه عين الصدق والحقيقة لأن حديثه أصدق الحديث ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[١].

قال رسول الله (ص): (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[٢].

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٣].

﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

وبمقابل ذلك نجد كيف أن الظلام والجهل استولى على وجود هؤلاء الذين تقمصوا دور خلفاء الله فأصبحوا لا يرون ولا يؤمنون إلا الذي حولهم قد ملأ الطين أسماعهم وأبصارهم بل وحتى قلوبهم فلا إيمان بغيب ولا علم وسواءً كان هذا المعنى قولا أو فعلا حاكيا عن الحال.

(إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها متزوّد والأعمى لها متزود)[٥].

فالأعمى لا يستطيع السير إلا بمن يرشده الطريق ويأخذ بمعصمه.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٦].

أمير المؤمنين(ع) يحذر:

(أيها الناس أحذركم الدنيا والاغترار بها فكأن قد زالت عن قليل عنكم كما زالت عمن كان قبلكم، فاجعلوا اجتهادكم فيها التزود من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل فإنها دار عمل والآخرة دار القرار والجزاء)[٧].

---

[١]. النساء : ١٢٢.
[٢]. بحار الأنوار - المجلسي - ج٨٩ ص١٩ ،كتاب فضائل القرآن- سنن الدارمي- باب فضل كلام الله على سائر الكلام - رقم٣٣٥٦.
[٣]. القرآن الكريم –سورة غافر – الآية:٣٩.
[٤]. الزخرف :٣٥.
[٥]. نهج البلاغة - خطبة ١٣٣.
[٦]. آل عمران : ١٠٣.
[٧]. نهج السعادة - الشيخ المحمودي:ج٣ ص١٥٠.

فوجودها مؤقت كما يقول أمير المؤمنين (ع)؛ لأن يومها قصير وطارئ على الوجود الحقيقي ولكن الغفلة التي منشأها الحجب التي تراكمت وتعددت بمقدار ما تتوجه النفس للعالم المادي الزائل على حساب عالم البقاء، وهذه الحقيقة واضحة لمن يتفحصها في كل الكتب السماوية وآثار الأنبياء والرسل والأوصياء(ع)؛ بل وحتى العلوم الطبيعية الدقيقة والمثبتة تشير إلى مصير هذا العالم الجسماني واندثاره في النهاية، والحقيقة هو أن دورة الفلك الأعظم ومسيرة الوجود تقتضي المرور بهذه المحطة الفانية لاستكمال مشروع الامتحان ثم بداية الصعود إلى عالم آخر.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فليست الدنيا وما فيها جواهر وليس لها دوام الوجود أو لها حظ من الحقيقة بل هي كما يصفها القرآن عرض والعرض زائل ليس له بقاء.

قال أمير المؤمنين (ع): (ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها: إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه، زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله: أكرم الله محمدا أم أهانه، فإن قال أهانه، فقد كذب والله العظيم بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه)[2].

(والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه)[3].

(والدنيا دار مُنِي لها الفناء)[4].

(فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ ، وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم)[5].

---

[1] . الأنفال : ٦٧.
[2] . نهج البلاغة: خطبة ١٦٠.
[3] . نهج البلاغة - محمد عبدة ٢: ٧٢- ٧٨.
[4] . نفس المصدر - خطبة ٤٥.٢.
[5] . نفس المصدر - خطبة ٣٢.

(فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات وتحببت بالعاملة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة، حائلة، زائلة نافذة، بائدة ، أكالة غوالة)[1].

والذي يؤمن بالقرآن ويصدق بآياته و إخباراته، فها هو يخبرنا عن وجود الدنيا العرضي الزائل فعلا وليس اعتبارا.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فكل خلفاء الله من الأنبياء والرسل والأوصياء(ع) زويت عنهم الدنيا وأكلوا الجشب ولبسوا فيها الخشن وذاقوا مرارتها مقهورين مظلومين، ولو كانت لأحد فيها مقرا لكانوا أولى بها، ولكنهم عرفوها دنية زائلة تذل من ركن إليها خداعة غرور فخاطبها أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب(ع):

(يا دنيا غري غيري، أبي تعرضت ام الي تشوقت، هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعشيك حَقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق)[4].

فالعاقل واللبيب يفهم من قول أمير المؤمنين (ع) بأن وجوده في هذه الدنيا قصير؛ لأن عمر الدنيا قصير، فهو يخاطبها ويقول لها عمرك قصير، فهل أن شيئاً اذا نفذ عمره يكون له بقاء؟! ثم إن أمير المؤمنين (ع) يؤكد هذا المطلب ويقول أنه في سفر والسفر بعيد، فليست هي محط الرحال، ولاهي غاية المنال، بل هي محطة مرور يقضي الأنسان وطره منها ثم يغادرها، فما هي إلا قاعة امتحان ثم ينتقل منها الإنسان إما شقيا أو سعيدا.

(وفي نهاية حركة الفلك الأعظم (أقصد قوس النزول)، وبداية صعوده إلى جهة الآخرة، سيبدأ هذا العالم الجسماني بالتحول إلى جحيم ويستعر، فالذين اختاروا زخرف الأرض عقوبتهم إعادتهم إلى ما

---

[1] . نفس المصدر - خطبة ١٠٩.
[2] . المؤمنون : ١١٢- ١١٥.
[3] . العنكبوت : ١٦٤.
[4] . تذكرة الخواص - ابن الجوزي: ص١١٨، الصواعق المحرقة - ابن حجر: ص١٣١- ١٣٢.

اختاروه، وعصوا الله من أجله، أو قل إبقاؤهم فيه؛ لأنه سيكون جهنم المستعرة بإعمالهم وأفعالهم وظلمهم)[1].

عالم الدنيا وجود مؤقت

في عالم الذر حيث الظلمة الأولى وحيث جرى الامتحان الأول، والظلمة هنا من حيث مواجهة النور لها وهي ما يتعلق بظلمة الوجود أمام الوجود المطلق والنور المطلق للحق سبحانه- فهي ظلمة بمقدار ابتعادها عن النور وانشغاله به- حيث لا أحد يستحق الوجود غيره، ولذلك من لطفه كما قلنا أنه فتح باب الترقي في مراتب السير نحو النور وهذا يعني التدرج في التخلص من الظلمة بمقدار، وهذا لا يتم إلا بالتخلص من ظلمة الأنا التي تمثل الاستغراق والانشغال فيها بمقابل هو، وقد ذكرنا أن من حصل أعلى مراتب الكمال والوصول الى أقرب مرتبة من النور والتخلص من ظلمة الانشغال بالنفس هم محمد وال محمد (ع) ولذلك فإن الله احتجب بهم حيث صاروا وجهه الذي يواجه به الخلق فصاروا هم السبيل للأخذ بيد الخلق للوصول بهم إلى أعلى ما يمكن من مراتب النور في الملكوت وكل يصل إلى ما أمكن بحسب إخلاصه.

وهذا الوصول يتم بمسايرة وطاعة هؤلاء الأدلاء على الله؛ لأن الدليل هو العارف بالطريق الموصل إلى النور كما قال أمير المؤمنين (ع) سلوني عن طرق السموات فاني أعلم بها من طرق الأرض، فقد روي أنه (ع) كان ذات يوم على منبر البصرة إذ قال: " أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض " فقام إليه رجل من وسط القوم وقال له: أين جبرئيل في هذه الساعة؟ فرمق بطرفه إلى السماء ثم رمق بطرفه إلى المشرق ثم رمق بطرفه إلى المغرب فلم يجد موطنا، فالتفت إليه فقال: يا ذا الشيخ أنت جبرائيل، قال: فصفق طائرا من بين الناس، فضج الحاضرون وقالوا: نشهد أنك خليفة رسول الله صلى الله عليه واله حقا)[2].

ولاشك فالسموات التي يقصدها أمير المؤمنين هي السماوات الملكوتية ولكل سماء مراتب، أو الست المثالية والسابعة الكلية ، وبالطبع السموات التي ليست كالسماء الجسمانية التي يعرفها الناس؛ لأنها في عالم آخر أرقى وألطف من العالم الجسماني بل لا مقايسة أصلا؛ لان السماء الجسمانية ليست من عالم

[1] . المتشابهات - السيد أحمد الحسن: ج٤ ص١١٩.
[2] . بحار الانوار - المجلسي: ج٣٩ ص١٠٨.

الملكوت بل من عالم وهمي زائل، كما ذكرنا وأوضحنا في الفصل الأول وما تسبب في توهم المتصدين للعقائد بسبب عدم معرفتهم لحقيقة هذه السموات.

علي (ع) باب مدينة علم رسول الله (ص)، وقد ذكرنا في الفصل الأول أن هناك ترتب للخلق وفق القرب من الله ودرجة اندثار الأنا، والضابط لهذا الترتيب التصاعدي نحو الله سبحانه جاء وفق السلم المعرفي وكل بحسبه، فمحمد أول الخلق وأعظمهم إخلاصا وبعده علي (ع)؛ لأنه نفسه والعارف الأول بالله بعد رسول الله (ص)[1] فالأصل في ترتيب الخلق هو المعرفة فلذلك صار باب رسول الله (ص).

فمسألة الظلمة وشدتها واستيلاءها بمقدار الإعراض عن الطاعة والولاية لخليفة الله الكامل، وهذا في عالم الامتحان الأول وصورته الثانية هنا في عالم الدنيا وهو مانحن بصدده – الظلمة الثانية – بعد نزول الممتحنين هناك إلى عالم الدنيا للامتحان الأول، ومقدار انغماس الإنسان في الظلمة هو شدة تعلقه بهذا العالم المادي وسعيه وانشداده اليه يترتب عليه ركوب الهوى والمعاصي والابتعاد عن طريق الحق بموالاة الصادين عن الحق وقطاع الطريق الذين يحولون بين الإنسان وركوبه سفن النجاة في كل زمان من هذه الدنيا حيث في كل زمان هاد إلى طريق الله[2].

إذن ما يمثل ظلمة الدنيا هو الصدود عن ولاية واتباع ومسايرة خلفاء الله المنصبين من قبله العارفين بطرق السماء الدالين عليه والضامنين لمن لزمهم بالنجاة.

عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إني أخالط الناس، فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم، فيتولون فلانا و فلانا، لهم أمانة و صدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة، و لا الوفاء، و لا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله (ع) جالسا، و أقبل عليَّ كالغضبان، ثم قال: «لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، و لا عتب على من دان بولاية إمام عدل من الله». قال: قلت: لا دين لأولئك، و لا عتب على هؤلاء؟ فقال: «نعم، لا دين لأولئك، و لا عتب على هؤلاء– ثم قال–: أما تسمع لقول الله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور

---

[1] . روى عيسى بن محمد البغدادي، عن الحسين ابن إبراهيم البابي، عن حميد الطويل، عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أيدته بعلي، نصرته بعلي، (وذلك قوله تعالى: (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) يعني علي بن أبي طالب عليه السلام [تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي: ج١١ص١٧٣].

[2] . عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فقال: قال رسول الله (ص): أنا المنذر وفى كل زمان امام منا يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وآله، والهداة من بعده على، ثم الأوصياء من بعده واحد بعد واحد، اما والله ما ذهبت منا ولا زالت فينا إلى الساعة، رسول الله المنذر، وبعلى يهتدى المهتدون) [تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي: ج٢ ص٢٠٤].

التوبة والمغفرة، لولايتهم كل إمام عادل من الله، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ﴾[1].

قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا؟

قال: قال: «وأي نور للكافر و هو كافر، فاخرج منه إلى الظلمات؟! إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله، خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب لهم النار مع الكفار، فقال: أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُون)[2].

لذلك يقول الإمام الصادق (ع) في حديثه لسدير(..أما ترى الله يقول " ما كان لكم أن تنبتوا شجرها "يقول: ليس لكم أن تتصبوا إماما من قبل أنفسكم تسمونه محقا بهوى أنفسكم وإرادتكم. ثم قال الصادق (ع): ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من أنبت شجرة لم ينبته الله يعني من نصب إماما لم ينصبه الله، أو جحد من نصبه الله، ومن زعم أن لهذين سهما في الإسلام وقد قال الله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)[3])[4].

إذن قطب الرحى الذي يدور حوله المشروع المعرفي الإلهي الموصل إلى التوحيد والكاشف عن الظلمات هو الإمام المنصب من قبل الله سبحانه، وأي كلام عن الهداية أو الخروج من الظلمات مالم يرتكز على حتمية الالتجاء لهذا الإمام وبدونه لا يمكن أن نلتمس منه سوى ظاهرا من القول وسيبقى بعيدا عن أي مخرج للوصول للهدف وهو معرفة الله ، فأي كلام عن الهداية الإلهية يعني الكلام عن الهادي الذي لا يخلو منه زمان .

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[5]

يقول الشيرازي في تفسيره لهذه الآية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ﴾.

---

[1] . البقرة : ٢٥٧.
[2] . الكافي - للكليني: ج١ ص٣٠٧.
[3] . القصص : ٦٨.
[4] . بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٦٥ ص٢٧٧.
[5] . الرعد: ٧.

(ويمكن أن يقال أن هداية المؤمنين من الظلمات إلى النور هو تحصيل للحاصل، ولكن مع الالتفات إلى مراتب الهداية والإيمان يتضح أن المؤمنين في مسيرهم نحو الكمال المطلق بحاجة شديدة إلى الهداية الإلهية في كل مرحلة وفي كل قدم وكل عمل، وذلك مثل قولنا في الصلاة كل يوم: (اهدنا الصراط المستقيم). ثم تضيف الآية إن أولياء الكفار هم الطاغوت (الأوثان والشيطان والحاكم الجائر وأمثال ذلك) فهؤلاء يسوقونهم من النور إلى الظلمات (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ولهذا السبب ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾..)[1].

وفي جامع البيان:

(يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وإنما عنى بـ" الظلمات " في هذا الموضع، الكفر. وإنما جعل "الظلمات" للكفر مثلا لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه. فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر[عن] أبصار القلوب)[2].

وقفة:

ما أردنا أن نثبته وفي كل مفاصل بحثنا هو التركيز على أن هناك محور وقطب تدور حوله قضية الخلق وإيجاده ووجوده وغايته في عوالم الامتحان وهو المعرفة الموصلة إلى التوحيد وقائدها الرجل الإلهي في كل زمان، وهذا هو الأصل، وفي المقابل نجد المفسرين ورجال الدين قدموا أفهام وعقائد متباينة ومختلفة نتجت عن تفسيرات لظاهر نصوص توهموا معانيها فأخطأت الطريق، والنصوص سواء كانت قرآنية أو روائية والتي صدرت عن أهل العلم والعصمة كلها ترشد إلى التوحيد والطريق الذي يوصل إليه لكنها تحتاج إلى المرشد الإلهي الذي أطلعه الله على حقائق تلك النصوص وأصلها الآتي من الملكوت وإلا فإن مفردة التوحيد يتفق على ظاهرها الجميع، ولكنها بقيت فعلا تحتفظ بالمعاني الظاهرة دون التفصيل الهادف والصحيح بسبب تصدي المتبرعين لتوظيفها وفق مباني وقواعد ليست معصومة، فهي لن تجد نفعا؛ لأنها فاقدة لحقيقة القصد مع تغييب المرشد الحقيقي له والموجود في كل زمان.

---

[1] . الأمثل - مكارم الشيرازي: ج٢ ص٢٦٥.
[2] . جامع البيان - للطبري: ج١ ص٣١٨، وج٥ ص٤٢٤.

ومما يجدر ملاحظته هنا ومن خلال التفاسير الآنفة وهي طبعا كنموذج لقائمة طويلة من التفاسير يتبناها مفسرون من كلا الفريقين، عندما يتناولون موضوعا على هذه الدرجة من الأهمية وهي مسألة التوحيد وعلاقته بالظلمة والنور، وجدت أن هناك حلقة مفقودة اثناء معالجتهم لحيثيات هذا الموضوع تذهب بهم بعيدا عن تقديم فهم حقيقي والكشف عن مكمن وسر هذا العنوان الكبير والواسع وهو التوحيد، فهم يقفزون على حقيقة طالما تكلم عنها القرآن بطرق شتى تستبطن هذا المعنى الذي نريد التركيز عليه والذي لابد من الوقوف عنده، وقد فصلت فيه الروايات الكثيرة جدا والمنقولة من طرق شتى.

فأما القرآن فلمن خوطب به وهم محمد واله (ع) هم أولى بإحكامه وتبيان ما فيه، وحديث الثقلين ترجمة واضحة لهذا التلازم، وإن كانت بعض الآيات من الوضوح في ظاهرها ما لا يسعف المنكرين لحقيقة خلفاء الله وكونهم المعنيون بكل هذه العناوين ولا يمكن أن نمرر أي منها ونستخلص المعنى الحقيقي إلا من خلالهم، ولكن مع ذلك فقد أقحموا أنفسهم فيما ليس لهم فيه، والحال سيان بالنسبة لمفسري الشيعة والسنه فهم:

١- عندما يفسرون الآية "يخرجونهم من الظلمات إلى النور" لا يتضح منها القصد في تفسيرهم ولا يوصلنا إلى الباب ليوقفنا الى ما نصبوا إليه.

يقول الشيرازي:

(من الظلمات إلى النور هو تحصيل للحاصل، ولكن مع الالتفات إلى مراتب الهداية والإيمان يتضح أن المؤمنين في مسيرهم نحو الكمال المطلق بحاجة شديدة إلى الهداية الإلهية في كل مرحلة)[١].

نقول نعم ولكن من المرشد ومن الدليل إلى طريق الهداية الإلهية في كل مرحلة، ومن الذي يأخذ بأيدي الخلق إذا كان مريدا حقيقيا وأين الأبواب التي لا تؤتى البيوت إلا منها؟ وهل أخبرنا الشيرازي ما هو طريق الهداية الإلهية؟ هل هو شيء يدور في أدمغتنا وعقولنا ويقدح في أذهاننا كما يذكر هو ما معناه عندما يقول لا نخشى كثرة التفاسير لأنها توسع دائرة الفهم؟ أم إنه أمر له تحقق خارجي ومصداق حقيقي يخرجنا من متاهة العناوين الفضفاضة التي تتيح لمن هب ودب بسط الكلام فيها كيفما شاء دونما ضابط قرآني أو من جعله الله قيم عليه؟ والحال أن الأئمة (ع) صرحوا ببيان واضح كما مر في الرواية السابقة عن أبي عبد الله (ع): فيقول في معنى الآية "يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ" يخرجهم من

[١] . الأمثل - ناصر مكارم الشيرازي: ج٢ ص٢٦٥.

ظلمات الذنوب إلى نور التوبة و المغفرة، لولايتهم كل إمام عادل من الله ، فالإمام العادل هو تجلي الله في الخلق والطريق الموصل ولو رجعوا إلى آل محمد (ع) –والذي لا يخلو منهم زمان يوحى إليهم في كل آن يخبرهم الله بما يستجد في دين الله وأحوال العباد وما يصلحهم– لوفروا على أنفسهم وعلى غيرهم الكثير.

كذلك لم يخبرنا الطبري كيف يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بقوله:

"فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر[عن] أبصار القلوب"[1]

فكيف يكون مبصرهم وهاديهم والحال لا سبيل للمباشرة إلا بوجود من يمثله سبحانه والقوم لا يؤمنون بغيب إلا ما تقرأه عقولكم وتتفرس فيه حواسهم من توهمات خالفت حتى قواعدهم التي وضعوها من دون مرشد إلهي ودليل رباني حق.

٢– كانت العبادات الظاهرية والطقوس التي يمارسونها غاية ما استدلوا به على هذه العناوين، وأقصد النور والظلمة والتوحيد وكل ما يتعلق بالرقي وتحصيل المراتب في طريق الوصول إلى الله؛ لأنها غاية ما حازته عقولهم القاصرة.

يقول رسول الله (ص) لعلي (ع): (تفكر ساعة خير من عبادة ألف عام)، بل وحتى القرآن يخاطب هؤلاء الذين يتصورون أن النجاة بالعمل الظاهري دون فهم الاعتقاد الصحيح، طبعا وهذا لا يتم إلا بالرجوع إلى أهل العلم الذين اختصم الله دون غيرهم ولأسباب ذكرناها سابقاً، وإلا لماذا يخاطبهم الله سبحانه وتعالى فيقول:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

ويقول أمير المؤمنين (ع) :(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ; وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا

[1] . تفسير جامع البيان- الطبري.
[2] . محمد : ٢٤.

ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى)[1].

فالذي يتوخى الدقة ويطلب الحق يتفرس بنور الفطرة السليمة ويضع كلام أمير المؤمنين (ع) شاخصا يحدد له المسار، وإلا فهل سيسلم المتأولون وأهل التفسير والأهواء والآراء من أن يُتهموا بأنهم سبب وقوع الفتن والأهواء المتبعة والأحكام المبتدعة؟!

فليس هناك من يستعين به إنسان للخروج من الظلمة إلا بمن تخلص منها ولم يبق منها إلا ما يمثل وجوده وتشخصه.

وأما كونها– الدنيا– وجود مؤقت فالقرآن والمواعظ التي أجمع عليها كل الأنبياء والرسل (ع) ترسخ هذا المعنى وروايات آل محمد (ع) أثْرت هذا الموضوع بكل ما يستلزم إيصال الصورة الحقيقية لهذا الوجود الوهمي.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): (أيها الناس، إنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء، لكنكم من دار إلى دار تنقلون، فتزودوا لما أنتم صائرون إليه)[2].

واذا أردنا أن نذكر الشواهد بهذا المضمار فكتب الحديث والمرويات عن آل محمد (ع) مشحونة بالكثير لما قد أوضحوا أمر هذه الدنيا الدنية في مراتب الوجود، وقد ورد عن آل محمد (ع) إنما قامت الدنيا بغفلة أهلها.

الممتحنون في عالم الدنيا وتوهم علماء العقائد

تكلمنا فيما تقدم في الفصل الأول عن الامتحان الأول والذي حصل في السماء الأولى أو سماء الأنفس لجميع الخلق، وهم أنفس أودع الله في فطرتهم ما إذا سألهم أجابوه، وقلنا إن الله سبحانه خلق الخلق لكي يُعرف، واقتضى هذا الهدف أن يمتحن الخلق الذي من شأنه إيصالهم إلى أعلى مرتبة من المعرفة، وتمخض عن نتائج هذا الامتحان مجموعات تفاضلت حسب إجاباتها فكان الفائز الأول أو المجيب الأول محمد (ص) ومن بعده علي (ع) وهكذا كل الأوصياء وخلفاء الله من الأنبياء والمرسلين،

[1]. نهج البلاغة: خطبة رقم ٥٠.
[2]. الإرشاد - للمفيد: ج١ ص٣٨٨.

ووفق عدالة الله سبحانه فالجميع امتحنوا نفس الامتحان، فقط كانت النتائج مختلفة طبقا لحقائق الممتحنين واستعدادهم.

وبطبيعة الحال الله سبحانه هو المتفضل على الخلق أن خلقهم من العدم، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[1]. فهذا لطف من الله أن أوجدهم، والله سبحانه يريد بخلقه أن يرتقوا فيخرقوا الحجب ويقتربوا من النور، فأودع فيهم المؤهلات وامتحنهم، فالذي حصل أن الذين سبقوا الخلق للفوز في الامتحان قلة وهم خلفاء الله (ع)، وهم المجيبون الأوائل، وقد أخذ الله العهد والميثاق على الخلق بولايتهم (ع) وهم محمد وآل محمد (ع)، وكذلك أخذ الميثاق من الأنبياء والمرسلين على ولايتهم (ع) وكان ما كان، فآدم (ع) قال فيه الله عزل وجل (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[2].

فشِل إبليس في الامتحان ورفض السجود لخليفة الله – وكان يفترض أن يلبي أمر الله بغض النظر عن موضع المسجود له– ، فكانت (الأنا) قد استولت وملئت صفحة وجوده، حين قال "أنا خير منه"؛ لأنه قاس بأوهامه وتصور أن الله إنما أمره بالسجود لجسد آدم المادي الظاهر له ولم يكن يعرف أنه يسجد لحقيقة آدم والروح المنفوخة فيه ولحقيقة الأنسان الكامل الذي تجلت فيه أسماء الله فكان قاب قوسين أو أدنى دنوا واقترابا من العلي الأعلى وهي نور وحقيقة محمد (ص) وبالتالي هي الطاعة والتسليم والتوحيد، فلعن الله ابليس وأخرجه من الجنة الدنيوية ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[3] .

فالله سبحانه أمهله إلى يوم الوقت المعلوم، ولم يمهله إلى يوم يبعثون كما طلب هو، فقال فبعزتك ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[4] فكانت غوايته لآدم (ع) عندما استدرجه للأكل من الشجرة فحصل أن قال الله عز وجل "اهبطوا منها جميعا" فأخرج آدم (ع) من الجنة الدنيوية التي كان فيها وهي ليست جنة ملكوتية ولو كانت ملكوتية لما أخرج منها.

أنزل الله آدم (ع) ليعاد الامتحان في هذا العالم المادي الجسماني بعد أن كان في الجنة الدنيوية – في السماء الأولى– فتدرج الخلق في مراتب الكمال بحسب انشغال النفس وتعلقها ونظرها إلى "الأنا" لتكون

---

[1] . مريم : ٩.
[2] . طه : ١١٥.
[3] . ص : ٧٧،٧٨.
[4] . ص : ٨٢ - ٨٣.

في مراتب سفلية أو أن يكون نظرها وانشدادها لمقام "هو" لتكون في المراتب العليا ويكون لها حظ في درجات القرب.

ومن عدالته سبحانه أنزل الجميع إلى هذا العالم الجسماني –أو ظلمة الدنيا– سواءً الذين نجحوا في الامتحان أو الفاشلون منهم ليعاد نفس الامتحان على الجميع، ولتكون الحجة ملقاة فتنقطع الأعذار.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[1].

فحتى الذين ارتقت مراتبهم وحقائقهم في عالم الذر حجبوا في هذا الجسد المادي وغفلوا عن حقائقهم تلك، لكنهم تذكروا، وحجج الله أقرب الخلق أن يتذكر لأن ظلمتهم تكاد تكون معدومة.

(... في هذه الآيات تفتتح مسيرته إلى الله إنها تذكير من الله العليم الحكيم ليوسف (ع) بحقيقته التي ارتقاها في عالم الذر وغفل عنها بسبب حجاب الجسد لما خلقه الله وأنزله إلى هذا العالم الظلماني (عالم الأجسام). قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2])[3].

فنزول يوسف (ع) إلى هذا العالم الظلماني حجة أخرى على من يعاد امتحانه في عالم الدنيا ولكن يجب أن نعرف أن مسألة الامتحان لم تكن قضية آنية لم يحضر لها، فقد سبقتها خطوات إذا ما أخذت تسلسلها الواقعي والطبيعي سوف نفهم كيف بدأ الامتحان ومن أين بدأ، وهذا الأمر بالذات يحتاج بعض التفصيل لنؤسس لفهم صحيح وبالتالي نحصل على نتائج صحيحة وعقائد صحيحة، فكما ذكرنا في الفصل الأول كيف فشل اولئك الذين حشروا رؤوسهم في أمر ضاقت عقولهم عن استيعاب مسألة بداية الخلق وكيفيته وأين جرى الامتحان، وهذا ليس عيبا إلى حد ما إذا كان هذا مبلغ علمهم، ولكنهم قدموا أطروحات بائسة وتفسيرات حاولوا من خلالها وبالاعتماد على فرضيات صيغت من وحي الأوهام فاصطدمت بالنتيجة مع حقائق مثبتة وتجريبية لا يمكن ردها كمسألة التطور مثلا، فليس ببعيد على المتتبع أن يعرف بأن الفرض السائد عند أكثر رجال الدين في مسألة خلق آدم (ع)، هو أنه خلق من

---

[1] . المرسلات: ٣٦.
[2] . يوسف : ٣-٦.
[3] . الجواب المنير - السيد أحمد الحسن: ج٣ ص١٧.

طين وماء على هذه الأرض وهذا متعارض مع النص القرآني الواضح الدلالة كما أشار لها السيد أحمد الحسن (ع) في كتاب وهم الألحاد[1]؛ لأن آدم وحواء (ع) خلقا في السماء الأولى وليس على هذه الأرض، إذ أن الله سبحانه خلقهما أنفسا ولم يكونا أجسادا، حيث أن الأجساد من لوازم عالم المادة والكثافة بدلالة أن آدم (ع) عندما أهبط للأرض كان جسما لطيفا ثم بعد أن أكل من الأرض أحس في ثقل في بطنه وهذه المرة الأولى التي تطرأ على آدم (ع) وهي بحد ذاتها فاصل وفارق يرشدنا إلى العالم الذي كان فيه وعالم الكثافة والجسمانية في الدنيا الذي انتقل أو أهبط اليه.

وقد بينا في الفصل الأول كيف أن سوء فهمهم هذا جعل الأمور تختلط عليهم فلم يعودوا يفرقوا بين عالم مثالي لطيف خلقت فيه أنفس الخلق وبثت فيه الروح وأمتحن، وبين عالم جسماني مادي كثيف، حيث كان سبب هذا الفهم الوصول إلى نتائج سلبية تركت أثرها على الدين وشوهت العقيدة وعكست صورة مشوشة ومختلفة عن الحقيقة حجبت تلك الحقيقة عن أن يراها الباحثون، وأهم هذه المعطيات:

١- اقتصر نظر الكثير منهم على أن الخلق هو فقط هذا العالم الجسماني، ولم يلتفتوا إلى أن هناك عوالم أخرى مثالية ومنها عالم الملكوت الذي وهي خارج حدود الزمان والمكان، مع مسألة خلق الأنفس والذي كان في السماء الأولى وهي أولى السموات السبع.
٢- لم يتسنى لهم التفريق بين نفس آدم وجسد آدم (ع) فتصوروا أنهما في صقع واحد وهو هذه الأرض، بينما هما من عالمين مختلفين عالم علوي ملكوتي وهو السماء الأولى (منشأ النفس)، وعالم تنزلي سفلي تحكمه قوانين المادة وهو الأرض وهو محل خلق الأجساد.
٣- فهمهم أن جسم آدم (ع) اللطيف الذي صب في السماء الأولى- والذي ذكرته الروايات بالتفصيل وأنه ملقى على باب الجنة أربعين يوما يمر به إبليس اللعين ويقول لأمر ما خلقت[2]_ والذي أخذت الملائكة جزءً من تراب وماء الأرض لتحمل نفسه التي خلقت في السماء هو جسم مادي كما هو عليه الآن وقد ثبت عكس ذلك تماماً.

---

[1] . أن يخلق جسما لآدم (عليه السلام) من طين وماء على هذه الأرض و تلجه الروح وتبث فيه الحياة الإنسانية، وهذا الفرض هو السائد عند أكثر رجال الدين، ولكنه متعارض مع النص القرآني الواضح الدلالة على أن خلق آدم وحواء ابتداءً كان في السماء الأولى في الجنة الدنيوية وبعدها حصل هبوط لآدم بأمر الله وقد فصلت الامر فيما سبق. كما أنه فرض مرفوض قطعاً من الجانب العلمي ومتعارض مع علم الأحياء والتحليلات الجينية لنفس السبب السابق، ومن يتبنى إحدى هاتين الأطروحتين عليه أن يسقط العلم وابحث العلمي والحقيقة من قاموسه ولن تكون أطروحته إلا وهما يحلو له أن يوهم به نفسه، وإلا فهي أطروحة تتعارض مع العلم جملة وتفصيلاً، فأجسامنا محددة الأصل الآن وبوسائل علمية دقيقة ولم تأتي أجسامنا في يوم من المجهول ليفرض أن جسم آدم جاء هكذا فجأة قبل بضعة آلاف من السنين فقط.

[2] . قال أبو جعفر: (وجدناه هذا في كتاب أمير المؤمنين (ع)، فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوراً فكان يمر به إبليس اللعين فيقول لأمرٍ ما خلقت، فقال العالم (ع) : فقال إبليس لئن امرني الله بالسجود لهذا لأعصينه، قال: ثم نفخ فيه . .) تفسير القمي : ج١ ص٤١.عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (كانت الملائكة تمر بآدم (ع) أي بصورته وهو ملقى في الجنة من طين فتقول: لأمر ما خلقت) [قصص الأنبياء – الراوندي: ص٤١].

٤- أذا كان آدم المخلوق من الطين حسب فهمهم هو في الأرض وهو أول إنسان يخلق في الأرض فالسؤال هنا على ضوء ما نقرأ في الآية المباركة ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] من بين من اصطفي آدم إذا كان هو المخلوق الوحيد على الأرض؟! -هذا من جهة انطباق اصطفاءه في هذا العالم هو صورة الاصطفاء في عالم الذر كما تبين- إذن لا محيص منهم إلا القبول بأن آدم انحدر من سلالة امتدت لفترات سحيقة مرت في مراحل تطور حتى أصبحت مهيأة لاستقبال نفس آدم المخلوقة في السماء واستقبال البلاغ الإلهي واقتران النطفة النفسية النازلة من السماء الأولى وكونها تختلف عن النطفة المادية المرتبطة بالجسد الجسماني في هذا العالم.

٥- كذلك مما تمخض عن الفهم السقيم لظاهر ونصوص الآيات هو الفهم السطحي المعزول عن عمق وحقيقة هذه النصوص، وكان أحد أسبابه تعلقهم بعالم المادة أو الصورة المادية ومنها الألفاظ التي تشكلت منها نصوص الكتب المقدسة بما يناسب نزولها في هذا العالم وأن حقائقها الملكوتية محجوبة عن غير أهلها التي نزلت في صفحات وجودهم المقدسة ، فقالوا في تفسيرهم الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٢]. إن هذه الخلقة هي الجسم المادي للإنسان، وبالتالي تصطدم مع حقيقة لظاهرة ملموسة لا يمكن التلبيس فيها لتخرجهم من سقطتهم، فكيف يرد الإنسان أسفل سافلين والحال أن صورته التي تشكل قوامه الظاهري لم يتحصل منها هذا المعنى أبدا، ولو أنهم تركوا ذلك لأهل العلم الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون لكان أجدى لهم وأحجى.

٦- تصوروا من خلال ما تقدم أن آدم (ع) هو أول مخلوق على هذه الأرض، ولذا ترتب على هذا الفهم أنهم عارضوا نظرية التطور المثبتة علميا وبشكل قطعي، مما دفع هذا الأمر الى تعكز الإلحاديين على هذا الإخفاق واعتبار فهمهم هذا يمثل ما يقدمه الدين، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نتجت اعتباطية عجيبة في منظومتهم المعرفية؛ لأن ذلك انسحب على تغيير كثير من الاعتقادات الحقة.

وحول مرحلة خلق جسد آدم في الأرض يقول السيد أحمد الحسن:

---

[١] . آل عمران : ٣٣- ٣٤.
[٢] . التين : ٤- ٥.

(إذن فهذه المرحلة هي مرحلة ثانية متأخرة عن مرحلة خلق آدم (ع) في السماء الأولى والتي مثلت خلق آدم الحقيقي، أما هذه المرحلة فهي مرحلة إنزال آدم (ع) إلى الأرض للامتحان، هي مرحلة اتصال نفس آدم بجسد مادي في هذا العالم الجسماني ليتم امتحانه وامتحان ذريته من بعده، وهذا حصل بعد نزول نفس آدم (ع) إلى هذه الأرض وبقائها في الأرض فترة من الزمن شاءها الله سبحانه وتعالى، فأقامت نفس آدم (ع) ونفس حواء (ع) بعض شعائر الله في هذه الأرض. ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن يوصلهما بجسدين ماديين أرضيين ويغفلهما عن حالهما السابق ليتم الامتحان، فولدا من أشباه الآدميين بعد أن تهيأت أجسام هؤلاء الأقوام لاستقبال نفس كنفس آدم(ع)، وأصبحت أيضا لديهم القدرة على استقبال البلاغ الإلهي الذي سيصلهم عن طريق آدم (ع) الذي ولد فيهم وبعث فيهم. ومن الغريب حقا أن يقبل بعض الناس أن تكون بداية جسم آدم (ع) مباشرة من الطين أو التراب ولا يقبل أن تكون بدايته من كائن حي مع أن الكائن الحي أرقى في الدرجة الوجودية الحياتية بكثير من الطين الجماد)[1].

أما محور الامتحان كما ذكرنا في الفصل الأول من البحث أن امتحان الخلق كان للنفوس، حيث أن الأنسان مفطور ليظهر أسماء الله في الخلق ويكون الله في الخلق وهو مصداق الآية الكريمة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2] وأحسن تقويم ليس الشكل والقدرة الجسمانية، وإنما بعد أن بثت الروح فيه أو روح الايمان فضلا عن روح الحياة وروح القوة وروح الشهوة التي يتساوى فيها الجميع[3] وبروح الإيمان يرتقي الإنسان من السماء الأولى وحتى السماء السادسة، أما روح القدس فمقام من تبث فيه هي السماء السابعة وطبعا لكلّ روح قدسه الخاصة به والتي تناسب مقامه[4]، كما إن الذين لديهم روح الأيمان يتدرجون حسب إيمانهم، أما أعلى المراتب من روح القدس الأعظم فقد اختص بها محمد وآل محمد (ع) وكذلك هي مراتب فلكل روح قدسه الأعظم.

وكل هذه الأحوال للخلق وترتبهم حسب قولهم "بلى" وسرعة إجابتهم كانت في عالم الذر فكان صاحب المقام الأعظم محمد(ص)؛ لأنه المجيب الأول والفائز بالسباق حيث حارب الأنا بأعلى صورها، فكان امتحان الخلق في التصديق به وولايته؛ لأنه الأنسان الكامل الذي تجلت فيه أسماء الله فكان هو المعرف

---

[1] . وهم الألحاد - أحمد الحسن: ص١٥٣- ١٥٤.
[2] . التين : ٤.
[3] . (عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الايمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب) [الكافي- الكليني: ج١ ص٢٧٢].
[4] . راجع كتاب عقائد الإسلام- السيد أحمد الحسن: ص٢٦٧.

الأول، وبمعرفته يعرف الله؛ لأنه صورة الله أو المظهر لأسمائه سبحانه والتي توصل بالنتيجة للمعرفة الحقيقية وهي العجز عن معرفته.

فعلى طاعته وطاعة أهل بيته علي وأولاده الأئمة والمهديين وولايتهم دار الامتحان الأول في عالم الذر ولذلك لا تتم المعرفة التي هي غاية الخلق إلا بمعرفتهم وطاعتهم (ع)؛ لأن معرفتهم معرفة الله وأن الله احتجب عن خلقه بهم فسبحانه (وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ، وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاتِهِ)[1]، فلا طريق لمعرفته وتوحيده سبحانه إلا بمعرفتهم.

قال الأمام الصادق (ع): (نحن حجة الله في عباده وشهداءه على خلقه، وخزانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في بريته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدل عليه، ونحن العاملون بأمره، والداعون إلى سبيله، بنا عرف الله، وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله)[2].

وقال (ع): (فكيف يوحد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنما يعرف غيره، فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة، لا يدرك مخلوق شيئاً إلا بالله، ولا تدرك معرفة الله إلا بالله)[3].

فالمعرفة بالله المقصود بها المعرفة "بالله في الخلق" وليس المقصود الله المطلق كما أوضحنا؛ لأنه ليس ممكنا بالنسبة للخلق دون من كانت صفحات وجودهم أقرب ما يمكن للنور المطلق وهم محمد وآل محمد (ع)فلا يكون ذلك إلا بمعرفة من قام مقامه الذي واجه به الله المطلق الخلق وهو الانسان الكامل الذي عرف الله المطلق حق معرفته وهو محمد (ص) ومن ثم خلفاءه الذين ورثوا علمه وبقي الوحي مفتوحا لهم وكل بحسبه (ع) وهنا ينبغي أن نعرف أن الوحي هو الذي يأتي بأخبار السماء، وأخبار السماء تشمل العلم بالكتب السماوية والعلم فيما يحدث بالليل والنهار، وبالتالي فهي أخبار من الغيب.

فلما كانت الرسالة السماوية تعني الرسالة النازلة عن طريق الوحي من السماء أو من الغيب أو من الله سبحانه وهذا يقر به كل أصحاب الأديان، فأوصياء محمد (ص) لديهم رسالة من السماء لا تختلف عن غيرها إلا بما يتعلق بمهمة صاحب الرسالة ومقامه ومرتبته، سوى أن رسالة محمد (ص) خاتمة الرسالات من الله والأئمة فتح لهم الإرسال من محمد (ص) فالمصدر واحد والهدف واحد والغاية هي المعرفة.

---

[1] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٨٤ ص٣٣٩.
[2] . التوحيد - للصدوق: ص١٥٢.
[3] . نفس المصدرالسابق: ص١٤٣.

فكل الذي جرى في عالم الذر إنما كان بما يناسب ذلك العالم، وبالنتيجة كان الامتحان يدور مداره على طاعة وولاية خلفاء الله الذين فازوا في الامتحان الأول وكانوا هم الأدلاء على الله، وذلك فضل الله على الخلق أن جعل خلفاءه وسيلة للأخذ بيد الخلق للارتقاء والوصول بعد أن ضيعوا فرصتهم وحظهم بعد أن أعطاهم الله مفاتيح الارتقاء والوصول.

أما عندما شاء الله ان يدخل الخلق عالمهم الظلماني الثاني لأداء الامتحان الثاني، على هذه الأرض اقتضى أن يكون الامتحان وفق عالم التفصيل والكثرة، والسؤال هو نفسه وهذا ما سنفتح منه نافذة لهذا الفصل مستعينين بالله سبحانه.

أصل العبادة

لكي نثبت هذه العلاقة و نقترب من الفهم الصحيح لهذه الحقيقة ستكون قصة نبي الله موسى (ع) وهو من أنبياء –أولي العزم– وطبيعة الامتحان الذي خاضه مع العبد الصالح شاهدا واقعيا وبنص قرآني صريح، ليثبت لنا من خلال تجربته أن امتحانه كان مع شخص العبد الصالح، ولنفهم مرة أخرى أن علة الامتحان كانت معرفية وهي طلب العلم والمعرفة.

فموسى طلب العلم ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[1]، ولكن من خلال مسايرة موسى (ع) للعبد الصالح وقعت أحداث قصها لنا القرآن، وهي خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار، حيث كان موسى (ع) يتفاعل معها بنسبتها للعبد الصالح بردود أفعال صرح عنها باعتراضه عليها، وكان جواب العبد الصالح عنها أنك لن تستطيع معي صبرا ولم يكن جوابه عن كل فعل اعترض عليه موسى(ع) بعينه؛ بل كان يطلب منه الصبر معه وهو في كل مره يتعهد بعدم السؤال ولكنه يكرر نفس الاعتراض، ولكن يبين لنا في كل مرة الفائدة من الدرس وهو التفات موسى إلى حاجته لاتباع العبد الصالح؛ لأنه يجيبه بصيغة عدم عصيان الأمر حتى وصل موسى (ع) إلى حال قال فيه للعبد الصالح فلا أعصي لك أمرا، بالنتيجة نفهم أن موسى وإن كان رسولا نبيا من أولي العزم امتحنه الله بالعبد الصالح الذي لا يمكن ظاهريا باي حال وفق منظومة المتأولين على الله والمقترحين على خلفاءه الحكم عليه أو على أفعاله أنه ذو شأن مع الله ثم يذهب الأمر إلى أبعد من ذلك حيث يبتلى موسى(ع) به، وبعد نهاية القصة مع العبد الصالح تحرر لدينا بأن الامتحان هو معرفة صاحب العلم في المرتبة الأعلى والصبر

[1]. الكهف: ٦٦.

عليه، ثم بعد ذلك يكشف لنا العبد الصالح عن أمر آخر يوصلنا إلى أصل الامتحان ومصدره وهو الله "وما فعلته عن أمري"، فالاعتراض عليه يعني الاعتراض على الله فمن يدعي أنه يعبد الله ومن ثم يعترض على خليفة الله ويتكبر على طاعته[١] فليس له حظ في الطريق الوحيد الموصل إلى الله أي سيضيّع حظه وتكون نتيجته الطرد من ساحة رحمته وخسرانه لفرصة النجاة.

(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[٢].

معرفة خلفاء الله

عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن علي عن الحسين بن سعيد عن علي بن الصلت عن الحكم وإسماعيل عن بريد قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وعد الله ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله)[٣].

عن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا فجعلنا خزانه في سماواته وأرضه ولولانا ما عرف الله)[٤].

وعن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و [لا] يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا)[٥].

يتضح من روايات آل محمد (ع) أن معرفة الإمام هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله فمن سلك غير طريق معرفتهم فقد ذهب بعيدا وتوهم من ظن أنه يصل الى الله بغير معرفتهم (ع)؛ لأنهم كما تبين قاموا

---

[١] . عن عبد الله بن أبي يعفور، قال:" قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق. قال: فاستوى أبو عبد الله (عليه السلام) جالسا وأقبل علي كالمغضب، ثم قال: لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله.
قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟!
قال: نعم، لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء، ثم قال: أما تسمع قول الله عز وجل: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله، ثم قال: (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) فأي نور يكون للكافر فيخرج منه، إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النار مع الكفار فقال:(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .
حدثنا محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال:
" إن الله لا يستحي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية، وإن الله يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة " [الغيبة – النعماني :ج١ص١٣٠-١٣١، بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٢٢، ح ٣٩، و ج ٦٨ / ١٠٤، ح ١٨].

[٢] . الكهف: ٨٢.

[٣] . بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار: ص٨٤.

[٤] . نفس المصدر: ص١٢٥.

[٥] . الكافي - للكليني: ج١ ص١٨١.

مقامه وأظهروا أسمائه فالله واجه الخلق بهم؛ لأنه بعُدَ عن لحظات العيون لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير.

أما الذين يتبجحون بعبادة الله والتوحيد دون معرفة هؤلاء المعرفين بالله ويعتبرون موالاتهم وضرورة معرفتهم هي شرك بالله فتحتاج منهم توضيحا يدعمه الدليل بأنهم يعبدون الله! فقسم منهم جسّم الله وقال يأتي ويذهب وينزل ويصعد وله هيئة وقسم قال له عينين وأصابع ويدَين، وآخر أجرى تعديلا على الفكرة فقال يفعل هذه الافعال كما يشاء هو وبالتالي فهم يتعاملون مع ما تتوهمه العقول الناقصة، وهذا منهج إبليسي دار في فلكه من تبع دين القياس والتكبر.

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): (الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه)[1].

فحديث "أنا مدينة العلم وعلي بابها"[2] أشهر من نار على علم، فهل يدرك عاقل أن الدخول للمدينة يكون من غير الباب، وهذا الحديث عند السنة وفي أمهات كتبهم وادعائهم بطاعة رسول الله (ص) تلزمهم بطاعة علي (ع) والأخذ من رسول الله (ص) تلزمهم بالدخول من الباب الوصي الأول لرسول الله (ص)، وأما من يؤمن بولاية علي (ع) وأنه بابا لمدينة العلم فعليه أن يكمل الطريق ويؤمن بكل إمام منصب من الله؛ لأن هذا الأمام هو المعرف الوحيد بالله في زمانه وباب الله الذي منه يؤتى والدال عليه وأن الله لا يقبل من أحد عملا إلا بولايته، وطالما أن مشروع الله باق ما بقيت السموات والأرض وما بقي الخلق على الأرض واستمرار مسيرة التكليف فالامتحان مستمر بأبواب الله في كل زمان والذين لا يخلو منهم زمان إلى يوم القيامة.

ولا يظن أحد أن التخلي عن هذه الملازمة – أقصد بين طريق المعرفة وخليفة الله أو المعرف– في أي زمان يجنبه سلوك طريق الجهل والظلال، فحتما سيكون قد اختار طريق الظلمة وضيع الدليل والمعرف، ونحن لما عرفنا أن الله حكيم مطلق ويريد لعباده الخير فهل يصح القول عنه أنه يرشد عباده في زمن دون زمن آخر فيدلهم على الباب ويترك الآخرين دون أن يدلهم ويسمي لهم الأبواب التي تفتح على مدينة العلم في كل زمان؟! قطعا لا يصح ذلك فرسول الله (ص) حسم الأمر ولم يترك مجالا للقيل والقال ، فقد

[1] . نفس المصدر: ج١ ص١٩٣.
[2] . أمالي الصدوق: ص٤٢٥، مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٢٦، الطبري في تهذيب الآثار (١٠٥/٣) والحاكم (١٣٧/٣)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨٠/٤٢).

سمى أبواب الله إلى يوم القيامة، ولكن كما تعثرت مسيرة السنة في مواصلة المسير مع رسول الله (ص) والقبول ببابه علي (ع) وأولاده المعصومين (ع)، يبدو أن تعثرا يعتري مسيرة الشيعة لعدم مواصلتهم المسير مع الإمام المهدي (ع) بعدم قبولهم لبابه ووصيه الأول السيد أحمد الحسن (ع) وأبناءه المهديين (ع)؛ لأن الله هو من نص عليه كما نص على علي والأئمة (ع) من بعده ، وأن الأئمة سموه وكنّوه[1].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

يقول المازندراني في شرح هذا الحديث الأخير: (قوله: «الأوصياء هم أبواب الله تعالى» أي أبواب جنته أو أبواب علمه كما قال «أنا مدينة العلم وعلي بابها، والبيوت إنما تؤتى من أبوابها» ومراده أن من طلب العلم والحكمة وأسرار الشريعة والتقرب إلى الله فليرجع إلى الأوصياء وليأت البيوت من أبوابها وليتق الله فان من أتاه من غير بابها سمي سارقا.

قوله: «ولولاهم ما عرف الله» لأن عظمته أرفع من أن يصل إليه كل طالب ورفعته أجل من أن ينظر إليه كل شاهد وغائب، وصراطه أدق من أن يتطرق إليه قدم الأوهام وشرعه أشرف من أن يقبل مخترعات الأفهام، فلولا هداية الأوصياء وإرشاد الأولياء لبقوا متحيرين في تيه الجهالة وراقدين في مرقد الضلالة كما ترى من أعرض عن التوسل بهدايتهم والتمسك بذيل عصمتهم، فإن بعضهم يقول بالتجسيم وبعضهم يقول بالتصوير وبعضهم يقول بالتحديد وبعضهم يقول بالتخطيط وبعضهم يقول إنه محل للصفات وبعضهم يقول بأنه قابل للحركة والانتقال إلى غير ذلك من المذاهب الباطلة، وبالله العصمة والتوفيق)[3].

وقال المجلسي: (بيان: قوله: وبنا عبد الله، أي نحن علمنا الناس طريق عبادة الله، أو نحن عبدنا الله حق عبادته بحسب الإمكان، أو بولايتنا عبد الله فإنها أعظم العبادات، أو بولايتنا صحت العبادات فإنها

---

[1] . (قال: المفضل للإمام الصادق (ع) يا مولاي فكيف يدري ظهور المهدي "ع" وان إليه التسليم قال " ع " يا مفضل يظهر في شبهة ليستبين فيعلو ذكره ويظهر امره وينادي باسمه وكنيته ونسبه ويكثر ذلك على أفواه المحقين والمبطلين والموافقين لتلزمهم الحجة بمعرفتهم به على أنه قد قصصنا ودللنا عليه ونسبناه وسميناه وكنيناه وقلنا سمى جده رسول الله (ص) وكنيته لئلا يقول الناس ما عرفنا له اسما ولا كنية ولا نسبا والله ليتحقق الايضاح به وباسمه ونسبه وكنيته على ألسنتهم حتى ليسميه بعضهم لبعض كل ذلك للزوم الحجة عليهم ثم يظهره كما وعد به جده صلى الله عليه وآله في قوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[مختصر البصائر- الصفار: ص١٨٣].

[2] . البقرة : ١٨٩.

[3] . شرح أصول الكافي - المازندراني: ج٥ ص١٧٥.

من أعظم شرائطها. قوله: ولولانا ما عرف الله، أي لم يعرفه غيرنا، أو نحن عرفناه الناس، أو بجلالتنا وعلمنا وفضلنا عرفوا جلالة قدر الله وعظم شأنه)[١].

وقال السيد علي خان المدني الشيرازي: (وفي استعارة لفظ الباب إشعار بأنه لا مدخل يتوصل به إليه سبحانه سوى من جعله بابا للوصول إليه إذ لا يدخل إلى الدار ولا يتوصل إليها إلا من بابها، فمن ظن أنه يتوصل إليه سبحانه من غير هذه الأبواب فقد ظن باطلا وأخطأ سهمه الثغرة وضل سواء السبيل)[٢].

فترك منهجهم (ع) والذهاب إلى مناهج مبتدعة تتم صياغتها وفق آراء الرجال وقياساتهم فيه أمران:

١- مخالفة واضحة لمنهج آل محمد (ع) والذي تركه لنا رسول الله (ص) وهو منهج الثقلين[٣].
٢- الوقوف بوجه دعوة الله وتكذيبها نتيجة التعارض بين القواعد الموضوعة التي اعتمدوها مع نصوص عن آل محمد (ع) برغم صحة صدورها وتواترها، وهذه نتيجة حتمية ؛ لأنه إذا اختلفت المقدمات اختلفت النتائج.

عن فضيل، قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول:(كل ما لم يخرج من هذا لبيت فهو باطل)[٤].

فهم (ع) الطريق الوحيد للوصول إلى توحيد الله ومعرفته؛ لأنهم هم من أظهر أسمائه وتجلى فيهم سبحانه، ولهذا لم يتخلى الله سبحانه عن هذا المشروع في أي زمن؛ لأنه العادل الحكيم؛ بل إن الله جعل خيرة خلقه وهم الأنبياء والرسل والأوصياء (ع) في المواجهة مع الخط الإبليسي الذي رافق خط الخلفاء الإلهيين، فتحملوا المصاعب والمشاق وبذلوا كل شيء حتى أرواحهم في سبيل إنجاح مشروع المستفيد الأول منه هو الناس؛ لأن الله غني عن العالمين؛ ولأن خلفاء الله عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا)[٥].

---

[١] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٢٦ ص٢٤٧.
[٢] . رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين- السيد علي خان المدني الشيرازي: ج٧ ص٢٥.
[٣] . قال رسول الله (ص):(إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا)بحار الأنوار – المجلسي:ج٢ص٢٢٦.
[٤] . بحار الأنوار – المجلسي-:ج٢ص٩٤.
[٥] . الكافي - الكليني: ج١ ص١٤٣- ١٤٤.

فالسائر على طريقهم ووفق منهجهم القويم (ع) عارفا بحقهم ومراتب الكمال التي نالوها وفضائلهم ومنازلهم التي حصلوها بالإخلاص- ولذلك اصطفاهم الله سبحانه- لا يزيده كثرة المسير إلا رقيا في سلم الكمالات، فهم جدوا واجتهدوا فاجتازوا كل المراتب وارتقوا في عالم الملكوت وكملت عقولهم وخرقوا الحجب فكانوا محلا لنزول الفيض الإلهي وبمعرفتهم وولايتهم يعرف الله.

(فالنفس الإنسانية النازلة بمثابة مرآة منعكسة فيها روح الإيمان وروح القدس أو الحقيقة التي على الإنسان أن يصير إليها، وهذه هي الفطرة الإنسانية التي تحثه إلى أن يرتقي ليصل إلى أعلى مقام إنساني)[1].

لا يخفى على كل ذي لب سليم وفطرة طيبة لم يطمسها الابتعاد عن مصدر النور ولم تحجبه الشهوات والمعاصي بعد أن يقرأ القرآن ويقرأ معانيه الحقيقية الموصلة للحق من أهل الحق الذين خوطبوا به وهم محمد وآل محمد (ع) سيعرف مرامي هذا الكلام وجدواه .

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) يقول: (إن القرآن محكم ومتشابه, فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به, وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، هو قول الله تعالى: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا، والراسخون في العلم هم آل محمد)[2].

وما يتحصل منه أمران:

الأمر الأول

أن كل فرق المسلمين بكافة طوائفهم ومشاربهم يقولون بأن غاية العبادة هي توحيد الله وأن أية عبادة لا تصح إلا بتوحيد الله سبحانه وأن الله هو الخالق ولا إله غيره وأن مقام الربوبية والألوهية هي مقامات التوحيد ...ولكنهم خبطوا خبط عشواء فقادهم جهلهم إلى تصورات بعيدة عن ما تعنيه الربوبية والألوهية؛ لأن ثمة حلقة مفقودة عرقلت المسير الصحيح، سواءً كانت هذه الحلقة مفقودة فعلا لأصابتهم بنفس داء إبليس حيث دانوا بالرأي والقياس والحسد أو مغيبة عن عمد منشأه خبث السريرة والانتماء الأعمى، فالتوحيد ليس كما يظنون ودون أدراك التوحيد الحقيقي لا يتحقق التوحيد.

---

[1] . عقائد الاسلام - يسألونك عن الروح - أحمد الحسن: ص٢٦٥.
[2] . تفسير العياشي: ج١ ص١٦٣.

وقد بين السيد أحمد الحسن المعنى الحقيقي للتوحيد[1] والواقع والساحة العلمية تثبت بأن بيانه للتوحيد لم يسبقه إليه أحد.

من جهة أخرى فأن معرفتنا بمن عرّفنا بمقام محمد (ص) وآله الأطهار وحجج الله من الأنبياء والمرسلين والأوصياء(ع) وبحدود لا تؤدي بنا إلى الإفراط و لا التفريط أنهم مخلوقون محتاجون له سبحانه لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهم بنفس الوقت السبيل الوحيد للمعرفة والتوحيد.

الأمر الثاني

بعد كل ما تقدم ذكره نعرف أن ما قلناه وناقشناه من موضوع المعرفة التي لابد منها لتحصيل التوحيد الذي هو غاية الفطرة التي فطر الناس عليها– وهي أن يكون صورة الله– أو مظهراً لأسمائه، تبين أن خلفاء الله الذين أخلصوا لله غاية الإخلاص فوفقهم غاية التوفيق فوحدوه وعرفوه سبحانه، نفهم أن طاعتهم وولايتهم واتباعهم والتسليم لهم هو مدار ومحور الامتحان الذي امتحن الله خلقه؛ لأن نكرانهم وجهلهم نكران الله الذي جعلهم وجهه الذي واجه به خلقه.

---

[1] . (سبحانه وتعالى أن تكون الألوهية أو الربوبية كنهه وحقيقته، بل هما صفاته سبحانه وتعالى فهو الله الذي يأله له الخلق ليكملوا ويدفعوا النقص عن صفحات وجودهم، وهو الرب الذي يفيض على خلقه الكمال ويسد نقصهم. ولكن أبدا ليست الألوهية أو الربوبية هي كنهه وحقيقته، بل هو سبحانه وتعالى تجلى لخلقه الفقراء بالكمال المطلق، فكان هو الإله المطلق- الله سبحانه وتعالى- الذي يألهون إليه لسد نقصهم، وتجلى لخلقه الفقراء بالربوبية، فأفاض على نقصهم الكمال ليعرفوه ويعبدوه، فالعبادة دون معرفة فارغة عن المعنى فضلا عن الحقيقة.
وبما أن غاية معرفة الحقيقة هو: معرفة العجز عن معرفة الحقيقة، فقد تجلى سبحانه وتعالى لخلقه بالألوهية التي هي الكمال المطلق المواجه لنقصهم، والذي يحثهم على التأله إليه، وبالتالي تحصيل المعرفة في هذه المرتبة التي تؤهلهم إلى معرفة العجز عن المعرفة في مرتبة الحقيقة.
فالألوهية غنى وكمال مقابل للفقر يدفع الفقراء أن يألهون إليه ليفيض عليهم الكمال، فيعرفونه بالألوهية وهم يألهون إليه ويعرفونه بالربوبية وهو يفيض عليهم الكمال، إن عدم التمييز بين الألوهية وبين الحقيقة جعل الأمور تختلط على كثير ممن يدعون العلم والمعرفة، هذا فضلا عن أن كثيراً من هؤلاء لا يكادون يميزون بين الألوهية والربوبية، حتى نجد اليوم وبوضوح تام عجز من يدعون أنهم علماء الإسلام طوال أكثر من ألف عام عن بيان معنى لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[البقرة:٢١٠].
فهم بين من يضيف كلمة للآية ويحرفها بهواه وكأنه سبحانه كان عاجزا تعالى علوا كبيرا عن إضافة هذه الكلمة(أنظر في هامش (٢) في كتاب التوحيد- السيد أحمد الحسن)، وبين من يقول بجواز الإتيان على الله سبحانه وتعالى(قال ابن جبرين وهو من كبار متكلمي (علماء العقائد) الوهابية: (ونحن نقول: لا يلزم من إتيان أمر الله في آيات امتناع إتيان الله - تعالى - في آية أخرى، وإذا أثبتنا لله الإتيان قلنا: يجيء كما يشاء) تعليق ابن جبرين على كتاب لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي.)، وهكذا هم كحاطب ليل لا يعلم أين يقع فأسه، فهم بين نارين نار: أن يقولوا بأن الله يأتي ويذهب، فينزلوه منزلة المخلوق المحتاج للمكان والحيز أو وسط الانتقال، وبين أن ينفوا عنه الإتيان والذهاب بتحريف الآية وادعاء أن هناك محذوفاً فيها، وبهذا فهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه وعن مواضعه دون خوف منه سبحانه و يا لها من جرأة.
أما المسيحيون، فقد جعلوا الآتي على السحاب المذكور في التوراة والإنجيل( )هو عيسى (ع)، واعتبروا أن عيسى (ع) هو الله سبحانه وتعالى. وجعلوا اللاهوت المطلق تجسد بجسد في هذا العالم، وبهذا أعلنوا فقره وحاجته ونقضوا ألوهيته المطلقة تعالى الله علوا كبيرا.
وفي أدنى مراتب هذا الإنكار لحقيقة الأنبياء والأوصياء يفقد الإنسان مراتب معرفة بالله ومراتب كمال، وأعظم مراتب إنكار حقيقتهم (ع) يؤدي بالإنسان إلى الجهل بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه سبحانه بهم يعرف..... ويخرج الإنسان عن ولايتهم (ع)، فيخرج بذلك عن ولاية الله سبحانه وتعالى، فيكون كافرا بالله سبحانه؛ لأنه كفر بالطريق الموصل إليه وإلى معرفته سبحانه، فلا ينفعه ادعاء الإيمان بالله وهو قد أعرض عن الطريق الموصل إلى الله وتنكب السبل المؤدية إلى الشيطان، وكمثال على هذا الأمر: لو كان هناك مزرعة ومزبلة وطريق رقم واحد يؤدي إلى المزرعة ورقم اثنين يؤدي إلى المزبلة، فوجدت شخصاً يسير على طريق رقم اثنين ومع هذا يدعي أنه ذاهب إلى المزرعة فبماذا تصفه ؟ أظن أقل ما يمكن أن تصفه به أنه كذاب ويخفي ويستر الحقيقة، أي يكفرها بل ويحاول خداع غيره.
أيضاً (أي الإفراط) شرك؛ لأن من يساوي حجج الله وهم الأنبياء والأوصياء (ع) بمن سواهم يكون قد ساوى وجه الله وأسماءه الحسنى بعامة خلقه، حيث إنهم (ع) وجه الله الذي واجه به خلقه وأسماؤه الحسنى في الخلق، فتسويتهم بمن سواهم في أدنى مراتبها يؤدي بالإنسان إلى فقدان مرتبة كمال ومعرفة بالله سبحانه.
أما التفريط: فيؤدي بالإنسان إلى الشرك؛ لأنه يعطي للأنبياء والأوصياء (ع)- وهم وجه الله- مرتبة الألوهية المطلقة والاستقلال عن الله سبحانه وتعالى والغنى عنه سبحانه) [التوحيد- السيد أحمد الحسن].

فظاهر كلمة التوحيد دون معرفة محتواها وبمن تتعلق وكيف يصح توظيفها كالذين يعتقدون أن التوحيد هو نفي أي واسطة تربطنا بالله وأن أي أحد قادر على أن يوحد الله دون وجود معرف ودليل يأخذه إلى الله أو معرفته سبحانه يصبح مفردة جوفاء وعقيمة ، وهذا الفهم الظاهري والسطحي انتهى بأصحابه إلى الشرك بالله والتعامل مع (الله) وفق هذه المعاني المجردة حتى نسبوا إليه التجسيم والحركة والإتيان وغيرها من صفات المخلوق فوقعوا بشراك تنظيراتهم الخاطئة كالوهابيين؛ بل أن بعض علماء الشيعة من اعتبر (الله) اسم جامد غير مشتق ينصرف إلى الذات المقدسة، وهذا الفهم يجر إلى فهم خاطئ للألوهية فينفي من خلال هذا الفهم الألوهية المقيدة بافتقارها وحاجتها إليه سبحانه والتي تشمل خاصة خلفاء الله (ع) ، وبالتالي نثبت مرة أخرى أنه هذا المقام أي مقام الألوهية التي يؤله لها لسد النقص وبالتالي السجود لهذه الحقيقة، كما كان السجود الذي أمر الله سبحانه إبليس لآدم (ع) إنما كان سجودا لحقيقة الألوهية المتجلية فيه والتي من شأنها الوصول إلى المعرفة العليا للخلق، وكذلك من اعتقدوا بألوهية المسيح (ع) ألوهية مطلقة وأوقعوا أنفسهم في وهم الأقانيم الثلاثة، وهذا الاعتقاد لا يقل انحرافا عن سابقه.

فبالنتيجة سببت هذه المفاهيم المغلوطة إلى اعتقادات فاسدة حرفت الناس عن أصل العبادة ومعنى التوحيد وتضييع الغاية التي خلقوا من أجلها.

علة وجود عالم الدنيا

مررت على بعض من جوانب العلاقة بين معرفة خلفاء الله والامتحان في مبتدأ الخلق عندما جرى امتحان الخلق في عالم الذر ولكني أحاول التوغل إلى عمق هذا المعنى وأتناوله بشكل يتلائم مع خصوصية امتحان عالم الدنيا كونها نسخة الامتحان الثاني أو الفرصة الثانية للإنسان.

لماذا اختار الله خلفاءه في أرضه؟

لتتوضح الغاية ونتبين السبب لابد أن نرجع إلى أصل الاختيار لهؤلاء الخلفاء من قبل الله تعالى بشيء من التفصيل، وإن كنا قد تعرضنا إلى شيء منها في الفصل الأول لاقتضاء تعلقه بسبب الامتحان الأول في عالم الذر وبينا أن سبب الامتحان كان لمعرفة من سيوفي بالعهد والميثاق لهم من الخلق، ولما كان ما يحكي عن ذلك العالم وما حصل فيه بقدر ما يسعه من التعبير عنه، وكما ذكرنا بأنه ليس عالما فيه تفصيل، والعبارات والألفاظ ليست من سنخه ولوازمه، فالكلام عن الامتحان في هذا العالم سيكون

بمقدار ما تفصح عنه العبارة ، وبسط الكلام فيه على قدر التفصيل فالزمان والمكان وتسالف الأمم وترادف الأنبياء والمرسلين والأوصياء (ع) حججا عليهم كفيلة بهذا التفصيل.

لكي يتم الامتحان الثاني لابد من حضور الممتحنين والذين امتُحنوا في موالاتهم وطاعتهم- وكما ذكرنا سابقاً علة رجوع الخلق إليهم في الامتحان الأول- كونهم أقرب الخلق إلى الله والمعرفون به؛ لأنهم صورة الله التي تتجلى فيها أسماءه؛ ولأن معرفته سبحانه غير ممكنه فكيف بالمحدود أن يحيط بالخالق المطلق إلا أن يستنجد بمن مثلوا الله في الخلق (ع) ولذلك فأن الله سبحانه بين وثبت لهم بكتبه المنزلة وكذلك هم صلوات الله عليهم أجمعين أكدوا على أن الله عرف بهم بطريق لا يخطئهم ولا يخطئوه، وبالتالي لا يخطئ الهدف الذي يريده الله والذي لا يتم تحقيقه إلا بهم وذلك لسببين مهمين جدا:

السبب الأول: لشدة لطفه بعباده وسعة كرمه فأنه يريد لخلقه الخير؛ لأنه غني عن ذلك كله.

السبب الثاني: مبالغة في إلقاء الحجة عليهم وقطع الأعذار.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

فأن قال أحد أذا غاب هذا الحجة أو لم ينصب من ينوب عنه بشكل علني فهل نتهم هذا المنهج الذي طرحناه أم نرمي التقصير في ساحة الله وساحة الخليفة الإلهي أو الحجة على الخلق والعياذ بالله أم أن الأمة هي المقصرة أو المنحرفة؟!

(أن الزمان لا يخلو من الحجة ولا يصح أن يغيب الحجة مالم ينصب من ينوب عنه، وفي حال غاب ولم ينصب من ينوب عنه، علنا فتكون الأمة ككل مقصرة ومنحرفة عن الحق وليس فيها القابل للمنهج الإلهي الصحيح، وفي هذا الحال تقام الحجة بتعيين الرسول أو النائب ولكن لا يطلب منه الإعلان والتواصل مع الناس لعدم وجود القابل له، وفي هذا الحال تكون الأمة المؤمنة بخلفاء الله في زمان فترة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ويكون حال أفرادها أنهم مُرجون لأمر الله (وَآخَرُونَ

[1] . النساء : ١٦٥.
[2] . المائدة : ١٩.

مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1] كحال الأحناف قبل بعث الرسول محمد (ص) وحال الشيعة قبل بعث المهدي الأول المذكور في وصية رسول الله (ص))[2].

حقيقة لم أجد منهجا عند كل منظري العقائد في كل الديانات السماوية، يدلنا أو يرشدنا إلى التعريف بحجة الله المعرف به والدال عليه كونه واجب الطاعة وأن معرفة مراد الله موقوفا عليهم ولا يمكن لغيرهم أن يتكلم باسم الله سبحانه ، فضلا عن وقوف بعضهم على أحقية خليفة الله بالاتباع ونقضهم لسنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل في خلفاءه (ع)، فلا السنة ولا الشيعة خرجوا لنا بمنهج أو قانون يُعرف به خليفة الله، سوى مجموعة من الآراء والاقتراحات والتصورات المبتدعة اعتمدوها وأسسوا عليها، وهنا أود أن أشير إلى أمر حري بكل متتبع أو باحث أن يلتفت إليه وهو:

طيلة فترة الغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) لم يثار موضوع المنهج أو الطريق الذي يجب توافره بالتحديد للتعرف على خليفة الله وبالذات الإمام المهدي (ع) بالشكل الذي يوعز للناس الالتفات لهذا المنهج في تشخيص خليفة الله في كل زمان سوى ما قدموه من روايات نقلوها في كتبهم تقول إن النص معرف بهم (ع) وعلى الناس أن تلتزمه منهجا للتعرف على حجج الله في كل زمان، فلم نجد طرحا على مستوى المنهج يرشد الأمة للتعرف عليه، ولم نسمع أو نشاهد أن القائمين على المؤسسات الدينية والذين نصبتهم الناس بعناوينهم المختلفة، وأسموهم وكلاءً ونوابا للأمام المهدي (ع) يحثون أتباعهم على لزوم منهج ثابت يعرف به حجة الله ويثبتون على الأقل حرصهم عليهم خوفا من وقوعهم بالانحراف وانجرارهم وراء مدعين مبطلين، سيما أن فترة الغيبة طويلة – طبعا كما أوضحنا سببها بعدم وجود القابل– تستلزم الحذر والانتباه خوفا من الوقوع بمصائد المدعين ، فضلا عن إخبارات الائمة المستفيضة والمتواترة في تحذير شيعتهم من المدعين المبطلين، وفي ذات الوقت فهم (ع) أسسوا لهذا المنهج حتى أن معظمهم (ع) تكلم فيه من باب تنبيه شيعتهم ومن باب آخر كانت أجوبتهم للأسئلة المثارة من شيعتهم وما أقلهم حول هذا الموضوع، وبمقابل ذلك نجد توصيفات وعبارات وإشارات مبعثرة في كتب الكثير منهم سوى البعض الذين قالوا لا سبيل لمعرفة حجة الله سوى النص، والبعض الآخر وخصوصا المتأخرين والمعاصرين منهم كانت هذه المسائل تشكل مسائل خلافية يقتاتون عليها لاستهلاك وجودهم المفترض كقادة للأمة، ولم يكونوا يتداولونه على سبيل الوقوف على الخلوص إلى منهج ثابت معرف بحجة الله.

---

[1] . التوبة : ١٠٦.
[2] . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٦٥ .

فالذي حصل عندما جاء رجل يحتج بقانون ثابت عرف نفسه من خلاله كونه وصي من أوصياء محمد (ص) وحجة من حجج الله وطوق الأعناق بالأدلة الصادحة والبراهين الواضحة والتي وصفها الأمام الصادق (ع) وقال عنها "إن أمرنا أبين من هذه الشمس"[1]، تبيانا منه بكيفية معرفة الحجة كانت النتيجة الإعراض والوقوف بجانب مجموعة من الفرضيات والاقتراحات وترجيح كفتها لتكون منهجا بديلا عن قانون معرفة الحجة يعرض عليه مدعي الإمامة وإن كان محتجا بالنص!!

وبالتالي لم نجد سوى هذه الفرضيات والاقتراحات التي ساهمت بشكل أو بآخر في تضييع الهدف الإلهي وتضييع حق خلفاء الله من جهة ، ومن جهة أخرى ساهمت في إظلال الناس وحرفهم عن الطريق القويم والمنهج الحق في تشخيص خلفاء الله واتباعهم سواءً كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى، فالجميع إما أخفق في معرفة هذا المنهج أو أنه لا يرغب به منهجا، فاليهود لم يؤمنوا بعيسى (ع) والنصارى لم يؤمنوا بمحمد (ص) والسنة لم يؤمنوا بعلي وأولاده الطاهرين (ع) والشيعة لم يؤمنوا بالمهدي الأول والمهديين من ولده كونهم خلفاء لله يعرفون بذات المنهج والقانون الذي يعرف الخلفاء السابقين من آدم الى يومنا فشلت كل الأمم التي عاصرت خلفاء الله في نصرتهم ما خلا القلة القليلة كل في زمانه.

القانون المعرف بحجج الله يفرض نفسه بقوة في الساحة العلمية حيث لم يستطع أحد النقض عليه أو تقديم منهج بديل يستند إلى دليل من الثقلين الذي هو بدوره حجة ومرجع لا بديل له للتشريع والحكم والعقائد.

وهذا القانون الذي نحتاج اليه والمعرف بحجة الله في دنيا الامتحان حتى قيام الساعة متوسم بثلاث:

أولا: النص.

يكون من الله مباشرة أو من الخليفة السابق إلى الخليفة اللاحق، في النتيجة يكون الخليفة الذي على الناس إطاعته منصوصا عليه، وكما يقول السيد أحمد الحسن (ع) ما معناه النص المباشر طريقه الوحي المفتوح بينه وبين كل خلقه وهو الرؤيا الصادقة ولا يترك هذا الطريق؛ لأنه سيكون مخالفا للرحمة

---

[1] . عن سعد والحميري وأحمد بن إدريس جميعا عن ابن عيسى وابن أبي الخطاب ومحمد بن عبدالجبار وعبدالله بن عامر، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن مساور، عن المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إياكم والتنويه أما والله ليغيبن إمامكم سنينا من دهر كم وليمحص(ولتمحصن) حتى يقال مات أو هلك بأي واد سلك ، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الايمان، وأيده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدرى أي من أي .
قال : فبكيت فقال (لي:) ما يبكيك يا عبدالله؟ فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول ترفع اثنتا عشر راية مشتبهة لا يدرى أي من أي؟ فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصفة، فقال: يا عبدالله ترى هذه الشمس؟ قلت: نعم ، قال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس [بحار الأنوار- المجلسي: ج٥٢ ص٢٨١].

والحكمة المطلقة، حيث إنه طريق يتحقق به الهدف من الخلق وهو المعرفة، وبالتالي هو طريق موافق للحكمة والرحمة المطلقة بعد إثبات وجوده سبحانه ولزوم حتمية الاستخلاف، وثبت عن الطريق العقلي بصورة واضحة وقطعية أن النص المباشر كان بتنصيب أول خليفة في أرضه وهو آدم (ع) بعد أن أوحى الله للملائكة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وكذلك تنصيب يوسف (ع) والنص عليه بالوحي وموسى وداود وعيسى (ع) .

ثانيا: العلم.

(وخليفة الله يمكنه الاستغناء عن غيره من الناس، وليس لأحد من الناس الاستغناء عنه وعن علمه؛ لأن الله يوحي اليه كل ما يستجد في دين الله وكل ما يحتاجه أهل زمانه في دينهم، والعلم الواجب هنا هو العلم الديني الذي يكلف خليفة الله بتبليغه الناس، فلابد أن يكون خليفة الله متصلا بالله ويعلمه الله ما يحتاج اليه في تبليغ رسالته وإيصال الدين الحق الذي يرضاه الله للناس، وكل ما يستجد من أحكام إلهية، والقول الفصل وحسم ما يختلف فيه الناس)[2].

وهذا العلم لكي يصل إلى الناس فهو منوط بوجود القابل للحق، وإلا فخليفة الله ربما يصمت لهذا السبب ولا يظهر علمه مع وجود أسباب أخرى يريدها الله سبحانه.

ثالثا: الدعوة لحاكمية الله.

(الأرض لا تخلو من الهدى والحق، ولو خليت من راية منصوبة داعية لحاكمية الله لخليت من الهدى والحق، فالدعوة لحاكمية الله وخصوصاً إذا انفرد بها داعي الحق في زمانه تكون دليلاً لمن يطلب معرفة الحق يعضد دليل النص المتقدم، فهو دليل بانضمامه إلى النص ويزيد من يقين المؤمن بالحق.

والمقصود بحاكمية الله ليس على مستوى التشريع فقط، بل على مستوى التنفيذ أيضا، مع أنه لا يمكن القول بحاكمية الله على مستوى التشريع دون المستوى التنفيذي، حيث إن التشريع متجدد فلابد إذا من منفذ متصل بالله ليوصل حكم كل مستحدث ومستجد، وليس ضروريا أن يباشر خليفة الله الحكم بنفسه،

---

[1] .البقرة : ٣٠.
[2] . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٩٣.

بل الضروري أن يكون مسلطاً على نظام الحكم وبالخصوص الدماء، أي ما يخص قرار الحرب والسلم، أو القصاص أي كأحكام الإعدام)[1].

وهذا القانون الذي احتج به حجة من حجج الله وعرفنا به ذكروه آل محمد (ع)[2].

أوضحنا من خلال البحث ضرورة وجود خليفة إلهي يمثل الله سبحانه في الخلق لإتمام الغاية والمشروع الإلهي في الأرض، واستعرضنا بشكل مجمل ضرورة النص على هذا الخليفة من قبل الله الحكيم المطلق والرحيم المطلق زوده سبحانه بالعلم الإلهي الذي من شأنه تبليغ الرسالة وإيصال الحق وكل ما يستجد من الأحكام الالهية، والشواهد كثيرة على طول مسيرة الخلفاء الإلهيين كونهم دعوا أممهم لأمر واحد وهو المعرفة والتوحيد والرجوع إلى الله، والذي لا يتحقق بدون الأيمان بهذا الخليفة ومسايرته وكيف أن الامم التي حاربت وقاتلت ورفضت هؤلاء الخلفاء عوقبت وأُهلكت وخير شاهد على ذلك القرآن فضلا عن ما وصل إلينا من قصصهم بالأحاديث والروايات.

أما هذا الخذلان لحجج الله فهو بسبب جهل الناس واتباعهم لأعداء خلفاء الله والذين حرفوا العقائد الحقة وألبسوا عليهم الأمور، واستحوذوا على عقولهم، وما معاناة الأنبياء والمرسلين والأوصياء(ع) إلا نتيجة هذه العوامل التي لا تكاد تفارق كل الأمم التي عاصرت خلفاء الله (ع)، فعندما تصطدم دعوات خلفاء الله بمنظومة الجهل والتجهيل التي يمثل طرفاها سادة وعلماء القوم المفترضين والناس أنفسهم، يتمخض عنها التحشيد للوقوف بوجه الدعوة الإلهية بكل الوسائل التي تفضي إلى هذا الهدف.

وعادة ما يصنع الطغاة والمفسدون في الأرض مبررات تحاكي جهل الناس وضعفهم والذي لا يكون بعيدا عن ركونهم وانشدادهم لحب الدنيا.

ولطالما حذر القرآن الناس من الوقوع في نفس الشراك التي وقعت فيها الأمم السابقة إذ يذكر ما جرى عليها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] ولكن إبليس تعهد بإغوائهم وتعبئتهم لحرب خلفاء الله، فصاروا يُفتون بأهوائهم ويتمردون على تشريعات السماء والمنصبون القائمون عليها، فاليوم ونحن نخوض

---

[1] . عقائد الاسلام - السيد أحمد الحسن: ص٩٩.

[2] . قال الامام الصادق (ع): الإمام يعرف بثلاث خصال لا تكون في غيره : أنه أولى الناس بالذي كان قبله، و عنده سلاح رسول الله ص و عنده وصيتة، و هي التي قال الله في كتابه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها»[بصائر الدرجات - الصفار: ج١ص١٧٤]،[الكافي - الكليني: ج١ص٣٧٩]،[الوافي: ج٢ص١٢٩]، [إثبات الهداة - الحرالعاملي:ج١ص٩٧]،[البرهان - البحراني:ج٢ص١٠٢]،[مرآة العقول - محمد باقر المجلسي: ج٤ص٢٣٢]، [بحار الأنوار - المجلسي: ج٢٣ص٢٧٧] ،[منهاج البراعة - الهاشمي الخوئي: ج٩ ص٢٣٠].

[3] . يوسف : ١١١.

الامتحان الثاني نجد زوبعة التنكر لخليفة الله تعصف بالناس، فالوهابيون والسلفيون والسنة بشكل عام يصرون على عدم ضرورة وجود خليفة منصب من قبل الله بعد رسول الله (ص) في الوقت الذي نشاهد ونسمع ونقرأ بأن كتبهم ومصادرهم التي يعتبرونها مصادر ومرجعيات لهم تعج بالأدلة الواضحة بوجوب تنصيب خليفة بعد رسول الله (ص) فمن منهم لم يقرأ ويطلع على تنصيب رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع)!!

شواهد لا تُرد تصدح بالتنصيب الإلهي لخلفائه (ع)

حديث الغدير

ونحن نتكلم عن امتحان الدنيا يعني أننا نتكلم عن كل صورة من صور الامتحان المفصل في هذا العالم، فلا معنى للامتحان إن لم يكن هناك منهج تم عرضه على الممتحنين وإجاباته مودعة في فطرتهم، فكل سؤال يمثل حالة أو فقرة من فقرات هذا المنهج، توجد إجابته في صفحة وجود الإنسان يفترض أن يعرفها، وحديث الغدير مَعلم واضح امتحنت به الأمة.

قبل البحث في دلالات حديث الغدير أجد من الضروري إلقاء نظرة على صيغة الحديث في مصادره ليحصل الاطمئنان بأنه من الأحاديث المتواترة الثابتة في كتب الفريقين، وللتأكيد بأن لفظ (المولى) الذي نستدل به على جعل الإمامة لعلي (ع) من قبل النبي (ص)، موجود في جميع الصيغ الواردة في كتب علماء الفريقين.

حديث الغدير في مصادر أهل السنة:

محمد بن جرير الطبري قال الإمام الذهبي: جمع (يعني الطبري) طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء رأيت شطره فبهرني سعة رواياته وجزمت بوقوع ذلك)[1].

بعض أحاديث الغدير:

١. قال النبي (ص) يوم غدير خم: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[2].

[1] . سير أعلام النبلاء- الذهبي: ج١٤ص٢٧٧.
[2] . مسند أحمد: رقم الحديث ٩١٥ .

٢. وعن زاذان أبي عمر قال: سمعت عليا في الرحبة، وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله (ص) يوم غدير خم وهو يقول ما قال فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله (ص) وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه)[١].

٣. إن النبي (ص) قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه» فعلي مولاه قال (ربما الراوي وهو أبو مريم أو غيره) فزاد الناس بعد: وال من والاه وعاد من عاداه)[٢].

٤. وعن أبي سرحة أو زيد بن علي عن النبي (ص): (من كنت مولاه فعلي مولاه)[٣].

٥. وقال سعد بن أبي وقاص لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن نال الأخير من علي (ع):(تقول هذا لرجل سمعت رسول الله (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه)[٤].

٦. وعن عائشة بنت سعد عن سعد قال: أخذ رسول الله (ص) بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألم تعلموا أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم، صدقت يا رسول الله. ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: من كنت وليه فهذا وليه، وإن الله ليوالي من والاه ويعادي من عاداه)[٥].

٧. عن عائشة بنت سعد عن سعد أنه قال: (كنا مع رسول الله بطريق مكة، وهو متوجه إليها، فلما بلغ غدير خم الذي بخم وقف الناس ثم رد من مضى ولحقه من تخلف فلما اجتمع الناس قال: أيها الناس هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. ثم قال: أيها الناس هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد ثلاثا (ثم قال) أيها الناس من وليكم؟

قالوا: الله ورسوله. ثلاثا. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فأقامه فقال: من كان الله ورسوله وليه فإن هذا وليه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه)[٦].

روى النسائي في سننه: عن محمد بن المثنى، عن يحيى بن حماد، عن أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ

---

[١]. مسند أحمد: رقم الحديث ٩٠٦.
[٢]. مسند أحمد: رقم الحديث ١٢٤٢.
[٣]. مسند الترمذي ، كتاب المناقب: رقم الحديث ٣٦٤٦.
[٤]. سنن بن ماجة : رقم الحديث ١١٨.
[٥]. ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق - علي بن حسن بن هبة الله: ج٢ ص٥٣.
[٦]. شرح ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٨٧.

بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه. قال أبو جعفر (الطحاوي): فهذا الحديث صحيح الإسناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته...)[1].

وأما حديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب)[2] وقال في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام: لم يجاوز المؤلف (الحافظ المزي) ما ذكر ابن عبد البر وفيه مقنع ولكنه ذكر حديث الموالاة عن نفر سماهم فقط وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلف فيه اضعاف من ذكر وصححه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابيا أو أكثر أما حديث الراية يوم فتح خيبر فروي أيضا عن علي والحسين والزبير بن العوام وأبي ليلى الأنصاري وعبدالله بن عمرو بن العاص وجابر وغيرهم وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال لم يرو لاحد من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي وكذا قال النسائي وغير واحد وفي هذا كفاية)[3].

أحاديث الرسول (ص) في النص والوصاية لعلي (ع) كثيرة جدا إلى حد لم يستطع إخفاءها حتى أعداءه، وهم نقلوها مضطرين لاستفاضتها، وأشهرها حديث غدير خم في حجة الوداع، فكم كان الأمر مهما وخطيرا حتى يجمع رسول الله (ص) ما يربو على المائة ألف من الحجيج والصحابة ليبلغهم بأن عليا (ع) أولى من المؤمنين بأنفسهم، فهم حاولوا إخراج الحديث وافراغه من محتواه الواضح، ولسنا هنا بصدد مناقشته لأنه يأخذنا بعيدنا عن محور البحث، ولكن ما نريد قوله هو لماذا هذا التأكيد والسعي الحثيث على تنصيب الخليفة اللاحق من الخليفة السابق؟ أليس لاستكمال مسيرة المشروع الإلهي التي جرت وتجري فصوله على كل الأمم دون استثناء؛ لأن الجميع تحت طائلة الامتحان، وفي هذا العالم تجري سنة الله في خلقه أمة تتلوا أمة بعد أن تأخذ كل أمة قسطها من الحياة والعيش على هذه الأرض ولله الحجة عليهم حيث يبعث فيهم خليفة من خلفاءه "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وهي إشارة إلى أن حجة الله في كل زمان منهم يدعوهم الى الله.

---

[1] . البداية والنهاية - ابن كثير : ج ٥ ص٢٢٨ ، مشكل الآثار- الطحاوي: ج٤ ص٣١٠.
[2] . فتح الباري - العسقلاني: ج٧ ص٦١.
[3] . تهذيب التهذيب - العسقلاني: ج٧ ص٢٩٧.

مشكلة أهل السنة مع حجية حديث الغدير في التنصيب الإلهي:

مع كثرة من رووا حديث الغدير من كبار علماء أهل السنة لكنهم لم ينزلوه منزل الحجية في تنصيب علي (ع) إماما وخليفة لرسول الله (ص).

فالسنة يقولون إنه لا ضرورة لوجود خليفة منصب أو حجة من الله بعد رسول الله (ص) باعتبارين:

١- أنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

٢- إن الدين اكتمل برسالة محمد (ص) بدعوى نزول الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1] .

أقول: أن سبب وجود وضرورة وجود محمد (ص) وكذلك خلفاء الله الذين بعثوا في أممهم قبله يفترض أن يكون نفس السبب؛ لأنه المتصل بالسماء أو الوحي، والذي يتصل بالوحي فهو قائم على التشريع والعقيدة والحكم، فإذا كان كذلك، فلنفس السبب يجب أن يكون بعد رسول الله (ص) خليفة لله متصل بالسماء ليكون قائما أو قيما على الدين الذي يمثل التشريع والعقيدة، فمن القيم على الدين بعد رسول الله (ص)؟

يقولون أن الرسالة اكتملت- وهي كذلك ولكن ليس بحسب فهمهم- فليس هناك موجب لرجل إلهي بعد رسول الله (ص)، فهنا لا يستقيم الآمر لسببين:

الأول

اذا كان الدين عند هؤلاء محصوراً في مجموعة تعاليم وتشريعات جامدة على الزمان والمكان يبلغها النبي أو الرسول للناس، فأين الحكمة من إرسال ما يربو على مائة وعشرون ألف نبي بحسب الروايات؟!

فإما نتهم الله سبحانه وحاشاه ونقول يكفي إذن أن يرسل نبيا أو رسولا برسالة تتوارثها الأجيال والله قادر على حفظها وديمومتها وهذا يأتي مطابقاً لما هم عليه الآن ولامجال لأنكاره ؛ لأنهم منذ أكثر من ألف عام يدينون بعقيدة أن الدين اكتمل على يد رسول الله (ص) ولكن الحال الذي هم عليه اختلافات وخلافات وتشريعات متضاربة وعقائد فاسدة جعلت من الدين مرمى سهام الملحدين وتشنيعاتهم عليه ، والحقيقة أن الدين أصبح مكتملا بتنصيب الخلفاء بعده إلى يوم القيمة، أو أن القائلين بعدم ضرورة وجود حجة منصب في كل زمان متهمون؛ لأنه أولا خالف الواقع وظاهر القرآن كونه أخبرنا عن استمرارية

[1] . المائدة : ٣.

إرسال الرسل والأنبياء أو خلفاء الله للأمم السالفة؛ ولأنهم يجهلون علة ذلك فإذا جهلوا علة ضرورة وجود الخليفة الإلهي سيكونون متهمين بالسفه في قولهم عدم ضرورة وجود خليفة منصب بعد رسول الله (ص)؛ لأن الواقع وحاجتهم للتشريع والمستجد في دين الله حاكما على بطلان ما يدعون.

الثاني

إذا كان الدين مكتمل عندهم فلماذا قبلوا بوجود أهل الفتوى الذين يشرعون لهم وما أكثرهم على امتداد فترة ما بعد الرسول (ص) إلى اليوم، بدعوى أنه توجد مستجدات ليس لها أحكاما شرعية، فصاروا يشرعون ويحللون ويحرمون، إذن فحاجتهم للتشريع بحد ذاته إقرار منهم بعدم اكتمال الدين لديهم.

حديث الثقلين و دعوى اكتمال الدين بعد رسول الله (ص)

سنن الترمذي عن زيد أيضا قال: قال رسول الله (ص): (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1].

لا نريد أن نتكلم عن سند الحديث وفي من صححه ومن ضعفه، فالحديث بلغ حدا من التواتر ما لا يتيح لمنكر متسع لإنكاره.

فكيف لمنظومتهم العقلية أن تضع فهما يقبله ذو لب، لتفريقهم الكتاب عن العترة، وقول الرسول من الوضوح ما لا يقوى على التلبيس عليه أحد، فيقول (ص) لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.

لن يفترقا؛ أي أنهما متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر، ومن ثم استمرار هذا التلازم إلى يوم القيامة، أما قولهم أن الرسول يعني "بأهل بيتي" هم نساءه وقسم منهم قال: ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم، كما ذكر ذلك ابن تيمية فالقولين منقوضين جملة وتفصيلا، فلا النساء يصدق عليهم كونهم أهل بيته ولا الذين ذكرهم ابن تيمية، فلا دليل عليهما، بل كيف لنساء النبي(ص) أن يكونوا ثقل يلازم القرآن والقرآن يجري مجرى الشمس والقمر وما لنساء النبي من حجة حتى يتمسك بها.

[1] . سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٩.

وعلى العكس من ذلك فالخطاب القرآني والنصوص الروائية التي لم تختلف ولن تتخلف عن النصوص القرآنية كثيرة في وجوب النص على خلفاء الله بعد الرسول محمد (ص) وهي سنة إلهية في النص على خلفاءه في كل زمان.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[3].

فالجعل والتنصيب مستمر؛ لأنه متعلق بوجود الخلق ولكونه لطف من الله، كون الخليفة المنصب من قبله سبحانه ووجه الله وتجليه في الخلق ومستقبل الفيض الإلهي من جهة، ومن جهة أخرى حجة على الخلق يقطع بها الأعذار لمن يتخلف عنهم ويتبع غير سبيلهم.

حيث أن الآية الكريمة تفرض اقتران الجعل في الحكم بالحق، يعني أن الحاكم بالحق هو من يجعله الله؛ لأنه سبحانه نسب الجعل لنفسه فلا محيص من أن يكون الخليفة الحاكم بالناس منصوصا عليه من الله.

مرة أخرى نؤكد من خلال الاحتجاج على الطرح السني بقولهم بعدم ضرورة وجود خليفة الهي منصب بعد رسول الله (ص)، لقد جانبوا الصواب وحجبوا ضوء الشمس بغربال، فإصرار رسول الله وتحمله العناء وتعرضه للفوادح من تصرفات قريش إنما كانت بسبب تقديمه لعلي (ع) خليفة من بعده والتأكيد على ذلك في أكثر المواقف دلالة على عِظم القضية التي يتبناها رسول الله (ص) وإلا ما معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[4].

والحقيقة أن الكثير من خطباء السنة وبعض كتابهم والذين لم يتغافلوا عن النصوص الصريحة وفي كتبهم بالذات أقروا بأن هناك وصاية لعلي(ع) وأولاده، ولذلك عندما تأخذ هذه المواقف مأخذها من هؤلاء الذين يتبنون الإصرار على عدم وصاية الرسول (ص) من أهل السنة فإنهم يشنعون على بعض

---

[1]. الأحزاب: ٦٢.
[2]. البقرة : ٣٠.
[3]. ص : ٢٦.
[4]. المائدة : ٦٧.

المنصفين منهم ويتهموهم بأنهم تشيعوا، وهذا بحد ذاته ينم عن الضعف في مقاومة قوة النصوص والإفحام لهم، وإلا فالأولى لهم أن يقدموا نقضا واضحا تدعمه النصوص الصريحة التي تؤيد مذهبهم لرفض التنصيص على خلفاء الله بعد رسوله (ص).

بخصوص آية التبليغ مستهجنا لقراءتهم الخاطئة لهذه الآية يقول طارق المصري ما مضمونه (.. الأمر ليس ما ذهبتم إليه ولا تنصرف الآية إلى ما فسرتموه محتجا بهذه الآية: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا* الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

فمن ماذا يخشى رسول الله ويتردد من تبليغ الآية التي إذا لم يبلغها سيذهب ما عمله رسول الله (ص) إدراج الرياح – فما بلغت رسالته – ويعلق قائلا أي إن لم تبلغ يا رسول الله سيذهب الدين كله، وهذا يذكرنا بقول الإمام الصادق (ع): (إن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه وحدوده)[2]. فهل ترك رسول الله (ص) شيئا من جهاد ومعارك وصبر على المكاره والشدائد والتحديات من قريش واليهود وغيرهم؟! فلم يثنه شيء من أداء الرسالة، فالرجل المنصوص هو الدين وهو المنصب والمنصوص عليه من الله فحجم المجازفة التي يصفها هذا الشيخ المصري تساوي ذهاب الدين كله.... ليس ثمة أمر سوى أنه يعرف رد فعل الصحابة والناس إذا ما صرح بتنصيب علي (ع) خليفة له وبالتالي ما هو رد فعل المؤمنين من جراء رفض الصحابة لهذا الأمر فما كان يجول في بال رسول الله (ص) هو كيف يحرص على المؤمنين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3])[4].

فما الذي بقي على رسول الله (ص) أن يبلغه وبالتالي فأن تخلّفه أو عدم تبليغه يساوي عدم تبليغ الرسالة يا ترى؟ هل أبقى رسول الله شيء مما تستطيع عقولهم التي شوهتها الآراء الفاسدة ولم يقلْه أو يبلغه إلا أن يكون أمراً عابراً لكل ما يدور في رؤوسهم؟! لأنهم أبوا أن يكونوا لمحمد (ص) مسلّمين وإن ادعوا ذلك، ومحمد (ص) أمين الله على وحيه.

---

[1] . الأحزاب : ٣٨- ٣٩.
[2] . بصائر الدرجات - الصفار: ص٥٤٩.
[3] . التوبة : ١٢٨.
[4] .متاح على https://www.youtube.com/watch?v=TsImNUYPf-U

فأين ذهبت جهود رسول الله طيلة ثلاث وعشرون عاما، ما الذي فعله خلال هذه السنوات الطوال، أيعقل أن نتصور أن رسول الله (ص) فرط في تبليغ الرسالة؟! وكيف وأن الله يقول: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" فهو الأمين على وحي الله.

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره:

قوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} يعني: (إن كتمت آية مما أُنزل عليك من ربك لم تبلغ رسالتي)[1].

وروى قول الطبري ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قوله:

(إن كتمت آية مما أُنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتي)[2].

وذكر الثعلبي سندا آخر إلى ابن عباس في قوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ} قال: (نزلت في علي (رض) أمر النبي (ص) أن يبلغ فيه فأخذ (ع) بيد علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

فعلى الأقل ووفق ما رواه رواتهم فإن الآية تشير إلى شيء خاص، وكان حديث الغدير شاهداً أكيدا على ما أرادوا أن يثيروا حوله الشبهات والطعن، فالتجئوا إلى تخريجات الحديث والرجال والتضعيف ودأبوا بحجب هذا الحديث وتضعيف الآخر، التي لاتعدوا أن تكون مؤامرة لطمس حقيقة الرسالة التي قامت ومازالت على أمر واحد لا يتعداه وهو خلافة الله في الأرض التي لا يخلو منها زمان حتى يرث الأرض من عليها؛ لأن الدين ليس كما تصوروه وصوروه بل هو كما قال الأمام الصادق (ع):

(..ثم إني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه ومن جهله جهل الله ودينه ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرائعه...)[3].

---

[1] . تفسير الطبري: ٦/ ٤١٤.
[2] .تفسير ابن ابي حاتم: ٤/ ١١٧.
[3] . بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٢٤ ص٢٩٠.

السجود لخليفة الله في الأرض الطريق الحصري للعبادة

شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون عبادته أو معرفته عن طريق معرفة وطاعة خير خلقه محمد واله الطاهرين (ع)، والتي عظم على إبليس اللعين أمر السجود لهم وطاعتهم، وقوله أنا خير منه، فطرد من رحمة الله وكان من المرجومين بسبب تكبره وحنقه على آدم (ع) وبالتالي على صفوة الخلق محمد (ص) وآله (ع)، فأول ما تذرع به إبليس عبادته حتى قيل أنه سجد ستمائة عام لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة، فكان هذا مبلغ إبليس اللعين من العلم والمعرفة، سبقته أناه وأفسدت عليه معرفة علة العبادة وسبب خلقه أصلا، وهؤلاء الذين يتبجحون اليوم بالعبادات الشكلية ويتصورونها المنجية لهم دون معرفة وولاية من أمرهم الله بالسجود لهم كما أمر إبليس من قبل، فهم يكررون منهج إبليس ويقولون نحن نعبد الله مباشرة ولا نعتقد بوجود وسيط أو باب يدخلوه أو طريق يوصلهم بوجود مرشد عارف بالطريق، ويدعون أن ما يقدموه من أعمال عبادية من صوم وصلاة وحج وغيرها هي سبب وجودهم في هذا العالم وهو عالم امتحانهم الثاني، الذي مازالوا يصرون على إبقاء نتيجتهم كما هي وكما سجلوها في عالم الذر، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا!!

ضرورة وجود خليفة لله في كل زمان

ناقشنا عقيدة السنة في خلفاء الله من زاوية اعتقادهم بعدم وجود ضرورة لوجود خليفة منصب من الله بعد رسول الله مما أدى إلى إنكارهم لأوصياء رسول الله (ص) المنصوص عليهم من الله وعن طريق وصية رسول الله المقدسة ليلة وفاته – والتي سنمر على الكشف عن مظلوميتها من قبل السنة والشيعة بشيء من التفصيل ذلك لتعلقها بأصل موضوعنا.

الشيعة يقرون بوجود اثنا عشر خليفة من بعد رسول الله (ص) أوصياء لمحمد (ص)، ويسمون أنفسهم بالاثني عشرية غير أنهم تعثروا ولم يكملوا الطريق؛ لأنهم قالوا أن المعصوم إذا غاب فلابد من تنصيب من ينوبون عنه فيشرعون ويفتون بحجة الاستنباط الشرعي من القرآن، وبهذا فقد صيروا دين الله غرضا للمتصيدين ، وبالنتيجة فهم عارضوا آية إكمال الدين حتى فيما يفهم من ظاهرها، فاتهموا الله سبحانه بأنه غير قادر على إكمال مشروعه في تنصيب خلفاءه إلى يوم القيامة، وأتهموا المعصوم المنصب من الله لتخلوا ساحتهم من الاتهام وهم الأولى أن يتهموا؛ لأنهم هم من وضعوا منهجاً قبالة المنهج الإلهي فنصبوا فقهاء غير منصبين من الله.

فمشروع التغييب لأوصياء محمد (ص) تبلور في خطوات وممارسات موجودة في أرض الواقع منها:

١- إنكار وصية رسول الله (ص).

أ. وصية رسول الله (ص) في المنظور السني.

ب. وصية رسول الله في المنظور الشيعي.

٢- الديمقراطية انقلاب آخر على وصية رسول الله (ص) واستهداف للمشروع الإلهي.

٣- علم الرجال ومدى تأثيره على استمرار المشروع الإلهي في تنصيب خلفاءه في أرضه.

٤- مناهج التفسير المبتدعة تعطيل لمشروع الله في الأرض.

- **إنكار وصية رسول الله (ص)**

مسألة التنصيب منبثقة من أصل موضوعنا المبني على لزوم معرفة المعرفين بالله للوصول إلى الغاية من الخلق بعد نجاحهم في الامتحان الأول عبر سباق الخلق فصارت معرفتهم في هذا العالم كل في زمانه ثم اللحوق به ونصرته والاغتراف من فيض علمه السمة التي تسم الامتحان في هذا العالم، فكانت أبرز صورة لهذا الامتحان هو القبول برجال منصوص عليهم من قبل السماء والثبات على هذا الحال حتى آخر نفس في هذا العالم أو الوقوف بوجه المنصب وإنكار تنصيبه واتباع مكائد وحيل الشيطان للوقوف بوجه المشروع الإلهي ومن ينفذه والمتمثل بخليفة الله في كل زمان.

- **الوصية في كتب السنة:**

عن ابن عباس، قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا ما شأنه؟ أهجر، استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها)[1].

[1] . صحيح البخاري: ج٤ ص٤١٦٨.

وعنه، قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتوني بالكتف والدواة، أو اللوح والدواة، أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله يهجر)[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا)[2].

العجلوني: (يا علي ادع بصحيفة ودواة فأملى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب علي وشهد جبريل ثم طويت الصحيفة. قال الراوي: فمن حدثكم أنه يعلم ما في الصحيفة إلا الذي أملاها وكتبها وشهدها فلا تصدقوه فعل ذلك في مرضه الذي توفي فيه..)[3].

- **الوصية في كتب الشيعة:**

الكليني: (مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ(ع): الْوَصِيَّةُ حَقٌّ وقَدْ أَوْصَى رسول الله (ص) فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُوصِيَ)[4].

سليم بن قيس عن علي (ع):

(يا طلحة، ألست قد شهدت رسول الله (ص)حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: "إن نبي الله يهجر" فغضب رسول الله (ص) ثم تركها؟ قال: بلى، قد شهدت ذاك. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني بذلك رسول الله (ص) وبالذي أراد أن يكتب فيها وأن يشهد عليها العامة. فأخبره جبرائيل: (أن الله عز وجل قد علم من الأمة الاختلاف والفرقة)، ثم دعا بصحيفة

---

[1] . صحيح مسلم - كتاب الوصية.
[2] . صحيح البخاري:ج٥ ص١٣٧- ١٣٨.
[3] . كشف الخفاء - العجلوني: ج٢ ص٣٨٣.
[4] . الكافي - الكليني: ج٧ ص٣.

فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبا ذر والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة ...)[1].

قطب الدين الراوندي: عن محمد بن الفضيل عن الرضا (ع) في حديث دخول الكوفة واحتجاجه مع علماء اليهود والنصارى، ورد فيه:(... فان رسول الله (ص) لما كان وقت وفاته دعا عليا وأوصاه، ودفع إليه الصحيفة التي كان فيها الأسماء التي خص الله بها الأنبياء والأوصياء)[2].

في الحقيقة عندما نريد أن نثبت حق وجوب كتابة الوصية سيما إن مدار الحديث عن وصية كتبها سيد الخلق طرا والمنفذ لأمر الله ودستوره والأمين على وحيه محمد (ص) فالمقام يطول ولسنا بصدد البحث التفصيلي سوى ما نريد الاستشهاد به لبيان خطورة ما أقدم عليه المنكرون لوصية رسول الله (ص)، ولما لها علاقة مباشرة ببحثنا الذي يسير جنبا إلى جنب مع إثبات الثابت في كتاب الله وروايات الطاهرين (ع) من أن الله ينصب خلفاءه في خلقه وأن سنتة جارية في هذا التنصيب منذ آدم إلى يوم القيمة وأن الطعن بها يعني الطعن بمشروع الله وبحكمته وعدالته، وهذه بعض النماذج من عشرات الروايات الصحيحة المنقولة في كتب السنة والشيعة لتكون دليلا على حقانية الوصية[3] ومطابقتها لأصل قرآني واضح.

القرآن:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[4] وذكرته وحثت عليه الأحاديث والروايات:

عن السكوني عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية)[1].

---

[1] . كتاب سليم بن قيس: ص٢١١.

[2] . الخرائج والجرائح - الراوندي: ج١ ص٣٥١.

[3] . ثنا أبو نعيم وأنبأنا أبو الفتح الحداد ثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله قالا ثنا سليمان بن أحمد الطبراني ثنا محمد بن هارون بن عيسى بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور الهاشمي ثنا عبيد الله بن عبد الله بن العباس الهاشمي ثنا إسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه عن أبي جعفر المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس أن النبي(ص) قال ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في الآخرة .[المعجم الصغير للطبراني ٢ / ١٧ ج٨ ص٣٦٧].
سعيد قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، قال: «من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية» الحديث السادس الكتاب: [سنن سعيد بن منصور: ج١ ص٣٨٢].
وروي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له. الحديث السابع [الترغيب والترهيب– للمنذري: ج٤ص١٦٩] رواه ابن ماجة
- فقد خرج النسائي عنه {عن النبي ﷺ: الإضرار في الوصية من الكبائر} ثم تلا: {تلك حدود الله} {قد صرح ﷺ بأن الإضرار في الوصية من الكبائر وسياق الآية شاهد لذلك، ومن ثم صرح جمع من أئمتنا وغيرهم بأن ذلك من الكبائر} ...الى ان قال وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {لو أن الرجل يعمل عمل أهل الجنة سبعين سنة وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة } .... الى ان قال: {قال في الوصية: وأيضا فمخالفة أمر الله عند القرب من الموت تدل على الخسارة الشديدة، وذلك من أكبر الكبائر انتهى.([الزواجر عن اقتراف الكبائر:ج٢ص٢٠].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال الإضرار في الوصية من الكبائر ثم تلا تلك حدود الله .....الخ [الترغيب والترهيب– المنذري:ج٤ص١٦٩].

[4] . البقرة :١٨٠.

وقال رسول الله (ص) : (من مات ولم يوص فقد ختم عمله بمعصية)[٢].

عن الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قال: يعني يوصي الإمام إلى إمام عند وفاته)[٣].

ولكن الفقهاء أو ما يسمون بعلماء المسلمين سنة وشيعة يتهمون رسول الله (ص) لتركه هذا الفرض الذي يعاب على تركه عامة الناس!

- **وصية رسول الله (ص) في المنظور السني**

فالسنة فسروا من جانبهم وحصروا آية الوصية بالميراث وتقسيم الأموال، مع أن ظاهر الوصية ينطوي على مطالب أخرى، والخير الكثير مصاديقه كثيرة كقوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[٤]، ونحن نتكلم عن وصية لرسول الله (ص) فمتى كانت الأموال موضع اهتمام رسول الله لتكون آخر ما يوصي به هي الأموال؟!

يقول السيد أحمد الحسن: (أيضا: الوصية بتقوى الله وحث الناس على نصرة خليفة الله في أرضه خصوصا لمن يظن أن لكلامه أو وصيته أثرا على بعض من يقرأها بعد موته في معرفة الحق ونصرة خليفة الله، فأمير المؤمنين (ع) لم يأمر شخصاً مقلا أن يترك الوصية بل أمره أن لا يتركها ويوصي بتقوى الله.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع): (أَنَّهُ حَضَرَهُ رَجُلٌ مُقِلٌّ فَقَالَ: أَلَا أُوصِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: أَوْصِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَمَّا الْمَالُ فَدَعْهُ لِوَرَثَتِكَ فَإِنَّهُ طَفِيفٌ يَسِيرٌ، وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنْ تَرَكَ خَيْراً" وَأَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ خَيْراً تُوصِي فِيهِ)[٥].

يؤكد السيد أحمد الحسن في موضع آخر على قدسية الوصية وأهميتها:

(فخليفة الله الذي أفنى عمره في العمل على نشر التوحيد والأخلاق الالهية ولاقى الأمرين من أجل إنجاز مهمته الإلهية هل يختم آخر لحظات حياته بالوصاية بالأموال؟ وأية أموال لرسول الله (ص)،

---

[١] . النهاية - الشيخ الطوسي: ص٦٠٥.
[٢] . إثبات الهداة - الحر العاملي: ج١ ص١٤٣.
[٣] .نفس المصدر السابق.
[٤] . البقرة : ٢٦٩.
[٥] . مستدرك الوسائل - الميرزا النوري: ج١٤ص١٤١.

والحال أن وصايا الأنبياء والمرسلين والأئمة (ع) معروفة في غير ما ذهبوا إليه، وهل يترك الأمة في ضياع من بعده وهو يعلم كيف تحاك المؤامرات لحرف المسيرة الإلهية وعدم بقاء قيادة الأمة بيد خلفاء الله المنصوص عليهم وهو (ص) يعلم ما سوف يجر هذا الأمر على الأمة وعلى دين الله ومشروع الله وضياع جهوده (ص) بل وجهود كل الأنبياء والمرسلين)[1].

فرسول الله (ص) هو الأولى بالحفاظ على مسيرة المشروع لإلهي وتحققه في الأرض:

(أما فيما يخص خليفة الله في أرضه أو رسول الله (ص) بالخصوص فواضح أنه يترك خيرا كثيرا وهو منصب خلافة الله في أرضه[2] بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى هو طريق إيصال التكليف للناس، فكيف يترك الوصية بمن يخلفه ؟!)[3].

ولاشك فالأصل هو استمرار وصول رسالة السماء وتعاليمها من أجل إيصال الخلق إلى أعلى مراتب التحصيل من الكمال والمعرفة – طبعا لمن يخلص في طلبها – والذي لا يتم إلا من خلال رسل السماء بشخوصهم التي تحمل معها النص السماوي لخلافة الأرض، وهذا هو الشغل الشاغل للرجال الإلهيين الذين تحملوا أعباء نشر الرسالة السماوية على طول خط الأرسال كونه سنة تلازم وجود الخلق على هذه الأرض للزوم بقاء الحجة عليهم والأخذ بيد من يريد الوصول والاتصال، فكيف يتخلف سيدهم وهاديهم عن أداء هذا الحق؟ ولكن هي المحاولة التي لا يتوانى إبليس اللعين عن ممارستها في فترة مهلته إلى يوم الوقت المعلوم.

فبعد كل هذه المعطيات والتي تقول أن كتابة الوصية أمرا مفروغا منه على مستوى العقل والنقل، بات من غير المقبول أو المعقول أن يكون إنكار السنة لكتابة الرسول (ص) للوصية المقدسة ليلة وفاته أمرا يصب في إطار التفسير العلمي والرد الموضوعي بما يتوافر لديهم من استدلالات عاجزة وتبريرات هابطة على المستوى العلمي والنقدي، بل هو خطوة أولى على مستوى العلن لإكمال المشروع المناهض لمشروع السماء القاضي بحتمية تنفيذ الدستور الإلهي لحاكمية الله في الارض والذي لا ينفذه إلا رجال الهيون اختارهم الله دون غيرهم لأسباب ذكرناها سابقا، وهذا المشروع السفلي والذي كانت تحاك خيوطه في

---

[1] . الوصية المقدسة - السيد أحمد الحسن.

[2] . إنّ الامامة وهداية الخلق خير كثير وفضل إلهي كبير خصَّ الله به سادة خلفائه في أرضه، لذا أصبح الائمة (ع) موضع حسد الناس، روى الكليني: [١- .. عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (ع) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: (أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)، فَكَانَ جَوَابُه: ..... (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه) نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ. (فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) يَقُولُ: جَعَلْنَا مِنْهُمُ الرُّسُلَ والأَنْبِيَاءَ والأَئِمَّةَ فَكَيْفَ يُقِرُّونَ بِه فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ (ع) ويُنْكِرُونَه فِي آلِ مُحَمَّدٍ (ص) .....] [الكافي - الكليني: ج١ص٢٠٥].

[3] . الوصية المقدسة - السيد أحمد الحسن.

دهاليز منظومة النفاق والمنافقين توضح جليا بهذه الخطوة الاستباقية المحسوبة، لكي تنطلق مسيرة البديل الذي كان بحسب واقعهم بالأصل لم يكن ليسمح بتمرير مشروع الرسالة المحمدية من أساسه.

تآمر المنافقون على اغتيال النبي (ص) في العقبة بعد رجوعه من غزوة تبوك[1]، ولكنهم عمدوا على العمل الحثيث لتحين الفرصة السانحة للإجهاز على مشروع حاكمية الله وأخذ دورها إلى نهاية الطريق، وقد نجح فعلا في خطوته الأولى وقطفت أولى ثماره بشورى السقيفة التي تمخضت عن ولادة أول مغتصب لخلافة الله في الأرض بعد رسول الله (ص) ، وللتذكير أقول بأن مسيرة المؤامرة على مشروع خلافة الله في الأرض بدأت منذ أول يوم لتنحية الأنسان الذي رفض إبليس اللعين بالسجود له "إني جاعل في الأرض خليفة" وبأشكالها المختلفة وفق تداعيات وظروف ألمت بكل أمة من الأمم السالفة.

واستمرت حلقات المؤامرة على خلفاء الله منذ ذلك اليوم الذي غرزت حربة الشر والنفاق في خاصرة المشروع الإلهي، فكان التأسيس لإزاحة آل محمد (ع) عن قيادة الأمة التي ضربت بها الفتن وشرذمتها الآراء الضالة والدسائس التي ما انفكت تلاحق أوصياء محمد (ص) إلى يومنا هذا بسبب تداول شذاذ الآفاق ونبذة الكتاب دفة قيادة الأمة المخذولة بسبب خذلانها لخلفاء الله.

يقول الدكتور أحمد محمود كريمة استاذ الشريعة في جامعة الأزهر وهو يتحدث عن مؤامرة[2] دبرت بليل لانتزاع الخلافة من علي (ع) حيث ذكر ما جرى من اعتراضهم على كتابة الكتاب العاصم من الضلال الذي أراد رسول الله كتابته، وكانت حلقاتها الأخرى ضد الحسن والحسين (عليهما السلام) وكأنه يريد أن يقول أن مشروع الحرب على خلفاء الله قائم وطريقته المؤامرة والدسيسة، ولكن الأمر المؤلم حقا هو مع إقراره بحجم الكارثة التي سببها الصحابة نتيجة اغتصابهم للمنصب الإلهي فإنه يريد أن يقول أن

---

[1] . عن أبي الطفيل عامر بن واثلة- رضي الله عنه- قال: [لما أقبل رسول الله -ﷺ- من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: (إن رسول الله -ﷺ- أخذ العقبة ، فلا يأخذها أحد). فسار رسول الله -ﷺ- في العقبة؛ يقوده حذيفة، ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، فغشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله -ﷺ-، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله -ﷺ- لحذيفة: ((قُدْ قُدْ، ويا عمار: سُقْ سُقْ)) فأقبل عمار على القوم فضرب وجوه رواحلهم ، حتى هبط رسول الله -ﷺ- من العقبة، فلما هبط، ورجع عمار قال: ((يا عمار، هل عرفت القوم؟)) فقال عمار - رضي الله عنه- : قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون. قال-ﷺ-: ((هل تدري ما أرادوا ؟)).قال عمار- رضي الله عنه-: الله ورسوله أعلم ،قال -ﷺ- : ((أرادوا أن ينفروا برسول الله -ﷺ-فيطرحوه)). قال فسأل عمار -رضي الله عنه- رجلاً من أصحاب رسول الله -ﷺ- فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر. قال: فعذر رسول الله -ﷺ- منهم ثلاثة؛ قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله -ﷺ- ، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد]. أخرج الحديث بطوله الإمام أحمد في المسند(٤٥٣/٥) ، والطبراني في المعجم الكبير– كما في مجمع الزوائد(١١٠/١-١١١) وأصل الحديث في مسند أحمد رواه في صحيحه (٤١٢٤/٤رقم٢٧٧٩).

[2] .متاح على https://www.youtube.com/watch?v=h٠BJqMzIzy٠

هناك مخرجا يبرئ ساحة المغتصبين، وهذه ازدواجية مقرفة تبين لنا كيف صُنعت منظومة الإقصاء لخلفاء الله المنصبين واستبدالهم مع وضع المبررات لها.

- **وصية رسول الله (ص) في المنظور الشيعي**

للأسف الشديد لم يعد لهذا العنوان بريقه الحقيقي، بسبب التعاطي الخاطئ معه، ونحن نعلم وكل من تابع سيرة آل محمد (ع) أن لكل زمان ظروفه التي تحتم طرح العقيدة الدينية الحقة من قبل خلفاء الله وفق ما تمليه هذه الظروف والتي كانت أغلبها قهرية تستوجب التحفظ حينا والصمت حيناً آخر، وهذا يعود للمظلومية التي تعرض لها حملة الرسالة الحقيقية وهم محمد وآل محمد (ع) بسبب خذلان الناصر وعدم وجود القابل الحقيقي لعلومهم الشريفة، وهو في الحقيقة السبب الرئيسي، فلو كان لأهل البيت نصرة حقيقية لتوفرت لهم المنعة وامتلكوا زمام القيادة والحكم و لقالوا ما يفترض أن يقال ونشروا علومهم، لكن أعداء آل محمد (ع) نغصوا عليهم وجودهم وحياتهم وأداء رسالتهم الإلهية الحقة.

فلهذا أضطر آل محمد (ص) أن يخفوا أسرارهم إلا عن القليل من أهل الايمان الذين عاصروهم، فالوصية المقدسة لرسول الله (ص) لم تظهر ولم يحتج بها إلا الإمام الصادق (ع) خوفا من استهداف صاحب النص بعد تشخيصه ومعرفة العامة به، ولو كان نص الوصية ظاهرا لما نازع محمد بن الحنفية علي بن الحسين(ع) بخصوص الإمامة[1]، وحتى بعد الإمام جعفر الصادق (ع) استمر الوجل والحذر من اشتهار صاحب النص في زمن العباسيين، وما حصل من ملابسات في وصاية الأمام الرضا (ع) وتآمر أقرب الناس إلى الامام الكاظم (ع) وهو حاجبه أبو حمزة البطائني[2] وآخرين معه حيث استهوتهم

[1] . روى الكليني بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقِرِ - عَلَيْهِ السَّلامُ - قالَ: لمّا قُتِلَ الحُسَينُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - أرْسَلَ مُحَمَّدُ بنُ الحنفيَّةِ إلى عَلِيّ بنِ الحُسَينِ - عَلَيْهِما السَّلامُ -، فخَلا بِهِ فقالَ لهُ: يا بنَ أخِي قدْ عِلِمْتَ أنَّ رَسُولَ اللهِ - صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ - دَفعَ الوصيَّةَ والإمامَةَ منْ بَعْدِهِ إلى أمِيرِ المُؤمنينَ - عَلَيْهِ السَّلامُ -، ثمَّ إلى الحَسَنِ - عَلَيْهِ السَّلامُ -، ثمَّ إلى الحُسَينِ - عَلَيْهِ السَّلامُ -. وقدْ قُتِلَ أبوكَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وصُلِّيَ على رُوحِهِ ولمْ يُوَصِّ، وأنا عَمُّكَ وصِنْوُ أبِيكَ، وولادَتِي منْ عَلِيّ - عَلَيْهِ السَّلامُ - في سِنِّي وقدِيمِي أحقُّ بِها مِنْكَ في حَداثَتِكَ، فلا تُنازِعْنِي في الوَصِيَّةِ والإمامَةِ، ولا تُحاجِّنِي، فقالَ لهُ عليُّ بنُ الحُسَينِ - عَلَيْهِ السَّلامُ -: يا عَمِّ، اتَّقِ اللهَ ولا تدَّعِ ما ليسَ لكَ بِحَقٍّ، إنِّي أعِظُكَ أنْ تكونَ منَ الجاهلينَ. إنَّ أبي يا عَمِّ - صَلواتُ اللهِ عليْهِ - أوصى إليَّ قبلَ أنْ يتوجَّهَ إلى العِراقِ، وعَهِدَ إليَّ في ذلِكَ قبلَ أنْ يُسْتَشْهَدَ بِساعَةٍ، وهذا سِلاحُ رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ - عِنْدِي، فلا تتعَرَّضْ لِهذا؛ فإنِّي أخافُ عليْكَ نقصَ العُمُرِ وتشتُّتَ الحالِ. إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَ الوَصِيَّةَ والإمامَةَ في عَقِبِ الحُسَينِ - عَلَيْهِ السَّلامُ -، فإذا أردْتَ أنْ تعلمَ ذلِكَ فانْطَلِقْ بِنا إلى الحَجَرِ الأسودِ حتّى نتحاكَمَ إلَيْهِ، ونسألَهُ عنْ ذلِكَ. قالَ أبو جَعْفَرٍ - عَلَيْهِ السَّلامُ -: وكانَ الكلامُ بينَهُما بِمَكَّةَ، فانْطلقا حتّى أتَيا الحَجَرَ الأسْوَدَ، فقالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ لِمُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ: ابدأْ أنتَ فابتهِلْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وَسَلْهُ أنْ يُنْطِقَ لكَ الحَجَرَ، ثمَّ سَلْ، فابتهلَ مُحَمَّدٌ في الدُّعاءِ وسألَ اللهَ ثمَّ دَعا الحَجَرَ فلمْ يُجِبْهُ، فقالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ - عَلَيْهِما السَّلامُ -: يا عمِّ، لوْ كُنْتَ وَصِيّاً وإماماً لأجابَكَ، قالَ لهُ مُحَمَّدٌ: فادْعُ اللهَ أنتَ يا بنَ أخِي وسَلْهُ، فدَعا اللهَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ - عَلَيْهِما السَّلامُ - بِما أرادَ ثمَّ قالَ: أسألُكَ بالذي جعلَ فِيكَ مِيثاقَ الأنبياءِ، ومِيثاقَ الأوصياءِ، ومِيثاقَ النّاسِ أجمعينَ لمّا أخبرْتَنا مَنِ الوَصِيُّ والإمامُ بَعْدَ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ - عَلَيْهِ السَّلامُ -؟ قالَ: فتحَرَّكَ الحَجَرُ حتّى كادَ أنْ يزولَ عَنْ موضِعِهِ، ثمَّ أنطقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بِلِسانٍ عَرَبِيّ مُبينٍ، فقالَ: اللهمَّ إنَّ الوَصِيَّةَ والإمامَةَ بَعْدَ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ - عَلَيْهِما السَّلامُ - إلى عَلِيّ بنِ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ وابنِ فاطِمَةَ بنتِ رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ -، قالَ: فانصَرَفَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ وهوَ يتولّى عَلِيَّ بنَ الحُسَينِ - عَلَيْهِ السَّلامُ -). [الكافي- الكليني: ج١ص ٣٤٨]

[2] . فموته عليه السلام أشهر من أن يحتاج إلى ذكر الرواية به لان المخالف في ذلك يدفع الضرورات، والشك في ذلك يؤدي إلى الشك في موت كل واحد من آبائه وغيرهم، فلا يوثق بموت أحد، على أن المشهور عنه عليه السلام أنه وصى إلى ابنه علي بن موسى عليه السلام، وأسند إليه أمره بعد موته، والاخبار بذلك أكثر ثم قال: وقد روي السبب الذي دعا قوما إلى القول بالوقف، فروى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد علي

الدنيا وطمعوا بحطامها وكانت أموال الأمام الكاظم (ع) والتي يستلمها من شيعته في حوزته فعندما علم باستشهاده (ع) استولى على الأموال وأحدث فتنة كان من إفرازاتها ظهور فرقة الواقفية، حيث وقفوا على إمامة الأمام الكاظم (ع) ولم يبايعوا الأمام الرضا (ع).

وهكذا استمر مسلسل الخذلان لآل محمد (ع) حتى انتهى بغيبة الأمام محمد بن الحسن (ع) بعد أن ابتعدت الأمة عن إمامها وأعرضت عنه، فغيبوه بإعراضهم عنه، ولكن مع هذا كله فإن تراث آل محمد (ع) وصل منه ما يلزم الأمة، فوصية رسول الله (ص) نقلها أحد علماء الطائفة الشيخ الطوسي (رحمه الله) ونقلت منه أكثر من ثلاث عشر مصدر من أمهات كتب الشيعة وكان إظهارها من قبل السيد أحمد الحسن (ع) في وقت أثبت فيها حجيته ولم تبق عذر لمعتذر، وقد سماها الإمام الباقر بالوصية الظاهرة[1] باعتبار أن فترة الائمة (ع) وحتى فترة الغيبة الكبرى للإمام محمد بن الحسن العسكري (ع) لم يحن وقت إظهارها وإشهارها.

ولكن ما جرى اليوم فأن البعض ركبوا مركب السنة وأنكروا وصية رسول الله (ص) ليلة وفاته متذرعين بحجج بعضها موضوع أصلا وبعضها بسبب عدم فهمم من جهة وابتعادهم عن منهج آل محمد (ع) من جهة أخرى ، فقالو:

١- أن في رواية الوصية المقدسة مجاهيل.

٢- أن سند الوصية ضعيف.

٣- أن متن الوصية مضطرب.

٤- وبعضهم قال لم تكتب أصلا لأن رسول الله ص منع من كتابتها.

بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرواسي ، طمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها، واستمالوا قوما فبذلوا لهم شيئا مما اختانوه من الاموال، نحو حمزة بن بزيع وابن المكاري وكرام الخثعمي وأمثالهم .
فروى محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد عن محمد بن جمهور، عن أحمد بن الفضل، عن يونس بن عبدالرحمن قال: مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، و كان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعا في الاموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه فبعثا إلي وقالا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كف، فأبيت وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الايمان، وما كنت لادع الجهاد في أمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة .)[بحار الأنوار - المجلسي: ج٤٨ ص٢٠- ٤٦] باب رد مذهب الواقفية الذي لأجله قيل بالوقف على موسى (عليه السلام).

[1] . عن عبد الاعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الامر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ قال: (يسأل عن الحلال والحرام ، قال: ثم أقبل علي فقال: ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الامر أن يكون أولى الناس بمن كان قبله ويكون عنده السلاح ويكون صاحب الوصية الظاهرة...) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له، بأي شيء يعرف الامام؟ قال: بالوصية الظاهرة وبالفضل[الكافي- الكليني:ج١ ص٢٣٢].

الخوض في موضوع سند الوصية والقواعد الرجالية التي يعتمدوها في التعامل مع الروايات يحتاج إلى تفريع على كثير من العناوين، ولكن لما كان الغرض من التعرض لموضوع الوصية هو بيان موقف من يدعون التشيع من خلافة الله من خلال التعاطي السلبي مع الوصية المقدسة وتعطيل مشروع الله متجليا بمشروع الأمام المهدي(ع) وهو خلاصة عالم الخلق الثاني، سنركز على العناوين الرئيسية التي كانت نتائجها الرفض والتكذيب.

بالنسبة للشيعة ينبغي أن يكون موقفهم من الوصية المقدسة لرسول الله (ص) غير موقف السنة باعتبار أن السنة لديهم ثابت عقائدي أسسوه منذ البداية وهو عدم القبول بضرورة تنصيب خليفة لرسول الله (ص) باتكائهم على فهمهم لآية إكمال الدين كما أوضحناه في محله، ولكن الشيعة ليسوا كذلك على الأقل من باب ما يعتقدون هم به بوصاية رسول الله (ص) لعلي (ع) بحادثة غدير خم الشهيرة والثابتة في كتب الفريقين والتي يحاجون بها السنة بإمامة أمير المؤمنين (ع) من جهة ومن جهة أخرى هم يؤمنون أن هناك وصية لرسول الله (ص) المسماة بوصية الخواتيم[1]، بغض النظر عن توظيفها الخاطئ الذي سوقوه وهو ما لا يتفق ومحتوى هذه الوصية وعنوانها وغايتها وهذا ما سنوضحه آنفا.

أما ما ورد في رواية سليم بن قيس:

(يا طلحة، ألست قد شهدت رسول الله (ص) حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: (إن نبي الله يهجر) فغضب رسول الله (ص) ثم تركها؟ قال: بلى، قد شهدت ذاك. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني بذلك رسول الله (ص) وبالذي أراد أن يكتب فيها وأن يشهد عليها العامة. فأخبره جبرائيل: (أن الله عز وجل قد علم من الأمة الاختلاف والفرقة، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبا ذر والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة)[2].

---

[1] .عن أبي عبد الله (ع) قال: (الوصية نزلت من السماء على رسول الله (ص) كتاباً مختوماً ولم ينزل على رسول الله (ص) كتاب مختوم إلا الوصية فقال جبرئيل (ع): يا محمد هذه وصيتك في أمتك إلى أهل بيتك. فقال رسول الله (ص): أي أهل بيتي يا جبرئيل فقال: نجيب الله منهم وذريته ليورثك في علم النبوة قبل إبراهيم وكان عليها خواتيم ففتح علي (ع) الخاتم الأول ومضى لما أمر فيه ثم فتح الحسن (ع) الخاتم الثاني ومضى لما أمر فيه ثم فتح الحسين (ع) الخاتم الثالث فوجد فيه: أن قاتل واقتل وتقتل وأخرج بقوم للشهادة لا شهادة لهم إلا معك ففعل ثم دفعها إلى علي بن الحسين (ع) ومضى ففتح علي بن الحسين الخاتم الرابع فوجد فيه : أن أطرق وأصمت لما حجب العلم ثم دفعها إلى محمد بن علي (ع) ففتح الخاتم الخامس فوجد فيه: أن فسر كتاب الله تعالى وصدق أباك وورّث إبنك العلم واصطنع الأمة وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله ففعل ثم دفعها إلى الذي يليه فقال معاذ بن كثير: فقلت له: وأنت هو فقال: ما بك في هذا إلا أن تذهب ـ يا معاذ ـ فترويه عني نعم أنا هو حتى عدد عليّ اثنا عشر اسماً ثم سكت فقلت: ثم من فقال حسبك) [الغيبة ـ النعماني: ص٦٠] ، وأما قول أبو عبد الله (ع) (حسبك) فدلالته واضحة للتعبير عن كتمان الإمام (ع) عن البوح بأسماء أو عدة المهديين (ع) لذات السبب الذي بيناه ، فضلا على أن ليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال حضر أهله ، وربما لأن هذه الاسماء ليست محل ابتلاء السائل.

[2] . كتاب سليم بن قيس: ص٢١١.

وهذه الرواية حجة على الشيعة أكثر مما هي على السنة فهي تجمع وتوثق بين حادثة رزية الخميس التي يشنع بها الشيعة على مقولة عمر بن الخطاب و جرأته على رسول الله (ص) حين قال إن الرجل ليهجر فمنع كتابة الكتاب العاصم من الظلال، وبين توكيد كتابتها بتوثيق أمير المؤمنين (ع) ثم أن أمير المؤمنين(ع) ذكر فيها الاختلاف والفرقة، فهل ستكون الشيعة مع علي (ع) أم مع الأمة المختلفة والمتخلفة عن رسول الله (ص)؟!

محورين أساسيين في هذه الرواية:

١- الرواية تخبرنا بأن الرسول (ص) أراد أن يكتب الكتاب ويشهد عليه العامة، فالقول بأن الرسول (ص) امتثل لرغبة المعترضين ولم يكتب فهو اتهام لرسول الله (ص) بعدم امتثاله لأمر الله، فدعوته (ص) لكتابة الكتاب وحي من الله؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.
٢- تذكر الرواية أن أسماء أئمة الهدى التي تضمنتها الوصية فيها أسماء الأوصياء إلى يوم القيمة، وهذا يدفعنا لتبيان أمر فات المعترضين على هذه الوصية لوجود اثنا عشر مهديا بعد الأمام المهدي (ع) يحكمون دولة العدل الإلهي في الأرض بعد أبيهم الأمام المهدي (ع)، ظنا منهم أن هذا يعارض كون الأئمة اثنا عشر تنتهي بأخرهم عدتهم وتأتي بعدها الرجعة- وهذا سأبينه في الفصل الثالث على وجه التفصيل إن شاء الله تعالى- والأمر ليس كذلك.

آل محمد (ع) أخبروا بأن الأرض لا تخلو من حجة على هذه الأرض والروايات في هذا المعنى تغص فيها كتب الشيعة والشريف المرتضى واحد من علماء الشيعة يقول لا يعارض وجود المهديين كون أن الأرض لا تخلو من حجة[١].

أعتقد أن اعتراض من يعترض وتكذيب من يكذب الوصية المقدسة لرسول الله (ص) يحصل هكذا دون مقدمات وتأسيسات سبقتها؛ لأن الابتعاد عن نهج آل محمد (ع) نتج عنه وجود منظومة عقدية خاصة جمعت كل هذه الإشكالات فرسمت خارطة طريق سارت بالتوازي مع تلك الخطوط التي سار عليها مؤسسو خط الانحراف عن المنهج الذي تبناه محمد رسول الله (ص) وسار على خطاه أوصياؤه (ع).

[١] .عن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) [الكافي - الكليني:ج١ ص١٧٩] كتاب الحجّة باب أن الأرض لا تخلو من حجة.
- عن أبي بصير, عن أحدهما(عليه السلام)، قال: (إن الله لم يدع الأرض بغير عالم, ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل) [نفس المصدر السابق]
- عن عليّ(عليه السلام)، قال: (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إما ظاهراً مشهورا, أو خائفاً مغمورا, لئلا تبطل حجج الله وبيناته [نهج البلاغة شرح محمد عبده ٤: ٣٧ (١٤٧)].

الكتاب والعترة ضمانة رسول الله (ص) للأمة ، أما الكتاب فلمن خوطب به– لا يمسه إلا المطهرون– وقد هُجر وخُرق هذا النظام وفُسر وفق قواعد موضوعة ، وأما العترة فقد جفيت ولم يؤخذ بحجزتها حينما أصبح علم الرجال غربالا يطرحون من خلاله ما لا يوافق مناهجهم من روايات آل محمد (ع) وأحاديثهم الشريفة، فضعفوا وكذبوا قسما منها واتهموا بعضها بأنها موضوعه والأخرى لم تأتي عن طريق ثقاتهم كما يقولون وكأنهم لم يقرؤوا قول الأئمة (ع) وشأن الراد عليهم:

روى أبو بصير عن أبي جعفر أو عن أبي عبد الله (ع) قال: (لا تكذبوا الحديث إذا أتاكم به مرجئ ولا قدري ولا حروري ينسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق، فيكذب الله فوق عرشه)[1].

وهذا مبدأ قرآني واضح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2].

ولكن بمقابل ذلك نصب أناسا لقيادة الدين وأصبحوا بديلا شرعيا عن المعصوم فيقبلون ما يقول ويعملون به فلا تضعيف ولا فحص ولا نظر، وإن كان في أصله مبتدعاً باطلا سواءً إن أخطأ أو أصاب– وإن كان المصيب لا يؤجر أصلا– ففسروا بالرأي ودانوا بالقياس[3].

يقول الشيخ المظفر في كتاب (عقائدنا) عن المجتهد: (والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله، كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت (ع)[4].

العشرات من الروايات تؤكد وجود أئمة بعد الأمام المهدي من ولده (ع)[5]، مما يجعل كفة قبول الوصية المقدسة أرجح من رفضها لكونها محفوفة بقرائن أخرى ولتوافقها مع ضرورة استمرار وجود خلفاء

---

[1]. المحاسن - البرقي: ج١ص٢٣١، مصابيح الظلم- البرقي: باب ١٦ح١٧٥.
وعن محمد بن عيسى، عن محمد بن عمرو، عن عبد الله بن جندب، عن سفيان بن السمط . قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام)، جعلت فداك، إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه. قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : أليس عني يحدثكم؟! قال: قلت: بلى .قال: فيقول: لليل، إنه نهار، وللنهار إنه ليل؟! قال: فقلت له: لا. قال: فقال: رده إلينا، فإنك إن كذبت فإنما تكذبنا [بحارالأنوار - المجلسي: ج٢ ص١٨٧ و٢١١ و٢١٢].
وهناك الأحاديث التي تقول : إن حديثنا صعب، مستصعب، لا يحتمله إلا نبي أو وصي أو رجل امتحن الله قلبه .. وهو مروي بطرق كثيرة، وبألفاظ متقاربة (بحارالأنوار- للمجلسي- ج٢ باب أن حديثهم (عليهم السلام) صعب مستصعب).
وروي عن الإمام الرضا(عليه السلام) قوله: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا» [البحار - للمجلسي:ج٢ ص١٨٥ عن عيون أخبار الرضا :ج٢ ص٢٦١].

[2]. الحجرات: ٦.

[3]. عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال:(من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو بعد من السماء، روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال: من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ)[التفسير الصافي - الفيض الكاشاني: ج١ ص٣٥].

[4]. عقيدتنا في التقليد – الشيخ المظفر.

[5]. عن علي(ع): (لا تخلو الأرض من قائم بحجّة الله إمّا ظاهر مشهور وإمّا خائف مغمور لئلّا تبطل حجج الله وبيناته)[بحار الأنوار - للمجلسي: ج٢٣ ص٢٠].

لله في أرضه إلى يوم القيمة؛ لذلك فأن الرافضين لوصية رسول الله (ص) قد اصطفوا في الخندق الآخر الرامي لإيقاف عجلة مسيرة السماء باتجاه هدفها المرسوم، وبأيدولوجيات لا تختلف كثيرا إن لم نقل تطابقها عن تلك التي نهجها المتربصون بمشروع حاكمية الله والمعترضون على خلفاء الله على مر التاريخ الإنساني.

إذن وجود بدلاء نُصّبوا قوام على دين الله ينوبون عن خليفة الله المنصب من الله إن كان ظاهرا مشهورا أو خائفا مستورا. وفرّ قناعات أنستهم حتى ادعاءاتهم في عقيدتهم بالمعصومين (ع) وانتظار قائمهم (ع) حتى أن بعضهم قال لدينا من الأحكام ما يكفينا لألف عام، وبالتالي ستكون مخرجات ذلك قبول ما سيقرره النائب المزعوم الذي لا يجد بدا من بقائه قائدا للأمة إلا بعدم قبول من سيكون مكانه؛ لأنه حتما سيكون ممن يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق والظاهر أنه سيكون أفضل منه.

يقول السيد أحمد الحسن:

(فلابد إذن من الانتباه إلى أن كلامنا في منع ادعاء النص التشخيصي الموصوف بأنه عاصم من الضلال وليس في ادعاء المنصب الإلهي عموما، فادعاء المنصب الإلهي أو النبوة أو خلافة الله في أرضه باطلا بسفاهة ودون الاحتجاج بالوصية (النص التشخيصي) حصل كثيرا وربما بقي حيا من ادعى باطلا فترة من الزمن، ومثال لهؤلاء مسيلمة الكذاب ادعى أنه نبي في حياة رسول الله محمد (ص) وبقي مسيلمة حيا بعد موت رسول الله محمد (ص)، فالادعاء بدون شهادة الله ونص الله وبدون الوصية لا قيمة له وهو ادعاء سفيه، فمن يصدق هكذا مدع مبطل لا عذر له أمام الله.

إذن، فالمقصود ليس منع أهل الباطل من الادعاء مطلقا، بل منعهم من ادعاء النص التشخيصي الموصوف بأنه عاصم لمن تمسك به من الضلال وهو وصية خليفة الله للناس، وهذا المنع الذي أثبتناه عقلا وأكد عليه النص القرآني والروائي يؤكده أيضا الواقع، فمرور مئات السنين على النص دون أن يدعيه أحد كاف لإثبات هذه الحقيقة، فقد مر على وصايا الأنبياء في التوراة ووصية عيسى (ع) مئات السنين ولم يدعِها غير محمد (ص) وأوصيائه من بعده ، كما ولم يدع وصية النبي غير الأئمة (ع)، وقد احتج الإمام الرضا (ع) بهذا الواقع على الجاثليق فبعد أن بين النص من الأنبياء السابقين على الرسول محمد (ص) من التوراة والإنجيل احتج الجاثليق بأن النصوص يمكن أن تنطبق على أكثر من شخص، فكان احتجاج الإمام الرضا (ع) على الجاثليق أنه لم يحصل أن ادعى الوصايا المبطلون، وهذا هو

النص موضع الفائدة قال الجاثليق: (..... ولكن لم يتقرر عندنا بالصحة أنه محمد هذا، فأما اسمه محمد فلا يصح لنا أن نقر لكم بنبوته ونحن شاكون أنه محمكم ..... فقال الرضا (ع): "احتججتم بالشك، فهل بعث الله من قبل أو من بعد من آدم إلى يومنا هذا نبيا اسمه محمد ؟ وتجدونه في شيء من الكتب التي أنزلها على جميع الأنبياء غير محمد ؟ " فأحجموا عن جوابه)[1].

فاحتجاج الأوصياء السابقين بهذا النص حجة على من يؤمن بهم، وقد احتج عيسى ومحمد صلوات الله عليهما به، فعيسى (ع) احتج بنص الأنبياء السابقين عليه رغم عدم مباشرتهم له، ومحمد (ص) كما في القرآن احتج بنص عيسى(ع) عليه ونص الأنبياء قبل عيسى (ع) عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

والله بين في القرآن أن ادعاء محمد (ص) لو كان باطلا . وحاشاه . لما تركه يدعيه ؛ لأن الله متكفل بحفظ النص وصونه من ادعاء المبطلين ، أو يمكن أن نقول إن الله متكفل بصرفهم عن النص ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ* تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ* وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ* وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ* وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ* وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ* وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ* فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[4].

وها هو كتاب الوصية الذي كتبه الرسول محمد (ص) ليلة وفاته موجود منذ أكثر من ألف عام في الكتب، ويستطيع أي إنسان أن يقرأه ويطلع عليه ولكن لم يتمكن مبطل من ادعائه مع كثرتهم، فالله صرف عنه كل مدع كاذب حيث ادعى كثيرون النبوة والإمامة والمهدوية، ولكن أبدا لم يتمكن أحدهم من خرق حجاب الله المضروب على هذا الكتاب فيدعيه، وهذا الواقع يؤكد ما بينته فيما تقدم من أن وصف

---

[1] . إثبات الهداة - الحر العاملي:ج١ ص١٩٤- ١٩٥.
[2] . الصف : ٦.
[3] . الأعراف : ١٥٧.
[4] . الحاقة : ٣٨ - ٥٢.

هذا الكتاب بأنه عاصم من الضلال بذاته يعني أنه لا يدعيه غير صاحبه الذي ذكره الرسول محمد (ص)، ومن يدعيه فهو صادق وهو صاحبه)[1].

فالوصية من الله؛ لأنها ضمانة مشروع حاكميته في الأرض والتي ينصب من خلالها خلفاءه المظهرين لأسمائه القائمين مقامه ليحقق الغاية من الخلق ويتم الحجة على مضمرات السرائر ويمتحن النفوس، فالتنصيب وأصله في الحقيقة امتحان محوري لكل المكلفين ، والنص سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل لكل خلفاء الله ، فكانت لآدم (ع) نصا مباشرا من الله سبحانه أو النص الإلهي من الخليفة السابق المباشر أو النص التشخيصي من الخليفة غير المباشر كوصية رسول الله (ص) المقدسة ليلة وفاته وهو تنصيص جار إلى يوم القيامة ، فالذي لا يقبل الوصية لا يقبل من الله سبحانه .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

وهي حكم الله وسنة الله في أوصياءه لا ينكرها ولا يسفهها في أي زمان إلا معاند؛ لأنها رمية الله التي لا تخطئ وأنها حجة بالغة لكل مستخف ومعترض.

عن أبي عبد الله (ع)، قال: (قال النبي: أنا سيد النبيين، ووصيي سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء. إن آدم (ع) سأل الله تعالى أن يجعل له وصيا صالحا، فأوحى الله عز وجل إليه: إني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء.

فقال آدم (ع): يا رب اجعل وصيي خير الأوصياء، أوحى الله إليه: يا آدم، أوص إلى شيث فأوصى آدم إلى شيث، وهو هبة الله بن آدم. وأوصى شيث إلى ابنه شبان .. وأوصى شبان إلى مخلث، وأوصى مخلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى عثميثا، وأوصى عثميثا إلى أخنوخ وهو إدريس النبي(ع)،وأوصى إدريس إلى ناحور، ودفعها ناحور إلى نوح النبي (ع) ،وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر، وأوصى عثامر إلى برعثباشا، وأوصى برعثباشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى بره، وأوصى بره إلى حفسه، وأوصى حفسه إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل (ع)،وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بثريا، وأوصى بثريا إلى شعيب، ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران (ع)، وأوصى موسى إلى يوشع بن النون، وأوصى يوشع إلى داود النبي، وأوصى داود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن

[1] . الوصية المقدسة الكتاب العاصم من الضلال - السيد أحمد الحسن .
[2] . الأحزاب: ٦٢.

برخيا، وأوصى آصف إلى زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم(ع)، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة، ثم قال (ص): ودفعها إلي بردة، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك. ولتكفرن بك الأمة، ولتختلفن عليك اختلافاً كثيرا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار، والنار مثوى الكافرين)[1] .

وعنه (ع) أيضا: (أوصى موسى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى أن الله عز وجل له الخيرة يختار ما يشاء ممن يشاء، وبشر موسى ويوشع بالمسيح(ع)، فلما أن بعث الله عز وجل المسيح (ع) قال المسيح لهم: إنه سوف يأتي من بعدي نبي اسمه أحمد من ولد إسماعيل (ع) يجئ بتصديقي وتصديقكم عذري وعذركم وجرت من بعدي في الحواريين في المستحفظين وإنما سماهم الله عز وجل المستحفظين؛ لانهم استحفظوا الاسم الأكبر ... فلما بعث الله محمدا أسلم له العقب من المستحفظين وكذبه بنو إسرائيل، ودعا إلى الله عز وجل وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال: رب إن العرب قوم جفاة لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبياً ولا يعرفون نبوة الأنبياء ولا شرفهم ولا يؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جل ذكره: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾**[النحل: ١٢]**، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[الزخرف:٨٩]**، فذكر من فضل وصيه ذكرا فوقع النفاق في قلوبهم فعلم رسول الله ذلك وما يقولون، فقال الله جل ذكره: يا محمد ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقولُون﴾ **[الحجر: ٩٧]**، فإنهم لا يكذبونك ﴿وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾**[الانعام:٣]**، لكنهم يجحدون بغير حجة لهم .... ثم قال جل ذكره:﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾**[الاسراء: ٢٦]** وكان علي (ع) ،فكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة)[2].

فلم يحدث أن تخلف أي من الأوصياء المنصوص عليهم ولم يخترق أي مدع باطل نصا تشخيصيا أبدا.

[1] . الأمالي - الصدوق: ج ٤ص٢٤٢، من لا يحضره الفقيه - الصدوق: ج٤ ص١٧٤.
[2] . غاية المرام وحجة الخصام - هاشم البحراني: ج٤ ص٢٦٨.

عن عمرو بن الأشعث قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه)[1].

الديمقراطية انقلاب آخر على وصية رسول الله (ص)

الكلام عن المخطط الإبليسي الرامي لإيقاف المشروع الإلهي ضارب في عمق تاريخ الخلق، فمنذ أن أخرج إبليس من الجنة توعد أن يغوي الناس، وظاهر هذا الأمر متعلق في الحيلولة بين الناس وبين الأخذ بعواصم الحق على طول فترة المهلة التي أمهله الله إياها.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

والحقيقة المستبطنة لغواية الناس هو إبعادهم عن الالتحاق بخلفاء الله الموكلين بالمشروع المعرفي الذي خلق من أجله الخلق، ولكن تعددت وتنوعت الوسائل والطرق حيث أن لكل فترة من الزمن أو لكل أمة منظومة معرفية معينة يتوزع على طرفيها اتباع الحق واتباع الباطل، فاتباع الحق القلة المستضعفة التي لم يشذ عن كونها قلة مستضعفة زمن ما، ومسيرة المعرفة في خط تصاعدي حتى تصل ذروتها فمنذ بداية ظهور أمر آل محمد (ع) عندما يبث قائم آل محمد (ع) علومه منتهيا بعالم الرجعة. ومن خلال قراءة التاريخ نجد أن هناك فترات تميزت بحدوث منعطفات حادة في هذه المسيرة نستجلي من خلالها حجم المؤامرة على مسيرة الرسالة السماوية، حدث من خلالها تحشيد الرأي الجمعي للاستيلاء على مقدرات السماء حيث تجسدت بأول مشروع ديمقراطي– إن صح التعبير– وإن كان متعسفا ومسيسا تمخض عن ولادة الشورى الأولى[3]، التي كانت التأسيس الأول على مستوى التحدي والتعسف لعزل خليفة الله حامل العلم الإلهي الذي من شأنه أن يسير بأهل الأرض والسماء إلى بر النجاة ويحقق بها غاية الخلق إذا ما قبلت الناس بعلي (ع)[4] قائدا وإماما يمثل تجلي الله في الخلق فيعرفهم ويصل بهم إلى المراتب العليا من المعرفة ويقيم الحق والعدل، فكان بديلها المعد هو ترويج فكرة الخلافة العارية عن النص الإلهي، ثم بدأوا

---

[1] . الكافي - الكليني: ج١ ص٣٠٧.

[2] . الحجر: ٣٤ - ٤٠.

[3] .عن حذيفة بن اليمان وجابر الأنصاري، عن رسول الله (ص)، إنه قال: (الويل الويل لأمتي من الشورى الكبرى والصغرى، فسُئل عنهما، فقال: أما الكبرى فتنعقد في بلدتي بعد وفاتي لغصب خلافة أخي وغصب حق ابنتي، وأما الشورى الصغرى فتنعقد في الغيبة الكبرى في الزوراء لتغيير سنتي وتبديل أحكامي) [مائتان وخمسون علامة: ص١٣٠].

[4] . قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر: « كرداذ وناكرداذ» ـ أي عملتم وما عملتم ـ لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. » [الأنساب/٥٩١].

يثبتون هذا المبدأ بالتعدي على قانون الله فيوظفون آيات القرآن لتوافق هذا المنهج المنحرف قبيل قوله تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

بينما الخطاب الإلهي أسس للتنصيب منه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وهو نص على آدم (ع) وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4].

خلفاء الله الحقيقيون هم من سماهم الله بأسمائهم وقرن وظيفتهم بالحكم بين الناس بالحق، فلا أحد غيرهم يحكم بالحق؛ لأنهم انتصروا على الأنا فتخلوا عن ذواتهم فعلم الله منهم الوفاء بتبليغ الرسالة وإيصال الحق للناس دون أن يحسبوا حسابا لما سيؤول ذلك من خسارتهم للدنيا بل وأنفسهم في سبيل ما كلفهم الله به.

فأصحاب مشروع الخلافة ومن خلال توظيفهم للآيات القرانية لما سوقوه من فهم لقيادة الناس وإطلاق مسمى الخليفة على أي أحد يختاره الناس لينافسوا به صاحب الحق ويضيقوا عليه الفرصة بمعونة الجهل الذي يستولي عقول أغلب الناس.

لم ينتهي هذا المسلسل الإبليسي بل بدأ فصلا جديدا بعد تأسيس الشورى يكرس فيه حاكمية الناس ويحضر للمستقبل لتكون جزءً من واقع الحال الذي يكتنف تفكير وعقول الناس، فكان خذلان الحسن بن علي(ع) ومن ثم مقتل الحسين (ع) وإمام بعد إمام قربان بعد قربان لهذا المشروع الذي شاء الله له أن يستمر – والله متم نوره ولو كره الكافرون– وطبعا الخاسر الوحيد هو الناس التي لم تقبل بضمانة السماء واختارت غيرها، حتى يصل الأمر إلى آخر محطة تُفقأ فيها عين إبليس ويتم عندها تنفيذ المشروع الإلهي على الأرض، فعندما فرغ من تطويع السنة وأقامتهم على مشروع الرفض لخلفاء الله بدأ يتسلل

[1]. يونس : ١١٤.
[2]. النمل : ٦٢.
[3]. البقرة : ٣٠.
[4]. ص : ٢٦.

ليصل إلى آخر معقل ممكن أن يكون ساندا لخط السماء حيث يعتقد بوجود اثني عشر رجلا إلهيا منصوصا من الله قضى منهم أحد عشر وبقي خيط النجاة عند الثاني عشر منهم، هذا بحسب المفروض والواقع ولكن خشية أن يمر مركب النجاة من هذه البوابة ويفلح الحق، بدأ يعمل على تغييبه معرفيا عندما هيئ رجالا استحلوا ما ليس لهم وبدأوا يشرعون ويؤسسون فكرا بديلا لإفراغ الساحة من شريعة وأحكام وعلوم السماء فتحقق مرامه، ولم يرُق لإبليس البقاء مكتفيا بما صنع حتى أطلق نسخته الثانية من الشورى فكانت ديمقراطية الدجال والمعول الذي أعابوا به مركب النجاة، ولكن الأمر لا يخرج عن ساحة الامتحان الثاني للناس ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

علم الرجال يستهدف استمرار مشروع التنصيب الإلهي

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1] .

لم تخبرنا الآية الكريمة بأن حال المخبر هو من يجب أن نتبين منه للوصول إلى وثاقة وصحة الخبر من عدمه ، بل العكس من ذلك، فهي تبين أن حال المخبر ليس هو من يؤكد صحة الخبر؛ لأن الله سبحانه وتعالى قطع الطريق أصلا على التشبث بحال المخبر؛ بل الآية بينت أسوء حال للمخبر ليقول الله سبحانه وتعالى بأن التبين من الخبر هو ما ينبغي العمل عليه للأخذ به من عدمه وبالتالي يعلق النتائج على التبين من الخبر، وهذا البيان القرآني كاف لمن يثق بالقرآن ويحترم القرآن للعدول عن منهج البحث في أحوال الرجال المبتدع.

أما ما يعزز المنهج القرآني في الأخذ بالخبر من عدمه فهو الثقل الأصغر وهم آل محمد (ع) وقد كفونا مؤونة البحث في هذا المفصل الخطير، وأقصد البحث في أحوال الرجال للوصول إلى توثيق الخبر والأخذ به والذي نأى بعيدا بالمنشغلين به عن الحق الذي لا يطلب أبدا إلا من أهله.

فحديث الثقلين متفق عليه عند السنة والشيعة وهو ميزان راجح؛ لأن مؤسسه محمد بن عبد الله سيد المرسلين (ص)، يقول كتاب الله وعترتي أهل بيتي فعدل القرآن هم آل محمد (ع)، والحقيقة أن الطريقين واضحين، أما كتاب الله فليس لأحد حق في تفسيره أو تأويله والأمر بين وجلي[2] فالقرآن محكم ومتشابه

---

[1] . الحجرات : ٦.

[2] . وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة النحل:٤٣].

والمحكم ما يحكمه آل محمد (ع) والقرآن كله متشابه على الناس، والله سبحانه جعل له قوّاما زودهم بعلمه وأسراره، وأما العترة فلم يتركوا أمرا إلا بينوه.

عن الإمام الرضا (ع) قال: (إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكما كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا)[1].

واضح من خلال قول الأمام الرضا (ع) الأمرين الذين أشرنا لهما؛ لأنه (ع) جمع الثقلين في جملة واحدة، فردوا متشابهها إلى محكمها هو توجيه بوصلة الباحثين عن الحق، يقول لهم نحن من نحكم المتشابه فردوه إلى ما أحكمناه، ثم ينهاهم عن إتباع هذا المتشابه ويحذرهم من نتيجة إتباعه وهو الضلال وبالتالي فقد رسم الإمام الرضا (ع) الطريق الواضح واعتقد يفترض على كل إنسان يؤمن بآل محمد (ع) أن يفهم ويعي كلامهم (ع) ثم يمتثل لأمرهم ويسلم لهم.

وأعتقد أن من ذهب إلى علم الرجال بعد اطلاعه على هذه الحقائق القرآنية والروائية لكي يجعله بوصلته التي تدله على صحة الخبر، فقد جانب الحقيقة وفي نفس الوقت أسهم بشكل أو بآخر في الترويج لقاعدة مبتدعة أسفر عن اعتمادها تغييب الكثير من الحقائق التاريخية والتي تضم في طياتها اعتقادات حقة ورجال أتبعوا الحق فمورس ضدهم القمع الفكري بل وحتى الجسدي، لذلك فعلم الرجال متهم في تغيير وطمس الكثير من الحقائق التي ترتب على أثرها فساد العقائد وعلو كعب المناهضين للخط الرسالي المحمدي وشيوع وتبني أفكارهم وتشريعاتهم التي حلت بديلا عن منهج الله وآل الله.

يقول جعفر السبحاني: (علم الرجال: هو ما يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث ذاتا ووصفا، والمراد من الذات هو معرفة أسمائهم وأسماء آبائهم، كما أن المراد من الوصف هو معرفة صفاتهم التي لها مدخلية في قبول الحديث أو رده. وبتعبير آخر: هو الوقوف على أحوال الرواة من حيث العدالة والمدح والإهمال والجهالة، والوقوف على أسماء مشايخهم وتلاميذهم وطبقتهم في نقل الرواية إلى غير ذلك.

إذا ثبت ان علم الرجال هو العلم الباحث عن أحوال الرواة، فموضوعه هو رواة الحديث المذكورين في سلسلة السند إلى أن ينتهي إلى المعصوم عليه السلام. وأما مسائله، فتعلم من خلال الإمعان في تعريف علم الرجال ، فهي عبارة عن الأحوال العارضة على رواة الحديث والتي لها مدخلية في اعتباره، نظير: الوثاقة، والضعف، والطعن، إلى غير ذلك من الأحوال، إن غاية علم الرجال هي الوقوف على أحوال

[1] . بحارالأنوار - المجلسي: ج٢ ص١٨٥ عن عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦١.

الرواة من حيث الوثاقة وعدمها، وبالتالي تمييز المقبول عن غيره. ثمّ إن هنا علماً آخر يعرف بـ« علم الدراية » يبحث فيه عن الحالات الطارئة على الحديث من جانب السند أو المتن، والمراد من السند هو مجموع ما جاء فيه من الرواة، دون النظر إلى واحد منهم، فيوصف السند عندئذ بالاتصال أو الانقطاع، أو الصحة أو الضعف، أو الإسناد أو الإرسال، إلى غير ذلك.

وبعبارة أخرى: إن الغاية المتوخاة من علم الدراية هي الوقوف على صحة الرواية أو ضعفها، وهو رهن دراسة مجموع السند بأكمله ، بخلاف الغاية المتوخاة من علم الرجال فهي معرفة أحوال كل راو على انفراده ، والمراد من المتن هو ما نقل عن المعصوم أو غيره ، من كونه نصا أو ظاهرا ، أو مجملا أو مبينا، أو محكما أو متشابها. وما يقال من أن علم الرجال يبحث في السند، والدراية تبحث في المتن، بعيد عن الصحة؛ لأن الدراية تبحث في السند أيضا كعلم الرجال، إلا ان الاختلاف بينهما يكمن في أن علم الدراية ينظر إلى مجموع السند، فيبحث عن الأحوال العارضة له، في حين ان علم الرجال يبحث في آحاد رواة السند على وجه التفصيل من حيث المدح والقدح.

بدأ أصحاب الأئمة عليهم السلام في التأليف في علم الرجال في أعصارهم عليهم السلام غير أنه لم يصل إلينا شيء من مؤلفاتهم، وأما الأصول الرجالية، المؤلفة قريبة من اعصارهم، فهي عبارة عن :١- رجال الكشي ٢- رجال النجاشي ٣- رجال الشيخ ٤- فهرست الشيخ ٥- رجال البرقي. هذه هي الأصول الرجالية الخمسة، وأما ما ألف بعدها فقد أخذوا مادة البحث من هذه الكتب، وهي كثيرة للغاية. ويقول: اختلفت كلمة الفقهاء في الحاجة إلى علم الرجال، وهل يتوقف استنباط الأحكام الشرعية على علم الرجال أو لا ؟ وقد طرحت عدة آراء في هذا المجال:

١. إن علم الرجال من مقدمات الاستنباط، فلولا العلم بأحوال الرواة لما يتمكن المجتهد من استخراج الأحكام من أكثر الأخبار، فالحاجة إلى علم الرجال ضرورية.
٢. إن أخبار الكتب الأربعة، أعني: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار، قطعية الصدور، أو عامة رواياتها صحيحة.

٣. المدار في حجية الأخبار هو عمل المشهور، فما عمل به المشهور فهو حجة سواء أصح أسناده أم لا، وما لم يعمل به وأعرض عنه فليس بحجة ، وإن صحت أسناده، فعلى ذلك لا حاجة إلى علم الرجال. ثم يقول والقول الأول هو المختار)[١] انتهى.

مؤاخذات على علم الرجال من خلال ما ذكره السبحاني:

١- من خلال تعريفه لعلم الرجال يتعرض إلى معرفة أسماء الرجال وآبائهم، مالم نجد في الآية الكريمة له أثرا ولا في كلام أهل البيت (ع) شاهد.

٢- البحث في أحوال الرواة ووثاقتهم والطعن والإهمال وغيرها، وهذا ما يناقض الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ، فلم تنه الآية عن متابعة الخبر وإن كان المخبر فاسقا.

٣- غاية هذا العلم هو إعطاء المشروعية لخبر يرويه أي راوي ثبت عندهم ثقته دون الرجوع إلى الثقلين وهذا واضح بين.

٤- يقول أن علة الحاجة إلى علم الرجال في ما ذكره من وجود ثلاثة آراء، اختير أولها لعلة أن المجتهد لا يمكنه استخراج الأحكام دون الرجوع إلى علم الرجال، وهذه سقطة أخرى، فاستنباط الأحكام الشرعية والاجتهاد ليس عليه دليلا شرعياً بل هو بدعة أخرى، قد أشرنا اليها فيما سبق.

فالمنهج العلمي الراسخ لابد أن يكون له ثوابت وخطوط متوازية خال من المنعطفات حتى يكون فاعلا وصحيحا لا تتقلب قواعده وموازينه كيفما شاء، فمنهج آل محمد (ع) منهج الله القويم الذي لا يتبدل ولا يتحول، شريعة سماوية ودستور منه سبحانه ينفذه خليفته القائم مقامه تجري مجرى الشمس والقمر لا يتخلف عنها زمان ولا مكان.

يقول السيد أحمد الحسن (ع):

(ثم إن محاكمة سنة النبي (ص) وأهل بيته (ع) بميزان معين، لابد أن يكون هذا الميزان نابعا من صاحب الشرع نفسه، لا من الأهواء والآراء المتناقضة والمتعارضة والتي كثر الخطأ والوهم فيها بصورة منفرة، فالدين الكامل لا يكون كاملا إن كان مفتقرا إلى ناقصي العقول ليضعوا له قانونا ومنهجا لقبول ورفض الأحاديث، فتجد بعضهم يعتمد منهجا معينا يصحح فيه مئات أو آلاف الأحاديث، والبعض

[١] . دروس موجزة في علم الرجال والدراية - جعفر السبحاني.

الآخر يخالف ذلك المنهج فيضعف هذه الأحاديث أو يتركها، وتجد بعض علماء الرجال يوثقون مجموعة رواة فيعتمدون على ما يروونه من عقيدة وفقه وأخلاق وسيرة، ويأتي آخرون ليخالفوهم في ذلك فيضعفون هؤلاء الرواة وبالتالي يرفضون تلك الروايات بما تحتويه من عقائد وفقه ...الخ، وهكذا يبقى الدين وصاحب الدين محكوما بغيره ينظر إلى تراثه نهبا بين آراء وأهواء علماء الرجال واختلافهم!

فمن يطلع على الأصول الرجالية يجد الاختلاف حتى بين النجاشي والشيخ الطوسي فأحدهم يوثق بعض الرجال والآخر يضعفهم أنفسهم، بل تجد التناقض حاصلا بين أقوال الرجل الواحد من علماء الرجال حيث يوثق رجلا في أحد كتبه ويضعفه في كتاب آخر، وتجد القميين مثلا يضعفون كل من يشتهر بنقل ما يخالف اعتقادهم من منزلة الأئمة (ع) وما شابه ذلك، ويردون أخبار هؤلاء الرواة والتي تصل إلى الآلاف، ثم يتضح لمن تأخر عنهم خطأ القميين في هذا المنهج وأن هؤلاء الرواة ثقات ويجب الاعتماد على رواياتهم، وهكذا تبقى الروايات في مهب الآراء والأهواء تارة ترد الآلاف منها وتارة تقبل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[1].

ثم أين هي الأصول الرجالية التي نحاكم بها تراث آل محمد (ص)؟! فعمدة الأصول الرجالية ثلاثة: فهرست النجاشي وفهرست الطوسي –وكلاهما مصنفان لذكر المؤلفين والمصنفين من الرواة وليس لذكر كل الرواة– والثالث رجال الطوسي وهو كتاب طبقات ولم يتعرض للجرح والتعديل إلا نادرا، ولم تتعرض هذه الأصول الرجالية إلا لعدد قليل جدا من الرواة الذين تجاوز عددهم في المستدركات الرجالية المعاصرة الخمسة عشر ألفا حسب ترقيم معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ومستدركات علم رجال الحديث للشيخ النمازي، والمترجم لهم جرحا أو تعديلا في جميع الأصول الرجالية لا يبلغ الألف! ومن شاء التفصيل بالمصادر والأرقام فليراجع كتاب (انتصارا للوصية)[2].

إذن، في الحقيقة لا توجد أصول للجرح والتعديل معتد بها لكي نحاكم بها جميع الرواة بحيث من لم تذكره تلك الأصول نعتبره ضعيفا أو مجهولا، وحتى ما تضمنته كتب الطوسي والنجاشي من جرح أو تعديل إما أن يكون اجتهادا أو نقلا؛ والاجتهاد لا يعتمد عليه بمجرده ولا يحتج به، والنقل يفتقر إلى السند

[1] .النساء : ٨٢.
[2] كتاب انتصارا للوصية - الشيخ ناظم العقيلي.

ثم وثاقة رجال السند، وكل ما في كتب الطوسي والنجاشي الرجالية لا سند له إلا نوادر، وبذلك يكون علم الرجال بلا رجال، فلا يستأهل البحث)[1].

فالقول الحق أن واحدة من ضحايا علم الرجال المبتدع بل وأكبر ضحية تعرضت للظلم من هذا المسلك هي وصية رسول الله (ص) في ليلة وفاته والتي انتهك قداستها وحط من شأنها المعترضون والمكذبون للكتاب العاصم من الضلال برجوعهم إلى علم الرجال، ليسجل هؤلاء الذين يتبنون علم الرجال برفضهم للوصية المقدسة انقلابا حتى على هذا المنهج المخترع؛ لأن الذي نقل الوصية وهو شيخ الطائفة الذي يعتمدون عليه في مدرستهم الرجالية المزعومة.

يقول السيد أحمد الحسن :(فقد بينا لهم أن الوصية سندها صحيح، وأنه يكفي شهادة الشيخ الطوسي (رحمه الله) لرواتها بأنهم من الخاصة أي الشيعة الإمامية، وأنتم تعتمدون على قول الطوسي في الرجال فما عدا مما بدا، لماذا أصبح قول الطوسي في الرجال هنا لا قيمة له عندكم، أم أن الهوى صرعكم وما عادت الحقيقة تعنيكم بشيء)[2].

فالذي يتبنى المنهج العلمي الذي لا يشذ ولا يتخلف عن منهج الله الثابت في كتابه والقوام عليه (ع)، عليه أن يرجع إلى من وضع المنهج الذي لا يضل إن اهتدى بهديه وهم محمد وآل محمد (ع)؛ لأنهم الأمان والضمان.

فكيف لمن يريد تبني منهج علمي لاستقصاء المعلومة الحقة سيما إذا كان الأمر عقائديا يترتب عليه هداية أو ضلال ، وهو يسلك منهجا متضاربا مختلفا في أحسن أحواله، وليس هذا تجنيا على منظومة علم الرجال بل هو حقيقة واقعية نشخصها من خلال واقع وحيثيات هذا المنهج فلا ثبوت ولا معالم واضحة، ومن ثم المنهج العملي والخطوات العملية التي مارسها أصحاب هذا المنهج وبالخصوص المتأخرين منهم وما نتج عنه من رفض وقبول لكثير من بديهيات العقائد الشيعية على الأقل. فالذي يعنيه منهج رسول الله (ص) ويطلع على علم الرجال سيرى بعين الإنصاف والبصيرة مدى التخبط والعشوائية التي تحكم علم الرجال الذي صار وللأسف حاكما على منهج الله، والذي سيتبين كيف كان هذا المنهج جائرا على خلفاء الله وظالما لهم بل ظالما لمنهج الله .

[1] . الوصية المقدسة - الكتاب العاصم من الظلال - السيد احمد الحسن.
[2] . نفس المصدر.

فهذا المنهج في الحقيقة استهدف مشروع الله في خلقه بالصميم فكان صفحة سوداء في دنيا الامتحان الذي تعددت أشكاله حتى تختبر النفوس ويميز الذهب من التراب، فكان هذا المسلك ومن تبناه واحدا من أشكال الابتلاء أصاب من قصّر واعتسف ونأى عنه من طابت سريرته وسلمت فطرته.

العلم والعصمة

كان وجود الفائزين في الامتحان الأول شاخصا عندما سبقوا الخلق بالاستجابة والطاعة لله سبحانه وتدرجت مراتبهم بحسب درجات إخلاصهم(ع) فكانوا محلا لنزول الفيض الإلهي المتمثل بالعلم ليكونوا الحجج على الخلق في كل زمان يذكروهم وينقلون لهم أخبار وأنباء السماء بما يصلح دينهم ودنياهم.

فعلم خليفة الله من الله واتصاله بالسماء كان سببا لضرورة وجوده في كل زمان.

ولبيان أهمية علاقة العلم بالامتحان أتعرض للمباحث التالية:

١- العلم في القرآن.
٢- العقل مقام النفس أو الروح في السماء السابعة.
٣- العلماء ورثة الانبياء.
٤- علم خليفة الله في حال وجود القابل وفي زمن الفترة.
٥- علم خليفة الله والوحي في كل آن

- **العلم في القرآن**

١- ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١].
٢- ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٢].
٣- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

---

[١]. الملك : ٢٦.
[٢]. الأحقاف : ٢٣.
[٣]. البقرة : ٢٤٧.

٤- ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[١].

٥- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].

٦- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣].

٧- ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

فكل مفردة للعلم وردت في ظاهر الآيات المباركة تشير بأن متعلق العلم بطرفين الأول جهة فوقية عليا تمثل الله سبحانه – أنما العلم عند الله – يعني كونه عز وجل هو مصدر العلم وقبل ذلك لا شيء منه عند أحد، وجهته الأخرى هو خليفة الله والجهة الأوضح فيها هو محمد (ص) باعتبار إن الخطاب القرآني المباشر له (ص) ثم قوله – إنما أنا نذير– وهي تشير إلى الجهة المستقبلة للفيض الإلهي كونها جهة مفتقرة للعالِم المطلق وهو الله سبحانه وأن الرسول (ص) متكفل بتكليفه من الله سبحانه وهذا ينسحب على كل خلفاء الله وكل بحسبه.

سبق وأن بينا في الفصل الأول من البحث وفي هذا الفصل أيضا أن لله سبحانه وتعالى غاية من الخلق وهي المعرفة وأن الله سبحانه أعطى الفرصة بأن تكون المعرفة به سبحانه لكل الخلق ولكن بعد تسابق الخلق فاز من كانت صفحة وجوده هي الأقرب والأكمل بأن تكون هي الحجاب الأول لله لتظهر أسماءه فيتجلى بها، فكان صورة الله في الخلق محمد (ص) ومن ثم نفسه علي (ع) ثم أبناءه الأوصياء الائمة والمهديين (ع) وهكذا تدرجت مراتبهم بحسب درجة إخلاصهم وانشغالهم بـ (هو) دون انشغالهم بـ (أنا)، زودهم الله بالعلم فأصبحوا هم من يعرّفون الخلق بالله والأدلاء عليه سبحانه، وأن على الخلق طاعتهم والسجود لهم ومن هنا بدأت قصة الخلق وبدأ الامتحان كما توضح سابقا.

---

[١] . آل عمران : ٧.
[٢] . آل عمران : ١٨.
[٣] . آل عمران : ٦١.
[٤] . النساء : ١٦٢.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

(الأنسان بالأساس مفطور على معرفة الله؛ لأنه خلق على صورته، أي أن الإنسان هو تجلي الله في عوالم الخلق، فالصورة كما نعرف تحكي الحقيقة بقدر ما، ولكن لما أعرض عامة الناس عن سبيل الله وانشغلوا بالدنيا وغفلوا عن ربهم وكان المتذكرون منهم خاصة وقليل فقط، كالنجوم المضيئة في ظلمة السماء، كانت مشيئة الله ولرحمته أن اختار رسلا من هؤلاء الخاصة الذين تذكروا وسمعوا، وأرسلهم ليذكروا الغافلين المشغولين بالدنيا ويعرفونهم الطريق ويسيرون بهم إلى الله، لينجوا بعض هؤلاء الغافلين ويتذكروا ويعرفوا بفضل الله وبفضل هؤلاء الناجين الأوائل، إذن أن الناس كلهم يتذكرون ولا يحتاجون من يذكرهم، فلو كان هناك رسول فالمفروض أن يعرفوه حتى دون إعلانه عن نفسه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3].

ولو أنهم غفلوا فالمفروض أن المتذكر (الرسول)، الذي أرسله الله لهم ليسلك بهم الطريق الذي أضاعوه بغفلتهم– لا يحتاج إلى الكثير ليذكرهم؛ بل أن المفروض أن خليفة الله لا يحتاج أكثر من الإعلان عن نفسه، والمفروض أن الناس قادرون للتعرف على خليفة ربهم وإلههم الذي يمكنهم الاتصال به ومعه دائما، وسؤاله عن رسوله، هذا هو الأصل إن كانوا أناسا محافظين على فطرتهم وإنسانيتهم وإن كانوا غافلين، ولهذا بين القران أن الأنبياء وإبراهيم لم يكونوا يحتاجون أكثر من إعلان دعواتهم أي الآذان ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[4] فالآية واضحة أذن يا إبراهيم، والناس يأتوك على عجلة بمجرد أن يعلموا بإعلانك عن دعوة الله التي تحملها؛ لأنهم سيتذكرون

---

[1]. البقرة :٣٠- ٣٥.
[2]. البقرة : ٢٨٢.
[3]. الكهف : ١١٠.
[4]. الحج: ٢٧ .

ويتصلون بربهم ويعلمون من أمر رسوله وأحقيته، بل المفروض إنهم متذكرون مثلك، ويعرفونك قبل أن تؤذن، ولكنهم للأسف انشغلوا بالدنيا حتى ذكرتهم أنت فانتبهوا.

إذن فالناس يأتوك بمجرد أن تعلن، أما غير الناس والذين نكسوا فطرتهم حتى لم يعد من اللائق أن يسموا ناس، فهؤلاء أكيد لا ينفعهم لا آذان ولا أي شيء آخر، وبين الناس وبين من نكسوا فطرتهم هناك كثير ممن لوثوا فطرتهم وأنفسهم بقدر ما، فهم يحتاجون لأشياء أخرى غير الإعلان والآذان، وهي ما نسميها بالأدلة لمعرفة خليفة الله أو قانون معرفة الحجة)[1].

إذن فالامتحان الثاني في عالم الدنيا –عالم الظلمة الثاني– هو أن يسعى هؤلاء الذين لوثوا فطرتهم ليتعرفوا أولا على المذكرين ويسايروهم ويسمعوا منهم ويطيعوهم، حتى يرجعوا إلى الحق، وبما أنهم يحتاجون للدليل؛ لأنهم لوثوا فطرتهم ، فقد زود الله هؤلاء المذكرين بقانون يعرف بهم ليكون دليلا يعرفون به، وبالتالي يتمكن هؤلاء الذين يبحثون عن أدلة لمعرفة خليفة الله وهو قانون معرفة الحجة.

وهو كما ذكرناه سابقا وبشيء من الإيجاز: ١– النص ٢– العلم ٣– الدعوة الى حاكمية الله

تكلمنا عن النص المعرف بخليفة الله وهو من الله وكان بحد ذاته امتحان لكل الأمم التي عاصرت أنبيائها ورسلها وهو اليوم امتحان الأمة بوصية رسول الله (ص) التي نصت على أوصياء رسول الله (ص) من بعده إلى يوم القيمة ونكرتها الأمة المنقلبة التي لم يعد ينفعها لا آذان ولا أي شيء آخر بسبب التضليل الذي يمارسه العلماء غير العاملين من خلال تمرير النظم والمناهج البديلة التي من خلالها يفترض أن يتم التعرف على حجج الله والتي سببت بابتعاد الناس عن صراط آل محمد (ع) وسلوك طريق آخر.

وأوردت هذه المقدمة لكي نعرف ونتأكد أن الرجل الإلهي هو الذي يتحمل أعباء ومسؤولية هداية الخلق وتعليمهم ورفدهم بكل ما يمكن أن يأخذهم إلى بر الأمان ليأخذوا بحجزة الإيمان ويكونوا من الناجين، فهو حامل العلم الإلهي الذي يهتدي به الناس.

وهذا العلم الذي خص الله به خلفاءه دون غيرهم ليكونوا حجة على الخلق فيه كل ما يحتاجه الناس وما يوصل الخلق إلى الله سبحانه، فقوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" ليكون مستأهلا لمهمته الإلهية "فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" بيانا من الله سبحانه وتعالى لخصوصية هذا العلم، فأكدت

[1]. عقائد الاسلام - السيد أحمد الحسن: ص١١- ١٢.

الملائكة (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)، إذن هي منظومة علمية يزود الله بها خلفاءه ويميزهم عن خلقه، وبهذا يكون حجة على من لم يتبعه ويأخذ منه، وهداية لمن يسلم له، فكل رسول أو نبي أو وصي له رسالة لأهل زمانه، فالصحف والألواح والكتب المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن خاطب الله بها خلفاءه في كل زمان، فهو القائم عليها والعالم بأسرارها وخفاياها وليس لأحد معرفة ما فيها إلا بتعليم من ذلك الخليفة الإلهي.

- **العقل التام مقام النفس أو الروح في السماء السابعة**

العقل هذه المفردة التي نسمعها ونقرأها، تم توظيفها بشكل خاطئ من قبل المفسرين والفقهاء وكثير ممن كتبوا في هذا المجال؛ لأنهم تصوروا بأن العقل هو هذا الذي نستعمله وبه نقبل ونرفض ونتبين، وفي الحقيقة إنما هو ظل العقل، وهذا يرتبط بالعالم الأول الذي تكلمنا عنه في الفصل الأول وقلنا إنه عالم النفوس، والنفس والتي تسمى أحيانا بالروح هي التي تدبر هذا الجسم المادي وهي التي تحرك الجسد، فكما أنه ليكون روح حقيقي للإنسان لابد أن يكون له حظ ووجود في السماء الملكوتية الثانية – والتي بينا أنها ست مثالية والسابعة كلية " سماء العقل" فلكي يكون للإنسان عقل حقيقي لابد أن يكون له حظ ووجود في السماء السابعة.

(وهكذا مع ارتقاء النفس تتغير وتتبدل حقيقتها، فمع دخولها السماء الملكوتية الثانية يقترن بها روح الإيمان ويبدأ ظل العقل يتوجه إلى نور العقل، ومع دخولها السماء السابعة يقترن بها روح القدس والعقل، ولا يبعث نبي من الأنبياء (ع) حتى يكون له مقام في السماء السابعة الكلية، وبهذا يكون قد استكمل العقل الذي هو سبب العصمة، وأيضا اقترن بنفسه روح القدس)[١].

فالعصمة سببها الوصول إلى مرتبة من مراتب العقل في السماء السابعة التي هي بدورها مراتب ودرجات ولكل معصوم درجة عصمة خاصة به بحسب ارتقائه في هذا العالم.

والمعتصم بأي مرحلة من مراحل العقل في السماء السابعة يكون ممتنعا بالله عن محارم الله ويكون معصوما بحيث لا يخرج الناس من حق ولا يدخلهم في باطل، وبالتالي يكون علم العالم هو ما تحصل لديه من روح قدسه[٢] التي هي سبب عصمته.

---

[١] . عقائد الاسلام - السيد أحمد الحسن: ص٢٦٨.

[٢] . روح القدس هو: (روح الطهارة أو العصمة)، فإذا أخلص العبد بنيته لله سبحانه وتعالى وأراد وجه الله، أحبه الله ووكل الله به ملكاً يدخله في كل خير ويخرجه من كل شر ويسلك به إلى مكارم الأخلاق، ويكون روح القدس واسطة لنقل العلم للإنسان الموكل به، وأرواح القدس كثيرة

عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: (سألته عن علم العالم فقال لي يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ثم قال يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب)[1].

وعن عمر بن قيس، عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول: (إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه، وبينه لرسوله (ص)، وجعل لكل شيء حدا، وجعل دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدا)[2].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3].

(وخليفة الله هو العالم الذي يمكنه الاستغناء عن غيره من الناس، وليس لأحد من الناس الاستغناء عنه وعن علمه؛ لأن الله يوحي إليه كل ما يستجد في دين الله، وكل ما يحتاجه أهل زمانه في دينهم. والعلم الواجب هنا هو العلم الديني الذي يكلف خليفة الله بتبليغه للناس، فلابد أن يكون خليفة الله متصلا بالله ويعلمه الله وما يحتاج إليه في تبليغ رسالته وإيصال الدين الحق الذي يرضاه الله للناس، وكل ما يستجد من أحكام إلهية، والقول الفصل وحسم ما يختلف يفه الناس)[4].

- **العلماء ورثة الانبياء**

وليست واحداً، والذي مع عيسى (ع) ومع الأنبياء دون الذي مع محمد (ص) وعلي (ع) وفاطمة (ع) والأئمة (ع)، وهذا هو روح القدس الأعظم لم ينـزل إلا مع محمد (ص)، وانتقل بعد وفاته إلى علي (ع) ثم إلى الأئمة (ع) ثم بعدهم إلى المهديين الاثني عشر.
عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ﴾ ([الشورى : ٥٢.])، قال (ع): (خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله (ص) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده) ([الكافي : ج١ ص٢٧٣ ح١]).
عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ([الإسراء : ٨٥])، قال (ع): (خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام كان مع رسول الله (ص) وهو مع الأئمة وهو من الملكوت) ([الكافي : ج١ ص٢٧٣ ح٣]).
وعن أبي حمزة، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن العلم أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال (ع): (الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ﴾ ([الشورى : ٥٢])).
ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية، أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون، فقال لي (ع): بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم) ([الكافي : ج١ ص٢٧٤ ح٥]).
فرسول الله محمد (ص) لما نزل إلى هذا العالم الجسماني ليخوض الامتحان الثاني بعد الامتحان الأول في عالم الذر حجب بالجسم المادي، فلما أخلص لله سبحانه وتعالى إخلاصاً ما عرفت الأرض مثله أحبه الله ووكل به روح القدس الأعظم، فكان الفائز بالسباق في هذا العالم كما كان الفائز بالسباق في الامتحان الأول في عالم الذر[المتشابهات- السيد أحمد الحسن:ج٣].

[1]. الكافي - للكليني:ج١ص٢٧٢.
[2]. أصول الكافي: ج١ ص٤٨ب٢٠ح٢.
[3]. الزمر : ٩.
[4]. عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٩٣.

من هم العلماء الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم ووصفتهم الروايات المستفيضة وبينت حالهم وسمتهم؟ أسئلة تضع الذين تقمصوا هذا الدور وقدموا أنفسهم على أنهم العلماء أمام تساؤلات كبيرة وخطيرة، هل أن علمكم من الله؟ هل أن ما تخطه أقلامكم وتنسبوه إلى الدين وإلى العقائد يقين أم ظن؟ في الحقيقة لم نجد أجوبة مستندة إلى دليل من جهة فضلا عن أن الواقع أثبت أن ما قدموه لا يمثل إلا آراء نسجتها أوهامهم وقواعدهم الوضعية التي كانت مرآتا تعكس تفسيرهم وفهمهم للنصوص التي يختص بتفسيرها وتأويلها خلفاء الله حصرا.

قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ)[1].

عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، في قوله عز و جل: "إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"، قال: يعني به عليا (ع)، كان عالما بالله، و يخشى الله عز و جل و يراقبه، و يعمل بفرائضه، و يجاهد في سبيله، و يتبع في جميع أمره مرضاته و مرضاة رسوله (ص)[2].

بعض أقوال الأئمة (ع) في العلم

الإمام الباقر (ع): (إن العلم الذي هبط مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث، وأنه لم يمت عالم إلا خلف من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله)[3].

عن الحارث بن المغيرة أيضا، عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: العلم الذي يعلمه عالمكم بما يعلم؟ قال (ع): (وراثة من رسول الله (ص) ومن علي (ع) يحتاج الناس إليه ولا يحتاج الناس)[4].

عن أبي عبد الله (ع) قال: (ألواح موسى عليه السلام عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ور فعن أبي جعفر (ع) قال: (كانت عصا موسى لآدم عليه السلام فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران وأنها لعندنا وإن عهدي بها آنفا وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها وأنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى وأنها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به)[5].

---

[1] . فاطر: ١٨،١٩.
[2] . البرهان- هاشم البحراني: ج٤ ص٥٤٥.
[3] . المحاسن - البرقي: ج١ ص٢٣٥.
[4] . بحارالأنوار - المجلسي: ج٢ص١٧٨.
[5] . الكافي - الكليني: ج١ ص٢٥.

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله (ع): (إن سليمان ورث داود وإن محمدا ورث سليمان وإنّا ورثنا محمدا وأن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال: قلت: إن هذا لهو العلم، قال: ليس هذا هو العلم، إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة)[1].

عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا (ع): (أما بعد، فأن محمدا (ص) كان أمين الله في خلقه فلما قبض صلى الله عليه وآله وسلم كنا أهل البيت ورثته. فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق.... إلى أن يقول: نحن ورثة أولي العزم من الرسل....)[2].

فمن هم العلماء؟

حدثنا إبراهيم بن هاشم عن يحيى بن إبى عمران عن يونس عن جميل قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول يغدوا الناس على ثلاثة صنوف عالم ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء)[3].

فالعلماء بالقطع واليقين هم آل محمد (ع) وما دونهم متعلمون، فكلام أبا عبد الله (ع) واضح، ولكن بعض الفقهاء أقروا بهذا المعنى ثم خالفوا حتى أقوالهم.

المحقق الخوئي: ذكر كلاما طويلا حول هذه الرواية وإبطال حملها على العلماء بمعنى أن يكون لهم ما للأنبياء فقال: (.... بل يمكن أن يراد من تلك الأخبار كون المراد من العلماء هم الأئمة والأوصياء (ع) لكونهم هم العلماء بالمعنى الحقيقي، فمع دلالة تلك الأخبار على كون العلماء ورثة الأنبياء عن التصرف في أموال الناس وأنفسهم فلا دلالة فيها لكونها ثابتة للفقيه أيضا، فنعم الدليل الحاكم قوله (ع): نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون إذن فيمكن دعوى أن كلما ورد في الروايات من ذكر العلماء فالمراد منهم الأئمة (ع) إلا إذا كانت قرينة على الخلاف ....)[4] .

وقال أيضا:

---

[1] . نفس المصدر: ج١ ص٢٢١.
[2] . الكافي - للكليني: ج١ ص٢٥٠.
[3] . بصائر الدرجات - الصفار: ص٢٨.
[4] . مصباح الفقاهة - السيد الخوئي: ج٣ ص٢٨٩.

(.... وأما غيرها مما تمسك به في المقام مثل ما ورد من أن مجاري الأمور بيد العلماء بالله أو أن العلماء ورثة الأنبياء ونحو ذلك، فهي بأسرها قاصرة السند أو الدلالة كما لا يخفى فلا تستأهل البحث....)[1]

السيد محمد سعيد الحكيم بعد ذكره لحديث (العلماء ورثة الأنبياء) و(علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) فقال معلقا عليهما: (بل لعلهم عليهم السلام هم المعنيون بالحديث الأول والثاني؛ لأنهم هم العلماء الحقيقيون الذين أخذوا من الأنبياء ما عندهم كما يناسبه ما في خبر أبي البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء و ذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا و إنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء من منها فقد أخذ حظا وافرا، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[2].

السيد أحمد الخونساري– تقرير بحث النائيني– قال: (مجاري الأمور بيد العلماء) و(العلماء ورثة الأنبياء) ونحو ذلك من الأخبار الواردة في علو شأن العالم، فمن المحتمل قريبا كون العلماء فيها هم الأئمة (عليهم السلام) ...)[3].

الشيخ محمد حسين الأصفهاني قال تعليقا على حديث (العلماء ورثة الأنبياء) وغيره: (..... ويندفع: بأن المحتمل قويا بأن يراد بالعلماء الأئمة عليهم السلام كما ورد عنهم عليهم السلام (نحْنُ الْعُلَمَاءُ وَ شِيعَتُنَا الْمُتَعَلِّمُونَ وَ سَائِرُ النَّاسِ غُثَاءٌ) مع أن الخبر المتضمن للإرث يعين الموروث وهو العلم كما في المتن)[4].

فالعلماء هم آل محمد (ع) المنصوص عليهم من قبل الله عز وجل، وإنما سمي عالما؛ لأن علمه من الله، وهو علمه بالكتاب وفي كل ما يحتاجه الناس لمعرفة الحق وما يستجد في دين الله في كل آن، وليس من يدعون العلم؛ لأن علمهم ليس من الله، بل من قواعد عقلية وضعوها واستساغوا العمل بها.

---

[1] . نفس المصدر: ج٢ الصوم.
[2] . مصباح المنهاج - محمد سعيد الحكيم - التقليد: ص١٩٩.
[3] . منية الطالب - أحمد الخوانساري: ج٢ ص٢٣٢.
[4] . المكاسب - محمد حسين الأصفهاني - حاشية الكتاب: ج٢ ص٣٨٥.

- **علم خليفة الله وحضور القابل**

عرضنا فيما سبق بأن النص من الله على خليفة لله في كل زمان ضرورة، وعرفنا أيضا علة هذا النص كونه لا يتعدى المنصوص عليه أبدا، وعرفنا أن هذا الخليفة المنصوص عليه مزود بالعلم الإلهي الديني الذي يضمن للناس ما يحتاجونه من المعرفة والوصول إلى الله وهي غاية الخلق، فصار هذ العلم مائزا يعرف به خليفة الله.

(إن الغرض من الخلق هو المعرفة ولا يتحقق هذا الغرض في هذا العالم لمعظم الخلق إلا بتنصيب ناقل العلم وظيفته تعريف الناس، وترك فعل ما يتحقق به الغرض مع القدرة عليه في نقض الغرض، وهذا تناقض لا يصدر من الحكيم المطلق فبما أن تنصيب خليفة الله المعرف بالله وبدين الله بإرادة الله يحقق الغرض من الخلق، إذن لابد من تنصيبه.

ولا يصح أن يخلو منه زمان مع وجود القابل، فلا يعرف الخلق دين الله وإرادة الله، فلا يعلمون ولا يعبدون ولا يعرفون، فينقض الغرض من الخلق، وكذا لا يصح أن يخلو منه الزمان حتى عند عدم وجود القابل؛ لأن به يقطع عذر المنكرين)[1].

عن أبي حمزة قال: ("قلت لأبى عبدالله (ع): أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت")[2].

عن الإمام الباقر(ع)، قال: (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله)[3].

فقول الإمام الباقر (ع) تأكيد واضح على أن الأمام فعلا لا تخلو منه الأرض ساعة، فعلام التعليل بغيبة الإمام (ع) وماذا تفعل الأمة والحال بأن الإمام غير موجود وما حال من مات ولم يأخذ من الإمام؟ فهل هي تعليلات مبررة؟! قطعا لا؛ لأن الأولى هو إثبات عدم وجوده ثم إن عجزوا عن إثبات ذلك فليبحثوا عن سبب ابتعاده عنهم والذي لم يترك لهم فراغا بهذا الصدد ليشغلوه بذريعة يخترعونها تسد عليهم وجودهم النشاز بعنوان سد النقص الحاصل بغيابه (ع).

---

[1] . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٣٣.
[2] الكافي - الكليني: ج١ ص١٧٩.
[3] . نفس المصدر.

عن الإمام الباقر (ع): (إذا كره الله لنا مجاورة قوم نزعنا من بين أظهرهم)[١].

وعن الإمام أبو جعفر (ع): (إذا غضب الله – تبارك و تعالى– على خلقه نحانا عن جوارهم)[٢].

فالمتبرعون هم من أحدثوا هذا الفراغ أعانهم جهل الاتباع فالجميع مسؤولون عن تغييب ناقل العلم الحقيقي الموجب للنجاة.

عن إسحاق بن عمار، عن أبى عبدالله (ع) قال: سمعته يقول: (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم)[٣].

عن أبى بصير، عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: (إن الله لم يدع الارض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل)[٤].

(إذن خليفة الله لابد من وجوده، وبما أن خليفة الله زوده الله بالعلم الذي يحتاجه الناس لتبليغهم وإيصالهم للحق فعلمه (ع) حجة على الناس ولكنه أمام حالين:

١– وجود القابل: وهو الحال الذي يكون فيه خليفة الله مكلفا أن يبلغ رسالته ويبث علومه وبحسب ما يحتاج هذا القابل.

٢– عدم وجود القابل: وهو الحال الذي يضطر خليفة الله للإحجام عن التبليغ وبث علومه، ويكون هذا الزمان هو زمان فترة مع وجود الخليفة الحامل للعلم.

ومع عدم وجود القابل فيمكن أن يكون الخليفة أو الرسول موجودا منصبا وقد هيأه الله بالعلم ولكن لا يأمره الله بالتبليغ (أي مجمد) ووجوده والحال هذه موافق للحكمة؛ لأن فيه إقامة الحجة على الناس، وقطع عذر المنكرين، ولا يكون للناس حجة مع وجود الرسول ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥]، ويكون هذا الزمان هو زمان فترة، يوجد فيه رسول وهو خليفة الله في أرضه وحجته على عباده ولكن لا يؤمر بالتبليغ (أي مجمد) وإن كانت الفترة طويلة كان فيها أكثر من رسول وله أشار

---

١. بحار الانوار - للمجلسي: ج٥٢ ص٩٠.
٢. اثبات الهداة - الحر العاملي: ج٣ ص٤٤٧، الكافى - الكليني: ج١ ص٣٤.
٣. الكافى - الكليني: ج١ ص١٧٨.
٤. نفس المصدر.
٥. النساء : ١٦٥.

تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] ..انتهى)[2].

فالحجة قائمة على من يبرر بتنصيب من يتبرعون للتشريع ويدعون القيمومة على الدين، فقبول الناس بهم بدلاء عن حجج الله بدعوى أنهم يسدون مسد المعصوم لا يعفيهم عن المساءلة في قرارهم واختيارهم غير المعصوم، وهو بحد ذاته ظلم لخليفة الله الذي يتباكون على غيابه عنهم ويدعون له بالقدوم والحال لا مكان له بينهم؛ لأن البدلاء المفترضين يشغلوه بدلا عنه.

قال السبيعي:(سمعت من يوثق به من أصحاب أمير المؤمنين (ع) يقول: قال أمير – المؤمنين(ع) في خطبة خطبها بالكوفة طويلة ذكرها " اللهم [فـ] لابد لك من حجج في أرضك حجة بعد حجة على خلقك، يهدونهم إلى دينك، ويعلمونهم علمك لكيلا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم خائف يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم في دولة الباطل فلن يغيب عنهم مبثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة، وهم بها عاملون، يأنسون بما يستوحش منه المكذبون، ويأباه المسرفون، بالله كلام يكال بلا ثمن لو كان من يسمعه بعقله فيعرفه ويؤمن به ويتبعه، وينهج نهجه فيفلح به؟ ثم يقول: فمن هذا؟ ولهذا يأرز العلم إذ لم يوجد حملة يحفظونه ويؤدونه كما يسمعونه من العالم: ثم قال بعد كلام طويل في هذه الخطبة: اللهم وإني لأعلم أن العلم لا يأرز كله، ولا ينقطع مواده فإنك لا تخلى أرضك من حجة على خلقك إما ظاهر يطاع أو خائف مغمور ليس بمطاع لكيلا تبطل حجتك ويضل أولياؤك بعد إذ هديتهم – ثم تمام الخطبة)[3].

- **علم خليفة الله والوحي في كل آن**

خليفة الله هو السبب المتصل بالسماء في كل زمان، فكما توضح من بحثنا أن الأرض لا تخلو من حجة لله في أرضه حتى تتحقق غاية الخلق وغاية وجودها في هذا العالم، فعلم خليفة الله في زمانه هو ما يحتاجه الناس حتى يصل بهم إلى المعرفة.

(العلم الواجب توفره في خليفة الله في أرضه؛ هو معرفة ما فيه نجاة الناس في الآخرة من عقائد وتشريع فلابد أن يوحى إليه ليكون عنده فصل الخطاب، ويبين الاعتقاد، الحق والشريعة الحقة وما

---

[1] . المائدة : ١٩.
[2] . عقائد الاسلام - السيد احمد الحسن: ص٣٦.
[3] . رواه الكليني في قسم الأصول مختصرا في ج١ ص١٧٨ومفصلا ص٣٣٥ و٣٣٩.

يستجد من تشريع ، فالعلم ليس ما كان بل ما يكون، فمعرفة خليفة الله مثلا بكتاب الخليفة السابق أو حفظه له أو حفظه للتشريع السابق ليس هو العلم الأهم والواجب توفره في خليفة الله في أرضه؛ لأن هذه أمور متوفرة بين أيدي الناس ويمكن أن يحصلها أي إنسان آخر يعلم ما فلا يكون له فضل بها بل الفضل أن يعلم ما لا يعلم الناس، ولا يكون هذا إلا بالوحي في آناء الليل والنهار. فالكل يحتاجونه لينجوا، بينما هو لا يحتاج أحدا من الناس في زمانه، تماما كحال آدم والملائكة فعلم آدم كانت تجهله الملائكة مع حاجتهم له(أسمائهم) التعلم منه وطاعته.....ويجب دائما الالتفات إلى أننا هنا نتكلم عن خليفة الله في أرضه في هذا العالم الجسماني، ولا نتكلم عن روحه وما أودع فيها، فهو في هذا العالم يجهل الكثير كغيره من الناس ولا يعلم إلا ما يتعلمه كسبا أو ما يشاء الله يعلمه له وحيا وفق حكمة الله أن الحكيم المطلق لا وفق تخرصات الناس وطلباتهم، فيمكن أن يعرفه الله ما لابد له منه، فيكشف له الله بعض المعارف المودعة في صفحة وجوده والتي حجبها عنه هذا الجسد وهذا العالم وكثافته. والنتيجة أن علم الحجة هو ما بينته وهو وحي مستمر من الله له، بكل ما تحتاجه الإنسانية للنجاة ومعرفة الحق ومعرفة ما يريده الله منهم، وليس من علم الحجة الواجب في شيء المعرفة بلغات الكتب السماوية أو باللغات الأخرى أو حفظ ألفاظ الكتب السماوية. نعم لابد أن يكون هو الحافظ لكل المعاني الواردة في كل الكتب السماوية وللحقائق المشيرة لها ودون أن يحتاج لقراءتها أو توفرها بين يديه فالكتب السماوية كلها مودعة في صفحة المعصوم كحقائق ومعان في مرتبتي الحقيقة والمعنى. ولكل حجة كتابه ومعرفته الخاصة به وبأهل زمانه وما يحتاجونه، وليس من علم الحجة الواجب في شيء المعرفة بالعلوم المادية حتى الضروري منها لحياة الناس كالطب، وفي حادثة استدعاء الحسن والحسين (عليهما السلام) الطبيب لعلاج أمير المؤمنين (ع) كفاية لمن يطلب الحق)[1].

وخليفة الله العالم إنما سمي بالعالم من آل محمد (ع) الذي زوده الله بالعلم الديني الذي يضمن للناس هدايتهم وتعريفهم بالله سبحانه، وهذا ما يتميز به خلفاء الله في كل زمان.

(لأن الله يوحي له ويعلمه ما فيه إخراج الناس من الظلال وإدخالهم للهدى وتعريفهم بالحق، فهو فقط من يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم؛ لأن علمه من الله ومعرفته من الله، أما غيره فحتى لو عرفوا

[1] . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص١٨٨- ١٨٩.

الحق والصراط المستقيم في آن فسيجهلونه في أن آخر؛ لأن علمهم من الله ولا يوحى لهم، فلا يمكن وصف أحد من الناس بأنه يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم غير خليفة الله في أرضه)[1].

ولعلة كون علم خليفة الله هو العلم في كل آن فأن وجوده ضرورة تقتضيها إرادة الله لاستمرار الغاية من الخلق، فما دام هنالك خلق فلابد من إمام من الله يهديهم ويكون حجة عليهم.

أما هؤلاء الذين يطالبون المعصوم ضرورة معرفته بعلوم التكنلوجيا والعلوم المكتسبة الأخرى لتكون دليلا على عصمته، فإنما يطلبون ذلك منه؛ لأنهم ما عرفوا الإمام ولم يعرفوه طالما هم ملتصقون بالمادة؛ ولأنهم لم يعرفوا أن هذه الدنيا وما فيها لم ينظر الله إليها وليس لها حظ من الوجود إلا قابليتها على الوجود وكونها دار امتحان، فخلفاء الله لم يأتوا لهذا العالم ليعمروا الدنيا التي قامت بغفلة أهلها، بل على العكس من ذلك كل خلفاء الله جاؤوا إلى هذا العالم ليعلمونا كيف نقطع علائقنا فيه ونتجرد عن الانشغال فيه؛ لأنه ليس عالمنا الذي خلقنا من أجله، ثم هل قدم هؤلاء الذين يشترطون على المعصوم معرفته بكل العلوم المكتسبة دليلا على أن خلفاء الله كانوا كذلك؟ بل على العكس فكثير من الأنبياء والمرسلين تعلموا حرفا ومارسوا حرفا كانوا يجهلونها، ولا يخدش شيئا من حجيتهم وعصمتهم أبدا، هم جاؤوا ليخرجون الناس من الظلمات التي لا تنفك دعوة أهل الدنيا عن أن تكون هي الظلمات بعينها، من جهة طلبهم لهذا الوجود وحبهم البقاء فيه ومن جهة غفلتهم عن اللحوق بخليفة الله الذي وجد في هذا العالم من أجلهم.

فلا يعدوا هؤلاء أن يكون حالهم كهؤلاء الذين يقولون ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[2].

قال الإمام الباقر (ع): (يا معشر الشيعة خاصموا بسورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ تفلحوا، فو الله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله (ص)، وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا. يا معشر الشيعة خاصموا بـ ﴿حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله (ص) ...)[3].

(فهذه السورة دالة على أن الملائكة والروح تتنزل بالأمر بعد النبي (ص) على خلفائه المعصومين، وإلا لقيل بمضيها مع النبي (ص) مع أن المسلمين مجمعون على بقائها، وهاهم يطلبونها في العشر الأواخر من شهر رمضان كل عام)[1].

---

[1] . نفس المصدر.
[2] . الأنعام : ٢٩.
[3] . الكافي - الكليني: ج١ص٢٩٤، بحار الأنوار - المجلسي: ج٢٥ ص٧٢.

إذن هذا التنزل مستمر لعلة استمرار دواعيه وهو وجود الخلق ولزوم وجود خليفة الله، إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مستورا، فالأمر يعود إلى الناس، أي وجود القابل للحق أو عدمه، فإن تكلم المعصوم فلعلة وجود القابل، وإن صمت المعصوم فهناك موجبات وضرورات تمليها إرادة الله وتكليفه للمعصوم منها تهيئة من سيستلم الخلافة الإلهية بعده تلك الأمانة التي كلف الله بها خليفة الله، فهو يعمل كل ما يترجم هذه المهمة ليكون بأفضل صورة يقيم بها الحجة على الناس وبالتالي لا يكون عذر لمن يتخلف عن خليفة الله ويتبع خطوات الشيطان.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢].

فالأمانة خلافة الله يسلمها الخليفة السابق للخليفة اللاحق المنصوص عليه فالخليفة السابق يحافظ عليها حتى إذا اضطر للصمت.

عن ابن اذينة، عن أبي عبد الله (ع)الرواية طويلة أخذنا منها موضع الشاهد: (...ثم أوحى الله عز وجل: إليه اقرأ إنا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة...)[٣].

هذه الرواية تشير بأن هناك ترابط وملازمة بين العلم الإلهي الذي يوحى به من الله إلى خليفته في الأرض، وكونه العلم الذي يخرج الناس من ظلمات الضياع والانغماس بالعالم المادي الجسماني ويرجعهم إلى عالم النور والمعرفة والنجاة هو من الله إلى خليفته، وبين سنة التنصيب الإلهي التي لم تتغير ولم تتحول منذ آدم الى يوم القيمة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[٤] فعلة التنصيب كونها حصرا من الله وليس لأحد أن ينصب؛ لأن العلم الإلهي لا يمكن حمله إلا الأنسان الكامل الذي كمل عقله ونفخ فيه روح القدس وصار صورة الله وبالتالي هو المستأهل ليقوم مقام الله في خلقه أي أن الخليفة هو الذي يقوم مقام المستخلف فهو الذي لا يخرج الناس من حق ولا يدخلهم في باطل أبدا.

---

[١] . العجل - السيد أحمد الحسن: ج١.
[٢] . النساء : ٥٨.
[٣] . الكافي - الكليني: ج٣ ص٤٨٢- ٤٨٦.
[٤] . الأحزاب:٦٢.

هنا عرفنا أن هذا التنزيل وهذا الوحي الإلهي مستمر إلى يوم القيمة، لتكون حجة الله داحضة على جميع الخلق في إرسال الرسل في كل زمان ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

فلا مناص من بلوغ الحجة على كل أهل الأرض وكل الأقوام التي عاشت والتي ستعيش إلى يوم القيمة ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2].

فأهل السنة الذين يتنكرون للتنصيب الإلهي بعد رسول الله (ص) ليس لديهم الدليل على عقيدتهم بإنكار الأوصياء بعد محمد (ص)، فالآية ترصد لنا هذا الهادي بعينه وشخصه كما رصدت لنا رسول الله (ص) بعينه أنما (أنت)؛ ولأن الخطاب لرسول الله (ص) يعزز هذا المعنى.

فقسم منهم يقول في تفسيرها أي لكل قوم إمام يدعوهم إلى الله ولكنهم ذهبوا بتأويلها إلى أن الهادي هو نفسه رسول الله (ص) أو الله سبحانه هو الهادي فهذا لا يستقيم مع ظاهر الآية أصلا؛ ولأن رسول الله (ص) سمى الأوصياء بعده وهي من الله نصت عليهم كما نص على كل خلفاء الله.

أما الشيعة الذين يؤمنون بوجود أوصياء بعد رسول الله (ص) وإن كانوا اليوم يخالفون مدعاهم؛ لأنهم منصرفين عن هذا الخليفة الإلهي المنصب والهادي بأفعالهم، عندما نصبوا فقهاء ينوبون عنه بدعوى غيابه (ع) وهذا العذر مقطوع وقد حررناه بالكلام عن زمن الفترة، ولكن لو تعاملنا ظاهرا مع إيمانهم بوجود الأمام المهدي (ع) خليفة الله فهم قد وقفوا على الأمام محمد بن الحسن العسكري (ع) عندما أنكروا العدة الثانية لأوصياء محمد (ص) وهم حجج على الخلق وهداة بعد الأمام المهدي (ع) إلى يوم القيامة كما نصت وصية رسول الله (ص).

ولهذا فإن رسول الله (ص) أمين الله على وحيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3] والذي صدع بالحق وكتب وصية التنصيب الإلهي لخلفائه من بعده وأسماها الكتاب العاصم من الظلال الذي نص على اثني عشر إماما واثني عشر مهديا، ما إن اعتصمت الأمة وتمسكت به؛ لأنه ضمانة رسول الله (ص)؛ ولأنه من الله؛ ولأن هؤلاء الأوصياء المنصبين من الله تتنزل عليهم الملائكة ويوحى

---

[1]. النساء: ١٦٥.
[2]. الرعد: ٧.
[3]. النجم: ٤.

إليهم في كل آن فلا يغيبون عن وحي الله ولا هو يغيب عنهم؛ لأنهم السبب المتصل وعمود النور الواصل من السماء إلى الأرض.

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله (ع): (إن سليمان ورث داود وإن محمد ورث سليمان وإنا ورثنا محمدا وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح قال قلت إن هذا لهو العلم قال ليس هو هذا العلم إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة)[١].

عن ضريس عن أبي عبد الله (ع) قال سمعته يقول: إنما العلم ما حدث بالليل والنهار يوم بيوم وساعة بساعة)[٢].

عن ابن مسكان عن ضريس قال: كنت مع أبي بصير عند أبي جعفر (ع) فقال له أبو بصير: بما يعلم عالِمكم جعلت فداك، قال: يا أبا محمد إن عالمنا لا يعلم الغيب ولو وكل الله عالمنا الى نفسه كان كبعضكم ولكن يحدث اليه ساعة بعد ساعة)[٣].

عن منصور بن حازم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (إن عندنا صحيفة فيه إرش الخدش، قال قلت: هذا هو العلم: إن هذا ليس بالعلم إنما هو إثرة، إنما العلم الذي يحدث في كل يوم وليلة عن رسول الله (ص) وعن علي بن أبي طالب (ع)[٤].

عن ضريس الكناسي قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فقال أبو عبد الله: (إن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى، فقال أبو بصير: إن هذا لهو العلم، فقال ليس هذا العلم إنما هو الإثرة، قال إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار يوم بيوم وساعة بساعة)[٥].

إذن خلفاء الله المنصوص عليهم من قبل الله علمهم من الله واتصالهم بالوحي يوم بيوم وساعة بساعة مصطفين مختارين؛ لأنهم جدوا واجتهدوا وأخلصوا، والنص عليهم لا يخطئهم، ولم يحدث منذ آدم إلى يومنا هذا أن ادعى هذا النص مبطل؛ لأن الله عصم هذا النص من أن يدعيه غير صاحبه.

---

١. الكافي - الكليني: ج١ ص٢٢٤- ٢٢٥.
٢. بصائر الدرجات - للصفار: ص٣٤٤.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر السابق.

الإمام الصادق(ع) يقول: (إن هذا الأمر لا يدعيه غير صاحبه إلا تبر الله عمره)[1] لأنه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[2]ولما ثبت أن النص الذي يصدر من رسول الله (ص) نص عاصم من الظلال فأي اسم من أسماء الأوصياء ذكر في هذا النص عصي على المدعين والمبطلين؛ لأنه لو كان بالإمكان أن يدعي شخص ما نصا عليه وهو كاذب في دعواه ويمر ادعاءه ويغتر به الناس سيكون مجانبا للحكمة الإلهية، وفرضه محال وحيود عن الحق؛ لأن الواقع ومسيرة الخلفاء من آدم إلى اليوم يقول لم يدعيها– أي لم يدعي النص التشخيصي – مبطل[3].

وقد اشتبه على الناس الفرق بين أن يدعي شخص المنصب أو المقام وبين أن يدعي النص التشخيصي، مع أن هذا الفرق واضح، فإن المناهضين للدعوات الإلهية سوقوا هذا الإشكال ليكون ذريعة يحتجون بها على مدعي الحق بحجة أن هناك الكثير من ادعوا، في حين أن هؤلاء المدعين كانوا يدعون المنصب أو المقام وليس النص التشخيصي، وزرع مثل هذا الإشكال في عقول الناس واستغفالهم أمر هين لا يحتاج إلى عناء.

إن المنهج البديل عن المنهج الإلهي للتعرف على المدعي ما هو جملة من الاقتراحات والفرضيات ومجموعة من المواصفات الجسدية المبتدعة والتي بحسبهم يجب أن يتصف بها مدعي الإمامة من قبيل الإتيان بالمعجزات ومعرفته بجميع اللغات وعدم جواز السهو والنسيان للمعصوم مطلقا والقائمة تطول.

وهذا المنهج بحد ذاته إتهام لله سبحانه وتعالى؛ لأنه لم يعطي تلك المواصفات لأحد دون أحد فيكون ظلما في ساحة الله وحاشاه، وهو كذلك إلغاء للامتحان؛ لأن الله غيب والأيمان به لابد أن يكون من الغيب وعلم المعصوم وتنصيبه من الغيب، فهنا كان امتحان الناس، أما الأدلة فهي فضل على الناس؛ لأن الناس عليها أن تؤمن من أول وهلة يعلن فيها المعصوم عن نفسه وهي الفطرة السليمة التي لم تلوث.

---

[1] . الكافي - الكليني: ج١ ص٣٧٢.

[2] . الحاقة :٤٤- ٤٦.

[3] . عن محمد بن الفضل، عن الرضا (ع): (في حديث طويل أنه حضر في البصرة في مجلس عظيم فيه جماعة من العلماء وفيه جاثليق النصارى ورأس الجالوت، فالتفت الرضا (ع) إلى الجاثليق وقال: هل دل الإنجيل على نبوة محمد (ص). قال: لو دل الإنجيل على ذلك لما جحدناه، فقال (ع): أخبرني عن السكتة التي لكم في السفر الثالث. فقال الجاثليق: اسم من أسماء الله لا يجوز لنا أن نظهره. قال الرضا (ع): فإن أقررتك أنه اسم محمد ... (وبعد أن ذكر الإمام (ع) ما جاء في الإنجيل والتوراة من ذكر للرسول (ص))، قالا - أي الجاثليق ورأس الجالوت-: والله لقد أتى بما لا يمكننا رده ولا دفعه إلا بجحود الإنجيل والتوراة والزبور، وقد بشر به موسى وعيسى عليهما السلام جميعاً، ولكن لم يتقرر عندنا بالصحة أنه محمد هذا، فأما اسمه محمد فلا يصح لنا أن نقر لكم بنبوته ونحن شاكون أنه محمدكم. فقال الرضا (ع): احتججتم بالشك، فهل بعث الله من قبل أو من بعد، من آدم إلى يومنا هذا نبياً اسمه محمد ؟ فأحجموا عن جوابه ... الخ) [إثبات الهداة - الحر العاملي: ص١٩٤- ١٩٥].

فالمعصوم هو المعتصم بالله عن محارم الله والذي لا يخرج الناس من حق ولا يدخلهم في باطل وهو مستقبل الفيض الإلهي النازل في كل آن، وهذا أمر باطني لا يمكن ملاحظته في ظاهر الخلقة.

عن علي بن الحسين (ع) قال: (الإمام منا لا يكون إلا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوصا. فقيل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾)[1].

وعن الحسين الأشقر، قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إن الإمام لا يكون إلا معصوما، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن ذلك فقال: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[2].

وبهذا يكون هؤلاء المبتدعين قد أسسوا لعقيدة أخرى غير العقيدة التي جاء بها الأنبياء والمرسلين والائمة (ع)، وهذا لا يختلف كثيرا عمن أسس لعقيدة عدم وجود خلفاء وأوصياء بعد رسول الله (ص)؛ لأن الحالين سيؤديان بالنتيجة لوأد المشروع الإلهي وإفراغ الساحة من خليفة الله فيكونوا هم البديل عن خلفاء الله.

فالخلاصة أن الله سبحانه عرف خلفاءه بمنهج ثابت أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن الأمة أعرضت عن هذا المنهج الإلهي وأبت إلا أن تحذو حذو الأمم السابقة التي فشلت في السير مع خلفاء الله ونصرتهم، وكما ورد عنهم (ع) لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، فقد احتج رجل من آل محمد (ع) بهذا النص العاصم من الضلال؛ لأنه مذكور في وصية رسول الله المقدسة وهو أول العدة الثانية المهدي الأول وصي من أوصياء محمد (ع)، ولم يكن النص وحده بل احتج بالعلم الإلهي ودعوته لحاكمية الله وهو القانون الإلهي المعرف بحجج الله، ولكن الأمة مارست نفس التقصير والخذلان الذي مارسته الأمم السابقة مع خلفاء الله، بل هو صورة لما حصل في الامتحان الأول في علم الذر، وروايات آل محمد (ع) زاخرة في بيانها كيف انقلبت الأمة على رسول الله (ص) وكيف ستنقلب في آخر

[1]. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢ ص١٩٤.
[2]. نفس المصدر.

الزمان على الإمام المهدي (ع)، والمنهج الوضعي المبتدع للشيعة هو السبب وراء هذا الخذلان والنكوص عن جادة الهدى[1].

بل وحتى السنة لديهم ثابت عقائدي بأن هناك مهدي يولد في آخر الزمان، وقد حثهم رسول الله (ص) على نصرة المهدي وأسماه خليفة الله المهدي كما في الروايات الصحيحة في كتب السنة[2]، وقد جاءهم واسمه يواطئ اسم رسول الله (ص) احمد واسم أبيه يواطئ اسم أبي رسول الله إسماعيل كما نصت الروايات والرسول (ص) قال أنا ابن الذبيحين عبد الله وإسماعيل، فاحتج بالنص التشخيصي الموصوف بأنه عاصم من الضلال لمن تمسك به وجاءهم بالعلم والانفراد براية البيعة لله، والذي دعاهم رسول الله (ص) لنصرته ولو زحفا على الثلج.

مناهج التفسير وتعطيل المشروع الإلهي في الأرض

من خلال استعراض الآيات القرآنية تبين لنا ما هو العلم ومن هم أهله وخاصته، والقرآن هو الكتاب الشامل لكل العلوم ولا يسعه إلا الأنسان الكامل؛ لأن القرآن هو كل الكتاب أو الكتاب الجامع فهو لمن خوطب به وهم محمد وآل محمد (ع).

---

[1] . عن أبي خالد الكابلي قال: لما مضي علي بن الحسين دخلت على محمد بن علي الباقر(ع) فقلت: (لما مضى علي بن الحسين(ع) دخلت على محمد بن على الباقر (ع)، فقلت له: جعلت فداك ، قد عرفت انقطاعي إلى أبيك وانسي به ووحشتي من الناس، قال: صدقت يا أبا خالد تريد ماذا ؟. قال: أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه. فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثا به أحدا ولو حدثت به أحدا لحدثتك ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة) [بحار الأنوار - المجلسي: ج١٥ ص٣١]، [إثبات الهداة - الحر العاملي: ج٣ ص٥٠٩ - ح ٣٢٨] - عن غيبة الطوسي. [بحار الانوار - المجلسي: ج٥١ ص٣٣١] ، عن النعماني ، بتفاوت يسير .وفي [بحار الانوار - المجلسي: ج ٥٢ ص٩٨ ب٢٠ ح٢١] - عن غيبة الطوسي.
- فعن أبي الجارود أنه سأل الإمام الباقر (ع): (متى يقوم قائمكم؟ قال: يا أبا الجارود لا تدركون. فقلت: أهل زمانه؟ فقال: ولن تدرك زمانه، يقوم قائمنا بالحق بعد إياس من الشيعة، يدعو الناس ثلاثاً فلا يجيبه أحد... الى قوله (ع): ويسير الى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية شاكين السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم، وسمروا ساماتهم، وعمهم النفاق، وكلهم يقولون يا ابن فاطمة ارجع، لا حاجة لنا فيك. فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الإثنين من العصر الى العشاء... ثم يدخل الكوفة فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله تعالى) [المعجم الموضوعي - الكوراني: ص٥٦٨ – ٥٦٩]،[دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري(الشيعي) ص٤٥٥] ، [إرشاد المفيد: ج٢ ص٣٨٤].

[2] . ابن ماجة: [٤٠٨٤- حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف، قالا: ثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يقتتل عند كنزكم ثلاثة. كلهم ابن خليفة. ثم لا يصير إلى واحد منهم. ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق. فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم". ثم ذكر شيئاً لا أحفظه. فقال "فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج. فإنه خليفة الله، المهدي". في الزوائد: هذا إسناد صحيح. رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين] [سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٣٦٦].
وعنه: [حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا فضل بن دكين ثنا ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة] [مسند أحمد: ج٣ ص٣٧].
٤٠٨٦- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. ثنا أحمد بن عبد الملك. ثنا أبو المليح الرقي عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، قال: كنا عند أم سلمة. فتذاكرنا المهدي. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المهدي من ولد فاطمة"] [سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٣٦٨].
نعيم بن حماد المروزي: [حدثنا الوليد ورشدين عن ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ولو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً] [الفتن - ابن حماد: ص٢٢٩].
العجلوني: [٢٦٦١- ..... ومنها ما أخرجه الروياني في مسنده وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجو] [كشف الخفاء - العجلوني: ص٢٨٨].

قال أبو جعفر الباقر(ع): في حديث له مع قتادة، وقد أخطأ قتادة في تفسير آية فقال (ع): (يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به)[1] .

والمعرفة بعلوم القرآن وأسراره وتفسيره وتأويله أختص بها خليفة الله؛ لأنه منصب من الله؛ ولأنه الوعاء المستأهل والمستحق ليكون محلا لاستيعاب العلم الإلهي والذي لا يسع لأحد غير الذي يقوم مقام الله عز وجل فليس لأي مخلوق أن يدرك كلام الخالق والعالم المطلق إلا أقرب مخلوق يمكن أن يكون الله في الخلق فيفهم مراد الله وعلومه ويكون أمينا عليها؛ لأنه قد فرغ من الانشغال بنفسه وجانب الهوى ولأنه يفهم لغة القرآن النازل من تلك العوالم، فجانبه مأمون ليكون منفذا حقيقيا لدستور الله وما يريد هو سبحانه، فالتفسير عندما يقتصر على خليفة الله يكون ضمانة لإيصال الناس.

عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني، قال: قال أبو عبدالله (ع): (يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2]

عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية: « ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع» ما يعني بقوله: « لها ظهر وبطن؟» فقال: (ظهره [تنزيله]، وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه)[3].

فتأويل القرآن لهم (ع)؛ لأنه يقطع الطريق على المنتحلين والدخلاء على هذه المنظومة الإلهية، ولكي يبقى المشروع الإلهي قائماً في كل زمان لا يخترق قوانينه ومنهجه مدع أو متطفل فيضل الناس، وإذا حصل ذلك فالحجة قائمة على الناس؛ لأن الله عرف حججه وعرف بمهمتهم وأمر الناس باتباعهم؛ لأنهم الضمان الوحيد لنجاتهم، فلا يمكن بحال أن يكونوا هؤلاء الذين فسروا القرآن إلا متطفلين على القرآن وأنهم ادعوا ما ليس لهم، فقطعا هم ليسوا مخاطبين به وقطعا لم يرد فيهم نص لا من الله ولا من خلفاءه يبيح لهم أن يتأولوا كتاب الله ويعتدوا على حرمة القرآن.

---

[1] . بحار الأنوار- المجلسي : ج٢٤ ص٢٣٨.
[2] . بصائر الدرجات – الصفار: ص٢٤٤.
[3] . تفسير العياشي : ج١ ص١١.

فإذا كان القرآن من عند واحد وهو الله سبحانه وهو الذي يعلم ما يريد وهو مصلحة المكلفين فكيف يفسر هؤلاء المبتدعون اختلافهم في تفسير الآيات القرآنية فبعضها يضرب بعض وبعضها يناقض بعض، وما تشرذم الأمة وتفرقها واختلافها إلا واحدة من نتاج تفاسيرهم التي بدلت وغيرت وحرفت، ولم تحصد الأمة منه سوى التيه والضلال وقد وصفهم القرآن كونهم "يحرفون الكلم من بعد مواضعه" و "يحرفون الكلم عن مواضعه".

محصلة ما قلناه هو أن المفسرين كانوا ولا زالوا سببا في حرف المسيرة الإلهية وسببا في تعطيل المشروع الإلهي، فهو حق لخلفاء الله اغتصبوه فكانوا سببا في:

- ظلم آل محمد (ع) حيث حالوا بينهم وبين ممارسة حقهم في قيادة الأمة.
- ظلم الناس لأنهم حجبوا علوم آل محمد (ع) عنهم.
- إيذاء آل محمد (ع) عندما استغفلوا الناس واستخدموهم بالوقوف بالضد من آل محمد (ع).
- إصدار أحكام وتشريعات وعقائد غير واقعية.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُون﴾[1].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4].

---

[1] . المائدة: ٤٤.
[2] . المائدة: ٤٥.
[3] . المائدة:٤٧.
[4] . الأنعام : ٦٨.

أقول: فهل قرأ هؤلاء المفسرون هذه الآيات؟! الجواب: نعم قرؤوها ولكنهم اختاروا أن يكونوا ممن أعجبتهم أنفسهم وخالفوا صراط الله وركبوا الأنا فهم بالنتيجة لابد أن يمتحنوا كما امتحنت نفوسهم بالذر الأول.

بعض أقوال الأئمة (ع) في التفسير

قال أمير المؤمنين (ع) لرجل: (إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئا من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه كلام البشر، وكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضل)[1].

وقال أبو جعفر الباقر (ع) في حديث آخر: (ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء»، ثم قال: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) من ميلاد الجاهلية)[2].

وعن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: (ما أبعد عقول الرجال من تفسير القرآن)[3].

وعن جابر قال: قال أبو عبدالله (ع): (يا جابر، إن للقرآن بطنا، وللبطن ظهرا ثم قال: «يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه، إن الآية لينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه)[4].

وقال أبو عبدالله الصادق (ع): (من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر)[5].

وعن معلى بن خنيس، قال: قال أبو عبدالله (ع): (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال)[1].

---

[1] . التوحيد – الصدوق: ص٢٦٥.

[2] . قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) في حديث آخر: (ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء»، ثم قال: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) من ميلاد الجاهلية) [تفسير العياشي: ج١ ص١٧].

[3] . نفس المصدر.

[4] . نفس المصدر .

[5] . نفس المصدر.

عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله ﷻ: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني)[٢].

قال أمير المؤمنين (ع): (يا كميل الدين لله فلا يقبل الله من أحد القيام به إلا رسولا أو نبيا أو وصيا. يا كميل هي نبوة ورسالة وإمامة وليس بعد ذلك إلا موالين متبعين أو عامهين مبتدعين)[٣].

وبعد كل هذا يقول مفسر القرآن مكارم الشيرازي:

(أضف إلى ذلك أن اكتشاف الحقائق يحصل دائما باصطدام الأفكار مع بعضها كما تقدح الشرارة من اصطدام الحجر والفولاذ. إذن يجب أن لا نخشى أبدا من تعدد وكثرة كتب التفسير، بل إنها من نقاط القوة المهمة التي يجب أن تستمر)[٤].

فهل أن القرآن الكريم أطروحة أو تنظير إنساني قابل للنقض والتصحيح وتبادل الآراء، أم أنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، منظومة ولغة إلهية خاطب الله بها من ائتمنهم عليها وعرفهم بها وبأسرارها؟! نعم فواقع التفاسير ينسجم مع قول الشيرازي، خلافات واختلافات وعقائد منحرفة وغموض وأحكام جائرة وتشريعات لا توافق كتاب ولا سنة، بل هي أحكام ابتدعوها كان سببها توسيع دائرة التدخل في كتاب لا يمسه إلا المطهرون إن لم نقل ليست هناك دائرة يتحركون داخلها أصلا، ولا نحتاج لإثبات ذلك الكثير، فالقرآن وحده يجيبهم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥] ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٧]؛ لأنه وبكل بساطه القرآن لمن خوطب به، ثم بعد ذلك المخاطب وهو رسول الله (ص) والذين ورثوا علمه (ع) عليهم التبيان لهؤلاء﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨].

---

١. المحاسن – البرقي: ص٢٦٧.
٢. وسائل الشيعة – الحر العاملي: ج٢٧ ص٤٥.
٣. بحار الأنوار- المجلسي: ج٧٤ ص٢٧٤.
٤. نفحات القرآن – مكارم الشيرازي: ج١٢ ص١-٢٥
٥. المائدة: ٤٤.
٦. المائدة : ٤٥.
٧. المائدة : ٤٧.
٨. النحل: ٤٤.

هل يعتقد المفسرون بوجود خليفة لله في زمانهم؟!

إذا عرفنا أن خلفاء الله هم القوام على كتاب الله؛ بل هم عدل الكتاب وحديث الثقلين الذي يتفق عليه الفريقين يصرح بوجود عترة مع القرآن، والقرآن يجري مجرى الشمس والقمر فلابد أن يكون رجل إلهي من العترة مع القرآن في كل زمان، ومعظم الفقهاء وما يسمون بعلماء الطائفة السابقين والمعاصرين يؤمنون بعدم خلو الأرض من حجة.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1].

(الأمانة هي: الإمامة وولاية ولي الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2]. أي الإمامة يؤديها الإمام إلى الإمام الذي يليه (وبهذا نطق آل البيت (ع) في أحاديثهم، ومنها: عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)، قال: (هي الوصية يدفعها الرجل منا إلى الرجل)[3].

أما الناس فأمانتهم هي ولايتهم لولي الله، فالناس يؤدون الولاية إلى ولي الله في كل زمان، فإذا رجع ولي الله إلى الله لا تنقطع الولاية، بل على الناس أن يتولوا الولي الذي بعده، فلا تخلو أرض الله من حجة ولو خليت لساخت بأهلها ([عن أبي حمزة قال: (قلت لأبي عبد الله (ع): أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)[4]....انتهى)[5] .

ولا أعتقد أن أحدا يجرؤ على القول بأن هناك من هو أعلم من العترة بالقرآن، فوجود مفسرين يخوضون في آيات الله ويصدرون أحكاما وتشريعات مع وجود عالم من آل محمد (ع) بالقرآن لا يعني إلا أمرين:

---

[1] . الأحزاب : ٧٢.
[2] . القرآن الكريم - سورة النساء - الآية: ٥٨.
[3] . الغيبة- النعماني: ص٥٢.
[4] . الكافي- للكليني: ج١ص١٧٩.
[5] . المتشابهات - السيد أحمد الحسن: ج٤ ص٨٣.

الأمر الأول

أنهم يؤسسون لقاعدة لا يقبلها الدين ولا أصل المعتقد الذي يؤمنون به، ولا تمت للحكمة بشيء وهي إمكانية التصدي لعلوم الدين ومنها تفسير القران، وهذا ممتنع حتى في حال غياب المبين من الله الذي غيبه المتبرعون ومن قبل بهم، فكيف يكون الحال مع وجود الأعلم وهو خليفة الله و هو من ضروريات المعتقد.

الأمر الثاني

أنهم يقولون بفعلهم لم نعد نحتاج للأمام العالم من آل محمد (ع) فقد أصبح لدينا من التشريعات والأحكام ما يكفينا لألف عام كما يقول بعضهم، ومرة أخرى نقول فقد اصطفوا مع هؤلاء الذين يقول أن الدين اكتمل حسب توظيفهم للآية بعدم ضرورة وجود خليفة لله بعد الرسول، وهؤلاء الشيعة الذين يشرعون يوافقوهم فعلا وإن لم يكن منهم قولا بعدم ضرورة وجود الخليفة الإلهي في كل زمان.

أما مسألة أداء الفرائض والتكاليف واجتناب المحرمات والقيام بالأعمال الصالحة في هذا العالم فلا يكن لها نصيب في الميزان حتى تستوف شرطها الذي لا بد من تحققه لكي تحسب ويجازى عليها صاحبها، فهي معلقة حتى يتقدم عليها شرط معرفة خليفة الله وولايته وطاعته والتسليم له والرجوع اليه في كل صغيرة وكبيرة.

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (ع) أنه قال:(إن الله لا يستحي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية، وإن الله يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة)[1] .

والآن عرفنا علاقة الامتحان بولاية إمام منصب من الله وأن ولايته من عدمها سبب نجاح أو فشل المكلف، وقد عرفنا سابقا أن غاية خلقنا هو المعرفة والوصول وهذا لا يتم إلا بمعرفة حجة الله في كل زمان وطاعته ومسايرته.

عن علي بن موسى الرضا(ع) قال: (سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين ابن علي

[1] . الغيبة - النعماني - ج ١ - ص١٣٠.

بن أبي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله ﷻ يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل أمن من عذابي. قال: فلما مرت الراحلة نادانا. بشروطها وأنا من شروطها)[1].

[1] . التوحيد - الشيخ الصدوق : ص.٢٥

الفصل الثالث

عالم الرجعة (عالم الظلمة الثالث)

الرجعة عالم من عوالم قوس النزول (عالم الذر، عالم الدنيا، عالم الرجعة) أو ظلمة من الظلمات الثلاث (ظلمة الذر، ظلمة الدنيا، ظلمة الرجعة) وكل من هذه العوالم ينفرد ويستقل عن العالم الآخر من حيث الزمان والمكان والحيثيات، حيث أن كل عالم له قوانينه التي تحكمه.

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ﴾[1].

روى ابن بابويه وغيره: ﴿ أنها ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة ﴾[2].

فقبل الخوض في هذا الفصل الذي استقل بهذا العنوان (ظلمة الرجعة) باعتباره الامتحان الثالث الذي يمر به الإنسان والذي هو موضوع بحثنا أقول:

تكلمنا في الفصل الأول عن عالم الذر كونه الامتحان الأول للخلق، ومن خلال مرورنا على البعض من كتابات وتفاسير السنة والشيعة تعرضنا لموضوع الذر فتمخضت عن نتائج لتصورات وأفهام متعددة أصبحت ثوابت عقائدية لديهم، وبغض النظر عن كون بعض هؤلاء المفسرين والكتاب بمختلف طوائفهم مؤمنين بوجود هذا العالم أو لا، وجدنا أن طبيعة تناولهم لموضوع عالم الذر ينبئنا عن الصورة المشوشة التي تكونت لديهم وضيق أو ربما انعدام النافذة التي نظروا اليها أو أطلوا من خلالها على هذا العالم لأسباب عدة أوجزها بما يلي:

١- جهلهم بطبيعة ذلك العالم.
٢- كونهم محجوبون عن عالم نسوه بسبب انتقالهم لعالم آخر وهو عالم الدنيا.
٣- عالم الذر من الغيب، وهذا يحتاج إلى معرف بذلك العالم يخبرنا ما فيه، وهم لم يبحثوا عن هذا المعرف.

الذي أريد توضيحه هنا هو أن امتحان عالم الذر كان في السماء الأولى التي هي بمثابة غيب لكل المحجوبين عنها بهذا الجسد المادي الجسماني- ما عدى خلفاء الله المتذكرين لذلك العالم من جهة

[1] . القرآن الكريم - سورة ابراهيم - الآية: ٥.
[2] . معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ج١ ص٣٦٥ ، تفسيرالقمي: ج٢ ص٣٦٧.

ولاتصالهم بالسماء من جهة أخرى- وحصل ما حصل، ففريق ذهب إلى إنكاره وفريق مؤمن به ولكنه تجرأ وكتب وفق فهمه الخاطئ، وفريق ثالث وهو أفضلهم قال نؤمن به إجمالا ونترك تفصيله لأهل العلم ويقصد به المعصومون (ع).

كذلك عالم الرجعة سيكون في السماء الأولى وهو عالم مثالي وليس عالما جسمانيا.

فالغموض الذي اكتنف السبب وراء هذه التخبطات التي وقع فيها المتطفلون وأخفقوا في التوصل إلى حقائقه هو نفس السر الذي غاب عنهم اكتشافه والذي يشترك فيه عالم الذر وعالم الرجعة؛ لأنهما في صقع واحد وهو عالم السماء الأولى المثالية وليست الجسمانية.

إذن علة جهلهم بعالم الرجعة كعلة جهلهم بعالم الذر وهو ذات السبب الذي أوقعهم بنفس الأخطاء التي ترتب عليها اعتقادات خاطئة ومواقف عقائدية حرفت من تبنى هذه المواقف عن الوقوف بجانب صاحب الحق وهو علة وجوده في هذا العالم حتى يرتقي للوصول إلى المعرفة الحقة والتي هي غاية خلقه بواسطة صاحب الحق.

كتبت هذه المقدمة كي لا يطول بنا المقام للتعريف بتوصيفات هذا العالم واثبات وجوده فنمر بنفس السلسلة التعريفية لهذا العالم والتي ربما أسهبنا في إيضاحها في الفصل الأول والتي اقتضته طبيعة البحث ابتداءً، وغاية ما يهمنا في هذا الفصل هو الوقوف على كونه عالم من عوالم قوس النزول يجري فيه الامتحان الثالث وكيف سنتعامل مع مجرياته من خلال منظومة الثقلين التي تحكي لنا الصورة الأفضل والأوضح والأقرب إلى الحقيقة، وبالتالي نستفيد من استقراء التجارب الخاطئة التي كررها المتطفلون على علوم اختص بها آل محمد (ع)، عندما كرروا نفس الأخطاء حين تكلموا عن عالم الذر.

الرجعة في اللغة

الرجعة: العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت.

قال الجوهري والفيروز آبادي: (فلان يؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت)[1].

[1] . الصحاح: ج٣ ص١٢١٦، القاموس المحيط: ج٣ ص٢٨.

المعنى الاصطلاحي للرجعة

الرجعة: عالم آخر، ويوم آخر مستقل من أيام الله بمقابل يومي القائم والقيامة، وله نظام خاص وقوانين خاصة به، كما سيتبين من روايات عديدة لآل محمد (ع).

(الرجعة اسمها دال عليها، هي رجعة أي أنها إعادة، أناس ماتوا يعودون، امتحان انتهى يعاد، أيام مضت تعاد)[1].

ليس موضوع إثبات الرجعة محور بحثنا بقدر ما هو عنوان لعالم ثالث من عوالم الظلمة وخلق جديد لامتحان ثالث له علاقة بالممتحنين في هذا العالم، وعلاقته بالشق الثاني من عنوان البحث وهو التسابق المعرفي والمسيرة المعرفية التي بدأت من أول الخلق وأقصد به عالم الذر ومن ثم عالم الدنيا لتبلغ ذروتها في عالم الرجعة حيث تكتمل الغاية من الخلق، ولهذا سنطالع بعض ما ذكره وناقشه العلماء في الرجعة لتكون تمهيدا لما سنناقشه من مواضيع هامة ذات علاقة مباشرة في موضوعنا.

أقوال العلماء في الرجعة

بالنسبة لأهل السنة فلم يقل أحد منهم أو من علمائهم في الرجعة بل وشددوا النكير على من قال بها من الشيعة فلسنا في مقام مناقشتهم، أما من حيث أمكانية وقوعها فالقرآن وظاهر آياته كفيل بإثباتها وليس سوى بعض آيات القرآن سيكون ردا لنكرانهم لثابت قرآني واضح فضلا عن عدد كبير من المأثور من الروايات التي تعضد قول القرآن وإن كانوا لا يقبلون مرويات غيرهم[2]، والآيات كثيرة في الرجعة منها ما هو بيان مباشر ومنها ما يبين أن إحياء الموتى ورجوعهم وارد في القرآن وسأكتفي بموردين من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَة وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِيْ هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِأْئَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم قَالَ بَل لَبِثْتَ مِأْئَةَ عَام فَانْظُرْ إِلَى

---

[1] . الرجعة ثالث أيام الله الكبرى - السيد أحمد الحسن: ص٥.

[2] يقول محمد حسان: بإيجاز شديد: الرجعة، وهذا معتقد من معتقد الروافض أو الشيعة، والرجعة هي: رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، سواء كان هؤلاء الذين يرجعون إلى الدنيا من الصالحين أو حتى من الفاسدين، هذا معتقد عند الروافض، فإنهم يعتقدون بأن أناساً سيرجعون إلى الحياة الدنيا بعد موتهم قبل يوم القيامة، والراجعون إلى الدنيا -كما يعتقدون- فريقان أحدهما: من علت درجته في الإيمان والآخر: من بلغ الغاية في الفساد وهذا موجود في كتاب المفيد (أوائل المقالات - ص: ٩٥)، فقد ذكر أنهم يعتقدون أن الذين يرجعون إلى الدنيا ينقسمون إلى فريقين: الأول: هو من علت درجته في الإيمان، والثاني: من بلغ الغاية في الفساد. وزمن الرجوع عندهم هو عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام... ويقول الحر العاملي: إنها موضع إجماع جميع الشيعة الامامية، ويقول: إنها من ضروريات مذهب الامامية، ويقول: إننا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات، وفي يوم الجمعة.

طَعَامَكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فهذا دليل أصل الإحياء بعد الموت.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[2] .

وهذا دليل يخبرنا عن يوم فيه حشر خاص والحشر عموما يشير إلى يوم بعد الموت ولكن لما كان الحشر كما ذكر في القرآن على قسمين: الأول من كل أمة فوجا وهذا واضح بأنه ليس في يوم القيامة الذي يخبرنا عنه القرآن عندما يقول:

﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[3].

أما بالنسبة لعلماء الشيعة:

كتبت الكثير من المؤلفات في الرجعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين وقد ذكر صاحب كتاب الهجعة في البرهان على الرجعة الحر العاملي ما يزيد عن خمسا وأربعين مؤلفا في الرجعة، وخلص على حد قوله إلى أن رواة أحاديث الرجعة أجمعوا على الثبوت والصحة، فضلا عن قول الشيخ المفيد: باتفاق الإمامية على القول بالرجعة وكذلك أكدوا على أنه لا يوجد معارض لأحاديث الرجعة.

غير أنهم جميعا تداولوا أخبار الرجعة وناقشوها واستدلوا على ثبوت صحتها، على أنها عودة إلى الحياة بعد الموت بطبيعتها الجسمانية أي بالبدن المادي الكثيف وفي الحياة الدنيا التي نعيشها وفي زمن القائم من آل محمد (ع)، فاستعراضنا على العموم هو لبيان ما نقلوه في الرجعة على هذا المعنى المذكور.

قال الشيخ المفيد: (إن الله تعالى يرد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز منهم فريقا ويذل فريقا ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد (ع))[4].

---

[1] . القرآن الكريم - سورة البقرة - الآية: ٢٥٩.
[2] . القرآن الكريم - سورة النمل - الآية: ٨٣.
[3] . القرآن الكريم - سورة الكهف - الآية: ٤.
[4] . اوائل المقالات - الشيخ المفيد: ص٧٨.

الثابت الوحيد الذي فهموه من الرجعة هو الإحياء بعد الموت، بحسب الشيخ المفيد قوله "يرد قوما من الأموات إلى الدنيا" اذا كان في صدد تبيان وإثبات القدرة الإلهية على الإحياء بعد الموت فنعم، والقرآن صرح بذلك والأمثلة كثيرة في هذا المعنى[1] سواء كانت على مستوى الأفراد أو على مستوى المجموعات وبأزمنة مختلفة، أما مسألة ردهم إلى الدنيا فهذا الكلام يحتاج إلى إثبات أن المقصود بالدنيا هو نفس عالمنا الذي نعيش فيه وليس غيره، ثم أن رجوعهم في صورهم كذلك يتحتم إثباته وهذا طبعا لا يتم إلا بعد إثبات أن رجوع الافراد والجماعات الذي حصل في أزمنة متعددة ينطبق على فهم ومعنى الرجعة وهذا غير ممكن أيضا لوجود أدلة تثبت عكس ما ذهب إليه الشيخ المفيد ومن يقول بقوله.

وهناك أمر آخر هو أن إعزاز المحقين وإذلال المبطلين ليس غاية محضة أنيطت بمهمة الراجعين أو الرجعة عموما بقدر ماهي نتيجة تتمخض عن أحداث تكتنف عالم الرجعة لم يجل في خاطر الشيخ المفيد رحمه الله وآخرين نفس الفهم، إذ أن هناك غرضا آخر غاب عن مدركاتهم سنسلط الضوء عليه خلال فقرات البحث القادمة انشاء الله.

وقال الحر العاملي: (إعلم أن الرجعة هنا في الحياة بعد الموت قبل القيامة، وهو الذي يتبادر من معناها، وصرح به العلماء ..)[2].

ظاهر كلامه يتفق مع المعنى الصحيح للرجعة كونها:

١- حياة بعد موت

٢- قبل القيامة

ولكن ضمن تصوره للرجعة ترد عدة إشكالات:

١- الرجوع بعد الموت بالجسم المادي الكثيف الذي كانوا عليه قبل موتهم، وهذا يترتب عليه مشاكل عقدية كثيرة حيث يتناقض هذا الاعتقاد مع طبيعة وواقع حال الراجعين إذ لا يتوافق مع طبيعة الحياة الدنيا والنظام المادي الذي يحكمها، حيث أن المنقول من صحيح الروايات يشير إلى أعمار الراجعين التي لا يمكن بحال تمريرها وقبولها وفق معدل الأعمار التي تحددها طبيعة عالم الدنيا الذي نعيشه، وهذا ما سنثبته في قادم البحث انشاء الله تعالى كذلك.

---

[1]. قال الله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِأْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ[البقرة:٢٥٩], ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣], ﴿ أَلَيْسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾[القيامة:٤٠].

[2]. الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة - الحر العاملي: ص٦١.

٢- قبل القيامة؛ أي عند نهاية الحياة الدنيا التي نعيشها، إذ ليس هناك تصور أو فهم يستدل به على كون الرجعة عالم آخر يختلف عن عالم الدنيا بكل حيثياته؛ بل يعتبر في تصورهم امتدادا طبيعيا لعالم الدنيا دونما أي تغيير يحصل، وهذا سيتم نقضه بأدلة قرآنية وروائية أيضا.

٣- أن الرجعة بهذا تحصل عند قيام القائم (ع) وهذا الفهم يستلزم الإجابة عن تساؤلات كثيرة؛ بل ويصطدم مع ثوابت قرآنية وثوابت عقائدية يعتقد القائلون بها، منها:

أ- الاعتقاد بأن الراجعين في هذه الدنيا هم الائمة الاثني عشر (ع) بأعيانهم أو شخوصهم، وهذا يوقعهم في تناقض واضح إذا ما استعرضنا زمن رجوعهم بحسب قولهم وأنه لا يستقيم مع ادعائهم برجوعهم (ع) عند قيام القائم (ع) وهذا الفهم الخاطئ سنثبته أيضا.

ب- لدينا روايات كثيرة تشير إلى وجود مصاديق متعددة لمسمى واحد كدابة الأرض وقتل إبليس في مسجد الكوفة على يد رسول الله (ص) مع وجود روايات معتبرة عند الشيعة بأن ابليس يقتله القائم (ع) في مسجد الكوفة، وبناءه (ص) وعلي (ع) مسجدا في الثوية- الكوفة-، ولكي تنتظم هذه الأحداث بشكل صحيح وتتوافق زمانا ومكانا لابد من تقديم فهم صحيح يخرجنا من هذا التعارض.

ج- كون أول الراجعين هو الإمام الحسين (ع) وهذا لا خلاف فيه، ولكن أن يكون بعد الإمام المهدي (ع) مباشرة هذا ما يحتاج إلى الإجابة على سؤالين:

الأول: إن عمر الإمام الحسين (ع) وفق الروايات المتفق عليها في الرجعة نحو ثلاثمائة عام وكما ذكرنا في الفقرة الأولى لا يتناسب ومحدودية الأعمار في عالم الدنيا.

والثاني: أن الحسين (ع) يخرج على المهدي الذي لا عقب له ومرادهم المهدي محمد بن الحسن العسكري (ع)، وهذا يستلزم منهم إثبات أن الإمام المهدي (ع) ليس له ذرية وأن أوصياءه من ذريته ودونه خرط القتاد.

د- وصية رسول الله المقدسة ليلة وفاته تقول: إن المستحفظ من آل محمد (ص) إذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين، وهذا أيضا لا يستقيم مع فهمهم بأن أول الراجعين بعد الإمام المهدي (ع) هو الإمام الحسين (ع).

فهم يعدون الرجعة فترة زمنية تابعة لهذا العالم الجسماني الذي نحن فيه. ومما يؤكد هذا التصور هو

ملاحظة طبيعة الاستدلال المُقام على إثبات الرجعة:

أولا:

قولهم بأن الرجعة نوع من المعاد الجسماني. وطبعا بناءً على انحسار تصورهم على عودة هؤلاء الأموات عودا جسمانيا بنفس صورهم في الدنيا قبل الموت وهذا ما قصروا عليه نظرهم سواء كان كلامهم عن يوم القيامة أو الرجعة، لذا فهم يستدلون عليها بنفس الدليل على المعاد في الآخرة.

يقول السيد المرتضى في الاستدلال على الرجعة: (.. ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلا خارج عن أقوال أهل التوحيد، لأن الله تعالى قادر على إيجاد الجواهر بعد إعدامها، وإذا كان عليها قادراً جاز أن يوجدها متى شاء)[1].

وبالتالي فإن غاية ما أرادو إثباته في عالم الرجعة هو التركيز على إعادة الأموات إلى الدنيا وذلك إثباتا لقدرته تعالى، دون التفاتهم إلى الغرض الحقيقي للرجعة والعلة منه، وكان حريا بهم أن يتوقفوا عن الخوض فيها دون عكوفهم على هذا التوظيف لمعنى الرجعة والذي غيب الكثير من الحقائق التي كان يفترض أن تكون حاضرة بشكل فاعل تستثمر معرفته من خلال اكتمال الصورة الحقيقية التي تمثل انعكاسا وامتدادا لما سبقها من عوالم أشرنا إلى غاية وجودها ومعرفتها.

ثانياً:

استدلالهم عليها بإحياء بعض الأقوام أو الأفراد في الأمم السالفة إلى هذه الحياة بعد موتهم، وكمثال لها يذكرون إحياء عزير بعد موته، أو إحياء عيسى (ع) للموتى، وإحياء أصحاب الكهف، أو قوم من بني إسرائيل، وهكذا.

قال تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم وَهُم أُلُوفٌ حَذَرَ المَوتِ فَقَالَ لَهُم اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أحيَاهُم إنَّ اللهَ لذُو فَضلٍ على النَّاسِ وَلَكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَشكُرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أو كالَّذي مرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُرُوشِهَا قال أنَّى يُحيي هذهِ اللهُ بعدَ موتِها فأماتَهُ اللهُ مائةَ عامٍ ثُمَّ بعثهُ قال كم لَبِثتَ قال لَبِثتُ يوماً أو بعضَ يومٍ قال بل لَبِثتَ مائةَ عامٍ فانظُر إلى

[1] . رسائل الشريف المرتضى: ج٣ ص١٣٥.
[2] . البقرة: ٢٤٣.

طعامِكَ وشرابِكَ لم يتسنَّه وانظُر إلى حمارِكَ ولنجعَلَكَ آيةً للنَّاسِ وانظُر إلى العِظَام كيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نكسُوها لَحماً فلمّا تَبينَ لهُ قال أعلمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وإذ قُلتُم يا مُوسى لَنْ نُؤمنَ لكَ حتى نرى اللهَ جَهرَةً فأخَذَتكُم الصَّاعِقَةَ وأنتُم تنظُرُونَ* ثُمَّ بعثناكُم مِنْ بَعدِ موتِكُم لَعَلَكُم تَشكُرُونَ﴾[2]

فهذه الآيات ترد على من لم يعتقد بالرجعة من باب نفي الإحياء بعد الموت كما يتصورها الشيعة؛ لأنهم يقولون برجوع الأموات بصورهم التي كانوا عليها قبل الموت، والسبب في ذلك ظنهم أن الرجعة ستكون في عالم الدنيا الجسماني، وهذا لا يتوافق مع حقيقة الرجعة كما سيأتي بيانه لاحقا.

الشيخ المظفر: (إن الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد، ولا في عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين. إن الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشور، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته (ع)، وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح(ع) بل أبلغ هنا؛ لأنها بعد أن يصبح الأموات رميما..)[3].

فمن الذي لا يقر من أصحاب الأديان بالبعث والنشور يوم القيامة حتى يحتاج الله إلى دليل آخر مثل الرجعة ليثبت قدرته؟! وهل بقي شيء ليثبت به محمد (ص) أحقيته لتكون الرجعة معجزة للنبي (ص)، هذا التوظيف للرجعة لا يعدو كونه جهلا بأسرار الرجعة، وفي الحقيقة جهلهم بإسرار العالم التي تحصل فيه أحداث الرجعة كان أثره واضحا في مخرجاتهم، وكذلك ترك أثره على صياغة عقائد فاسدة أفرزت لنا اليوم مجتمعا يقف بالضد من مشروع الإمام المهدي (ع) وكان من المفروض أن يكون ناصرا له لو بقي على أصل الاعتقاد والسير على نهج علماء آل محمد (ع).

الشيخ الطبرسي: (وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد (ع) في أن الله تعالى سيعيد عند قيام القائم (ع) قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في الدنيا من القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته، ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة

---

[1] . البقرة : ٢٥٩ .
[2] .البقرة : ٥٥ ـ ٥٦.
[3] . عقائد الامامية - الشيخ المظفر: ص٩.

عزير وغيره، وقد صح عن النبي (ص) أنه قال: "سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه")[1].

ثالثاً:

قولهم بتزامن الرجعة مع عصر ظهور الإمام المهدي (ع)، كما قال الشيخ الطبرسي آنفا.

يقول الشيخ المفيد: (قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي (عليه السلام) وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلالات ، فمنها خروج السفياني .... وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون .... فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ، فيتوجهون نحوه لنصرته)[2].

رابعا:

استدلالهم ببعض آيات الخلافة والتمكين على هذه الأرض بعد ما كانوا مستضعفين كرجوع النبي والأئمة (ع) إلى هذه الحياة الدنيا بعد موتهم، مثل:

قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3].

قال الحر العاملي عن الآية بعد نقل إجماع الشيعة على رجعة النبي والأئمة (ع):

(.. ويظهر ذلك من ملاحظة ضمائر الجمع في الآية وفي كلام الطبرسي، ومن لفظ الاستخلاف والتمكين وزوال الخوف والعبادة، وما هو معلوم من وجوب الحمل على التقية، ولو حملناه على مجرد خروج المهدي (ع) لزم حمل الجميع على المجاز والتأويل البعيد من غير ضرورة ولا قرينة ..)[4].

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5].

---

[1] . مجمع البيان - الطبرسي: ج٧ ص٦٧.
[2] . الارشاد - الشيخ المفيد:ج٢ ص٣٦٨ - ٣٧٠.
[3] . القصص : ٥.
[4] . الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة - الحر العاملي: ص٦٧.
[5] . النور : ٥٥.

الحر العاملي: (وهذه أوضح مما قبلها، لأنها تدل على أن المن على الجماعة المذكورين وجعلهم أئمة وارثين، والتمكين لهم في الأرض وحذر أعدائهم منهم، كله بعد ما استضعفوا في الأرض، وهل يتصور لذلك مصداق إلا الرجعة)[1].

العاملي يجزم على كون الرجعة هي المصداق الوحيد لتمكين الذين آمنوا واستخلافهم في الأرض ومن ثم جعلهم أئمة فهذا مردود لعدة أسباب:

١- لم يقدم العاملي دليلا على أن المقصود بالذين آمنوا هم الأئمة الاثني عشر (ع) .
٢- أن الأئمة (ع) قضوا بين مقتول ومسموم في هذه الدنيا ولم يبقى منهم إلا الإمام المهدي (ع) الذي سيقيم دولة العدل الإلهي في الأرض.
٣- وراثة الأرض للذين استضعفوا وجعلهم أئمة يعني في هذه الدنيا ، والمقصود بهم غير الأئمة الأئمة (ع) قطعا فقد رحلوا من هذا العالم وهم أئمة، ولم تتحقق وراثتهم للأرض.
٤- جعلهم أئمة ووراثتهم الأرض ستكون في هذا العالم، اما الرجعة فهي خلق جديد ونشأة جديدة وامتحان ثالث ليس في عالم الدنيا كما توضح.

فهل أن الائمة (ع) الذين سيرجعون مع القائم (ع) حسب فهم العاملي سيرجعون وهم ليسوا بأئمة حتى يجعلهم مرة أخرى أئمة فضلا عن أن إمام الزمان هو القائم (ع) فكيف يتم التوفيق والملازمة؟!

الله سبحانه وصف المجموعة التي يريد أن يمن عليها أنها استضعفت في الأرض ويجعلهم أئمة، ولكن العاملي عندما حصر الأئمة (ع) بالاثني عشر ألزم نفسه في وقوع الرجعة بعد القائم مباشرة وأن الراجعين هم الأئمة (ع)! ولا أظن أن أحدا من علماء الشيعة وفقهائهم والعاملي أكيدا منهم يعتقد بخلاف مسألة تمكين الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري (ع) فكيف يصدق حصر التمكين في الرجعة على حد قوله آنفا ؟! هذا على فرض أن الإمام المهدي (ع) آخر الأئمة في الأرض ، فكيف إذا ثبت أن الإمامة تمتد بالمهديين الاثني عشر بعد الإمام المهدي (ع) وهذا ما يتطابق تماما مع عقيدة الشيعة في كون أن الأرض لا تخلو من حجة ؟!

ولكن ما الذي الجأهم للذهاب إلى كون التمكين في الأرض سيكون في الرجعة حصرا إذا ما افترضنا صرف معنى وحصول التمكين كذلك بالرجعة، مع العلم أن مسألة التمكين للأمام المهدي (ع) في

[1] . الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة - الحر العاملي: ص٩٣.

مرويات الشيعة متواتر لا يختلفون عليه؟ إلا أن يكون الجهل بعالم الرجعة من حيث تفاصيله جعلهم يحشرون عالم الرجعة مع يوم القائم ليتسنى لهم التوفيق بين تمكين القائم (ع) ونصرة الله للأئمة (ع) فلم يجدوا حيزا زمانيا أو مكانيا أو ظرفيا بصورة عامة يسقطون عليه عالم الرجعة إلا أن يكون مع الإمام المهدي (ع).

وهؤلاء العلماء إذ تأولوا الرجعة ورواياتها على أنها جزء من هذا العالم الجسماني، تأول بعض آخر روايات الرجعة بنحو آخر لا تكون فيه الرجعة بمعنى رجوع الأفراد وإنما بمعنى رجوع دولة الحق.

نقل السيد المرتضى قولهم، فقال: (فأما من تأول الرجعة في أصحابنا على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي، من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، فان قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة، وبيان جوازها، وأنها تنافي التكليف، عولوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة)[١].

يقول العلامة المجلسي: (.. إذ الظاهر أن زمان الرجعة ليس زمان تكليف فقط، بل هو واسطة بين الدنيا والآخرة، بالنسبة إلى جماعة دار تكليف وبالنسبة إلى جماعة دار جزاء)[٢].

إن هذا الاختلاف في فهم الرجعة ورواياتها، لخصه الشيخ المفيد بقوله: (اتفقت الامامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف)[٣].

وعلى هذا الأساس اختلفت عباراتهم في بيان الاعتقاد بالرجعة.

فبعد أن اكتفى الشيخ الصدوق– وهو من المتقدمين– بالقول: (اعتقادنا في الرجعة أنها حق)[٤].

الشيخ المظفر يقول: أن الرجعة ليست من أصول الاعتقاد:

(والرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت (ع) الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها)[٥].

أما السيد عبد الله شبر فيقول:

---

[١] . رسائل الشريف المرتضى: ج١ ص١٢٦.
[٢] . بحار الانوار - المجلسي: ج٢٥ ص١٠٩.
[٣] . اوائل المقالات - الشيخ المفيد: ص٤٦.
[٤] . الاعتقادات في دين الامامية - الشيخ الصدوق: ص٦٠.
[٥] . عقائد الامامية - الشيخ المظفر: ص١١٣.

(يجب الإيمان بأصل الرجعة إجمالا، وأن بعض المؤمنين وبعض الكفار يرجعون إلى الدنيا، وإيكال تفاصيلها إليهم(ع) والأحاديث في رجعة أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام متواترة معنى، وفي باقي الأئمة قريبة من التواتر، وكيفية رجوعهم هل هو على الترتيب أو غيره، فكل علمه إلى الله سبحانه وإلى أوليائه)[1].

ولا يختلف حال المعاصرين ممن تكلموا في موضوع الرجعة عن الأوائل كما بينا فهمهم، وبخصوص موضوع رجعة الإمام الحسين (ع) يقول محمد السند:

(ثم إن أول ما ينادى به في الصيحة السماوية قبيل الظهور هو عنوان يحمل الدعوة إلى مشروع الرجعة، حيث ينادى: هذا علي قد كر لينتقم من الظالمين، أو: الحق مع علي وشيعته، فينادى بالرجعة عدة صيحات قبل أن ينادى باسم الإمام الثاني عشر، ثم بعد ذلك ينادى باسمه عج الله تعالى فرجه الشريف)[2].

وهذا القول في الحقيقة تجني على منهج ثابت عند الشيعة كون أن الصيحة علامة من علامات الظهور المقدس، ولم يقل أحد منهم أنها دعوة إلى الرجعة أبدا، ومن ثم يقول وقبل أن ينادى باسم الإمام الثاني عشر، كل ذلك كي يتفادى فهمه الخاطئ للرجعة إضافة إلى أن تأويلاته في الصيحة كاشفة عن تشويش كبير في توجيه هذه المفردة وإنزالها ضمن حدودها ومقتضياتها، فذكر اسم علي (ع) ألبس عليه الأمر وجعله يتأول على نصوص ينبغي أن يكون بمنأى عنها كونها ليس لها علاقة بالرجعة لا من قريب ولا من بعيد، إذ جعل للصيحة شأنين:

حيث يقول أن الصيحة التي تدعو للرجعة قبل الصيحة التي تدعو للقائم (ع)، فإن كان مؤمنا بالقائم (ع) يفترض أن يسعى لاجتياز الامتحان ويتعرف عليه؛ لأنه المعني بالصيحة لأنها إحدى علامات الظهور، فذلك يكفيه مؤونة البحث أو ارتقاب صيحة تعرفه بالراجعين من آل محمد (ع) حسب زعمه، ثم هل هو مكلف بمعرفة ونصرة الإمام (ع) أم أن آل محمد (ع) أمرونا بارتقاب صيحة تعرفنا برجوع الأئمة (ع) والشيعة لا تعلم ذلك؟!

---

[1] . حق اليقين - عبد الله شبر:ج٢ ص٣٥.
[2] . الموقع الإلكتروني للشيخ محمد السند- http://m-sanad.com/ar/archives/٣٣٢

ثم يقول: (نعم، هذا صحيح، فماهية الرجعة وهويتها تختلف عن ماهية وهوية فترة ظهور القائم عج الله تعالى فرجه الشريف ، ولكن مع ذلك هناك تداخل . كما بينا . بين قيام القائم والرجعة، وبين الرجعة والقيامة؛ وليست هي أيام منفصلة ومتباينة)[1].

وسيأتي بيان عكس ما يقول قرآنيا وروائيا.

فمرة يقول الصيحة أول ما تدعو للرجعة قبل الدعوة لصاحب الأمر، ومرة يقول ماهية الرجعة وهويتها تختلف عن ماهية وهوية ظهور القائم (ع)، ثم لما عجز عن الفصل بينهما قال بالتداخل بينهما وعدم التباين.

ومن خلال المرور على الروايات التي ذكرت الرجعة وأكدت على اتفاق الإمامية بالقول بها على سبيل الإجمال بغض النظر عن مواقفهم منها سواءً على مستوى التكليف أم عدمه فهذه الجزئيات التي تكلموا عنها وأفردوا لها عناوين عديدة لم تصب الحقيقة والجميع أخفقوا في التوفيق بين أصل الرجعة وبين الكثير من الأحداث والمسميات التي ألبست عليهم الأمر؛ لأنها من العلوم والمعارف التي اختص بها أولياءه وخلفاءه والذين أوكلوا البوح بها إلى صاحبها الذي سيجيئ في زمن يحين الإفصاح عنها.

لقد ضرب الاختلاف والتخبط كل مفاصل العقيدة التي كان يفترض أن تسير وفق منهج الله الحقيقي الذي يريده الله سبحانه ليصل المشروع المعرفي إلى هدفه ومبتغاه، ولكن بسبب تصدي رجال الدين بتفسيراتهم وتأويلاتهم أدى إلى تأسيس عقائد منحرفة عطلت المشروع الإلهي وضيعت جهود الأنبياء والأوصياء (ع).

لماذا امتحان الرجعة؟

كان للامتحان الأول في الذر سببا بيناه، وكان للامتحان الثاني سببا كذلك بيناه في محله، ولابد أن يكون للامتحان الثالث في الرجعة سبب أيضا؛ لأن الله حكيم مطلق لا يصدر منه إلا الحكمة، وحكمته تجلت بأقرب خلقه محمد وآل محمد (ع) فكانوا هم الناطقين عن حكمته؛ لأنهم تجلي أسمائه والقائمين مقامه.

عبد الله بن الفضل الهاشمي قال قلت لأبي عبد الله (ع): لأي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محل؟

[1] .الموقع الالكتروني للشيخ محمد السند http://m-sanad.com/ar/archives/٣٣٢

فقال (ع): إن الله تبارك و تعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة بها وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على بعض ورفع بعضها على بعض في الدنيا ورفع بعضها فوق بعض درجات في الآخرة وكفى بعضها ببعض وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزيدهم في الشر وليدلهم بطلب المعاش والمكاسب فيعلموا بذلك أنهم بها مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من الفزع إلى ما ليس لهم بحق. ثم قال (عليه السلام): يا ابن الفضل إن الله تبارك وتعالى أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم ألا ترى أنك لا ترى فيهم إلا محبا للعلو على غيره حتى يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجمعهم يا ابن الفضل إن الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم .)[1].

السيد أحمد الحسن (ع):

(الإمام الصادق(ع) بين لماذا تكرار الامتحان في هذا العالم الجسماني أما لماذا تكرار الامتحان في عالم الرجعة على من محض الإيمان ومحض الكفر بالخصوص ؟ فلأن كلا هذين الفريقين هو فريق استثنائي، فمن محض الإيمان كان عطاؤهم عظيما وسيكون جزاؤهم أعظم، وبالتالي يكرر الامتحان عليهم ليعيدوا نفس، النتيجة لكي يعلم بقية الخلق أن هؤلاء مستحقو ن لهذا الفضل العظيم الذي فضلهم الله به على بقية الخلق.

وأما من محض الكفر فكذا أن عذابهم عظيم بحيث إن أهل النار يستجيرون من عذاب هؤلاء، ولذا كان الامتحان الثالث في الرجعة وليكرروا نفس النتيجة السلبية، ليعلم الخلق أن هؤلاء مستحقون لهذا العذاب العظيم. وهنا قد يوجه إشكال بهذه الصورة: لماذا هذه الامتحانات، ما دامت نتيجة الذر ستتكرر وكل واحد سيكرر نتيجته، أين الحكمة من هكذا امتحان نتيجته معروفة مسبقا؟!

[1] . علل الشرائع - الصدوق: ج١ ص١٥- ١٦.

والجواب: إن إعطاء الفرصة حقيقي وليس وهميا ، فالله سبحانه قد أعطى للخلق فرصة حقيقية لتغيير النتيجة إن كانت سيئة في الذر، ولكن لأن حقائقهم منكرة وخبيثة تكرر نفس النتيجة، أي أن الحكمة هي أن الله كريم رؤف رحيم، وهذه الفرصة الأخرى، هي ظهور لفضله ولكرمه ورحمته سبحانه، إضافة إلى ما بينه الإمام الصادق (عليه السلام) في أن انزال الأرواح في هذا العالم الجسماني الضيق هو ليظهر لها ضعفها من خلال ضيقه وقيوده، وإضافة إلى ما بينته من علة الرجعة، وأيضا هناك علة بينها الله سبحانه وتعالى هي أيضا متعلقة برحمته وكرمه، وهي أنه يعلم أنهم سيطلبون فرصة ثانية وبالتالي قدم لهم هذه الفرصة قبل أن يطلبوها، فمع هذا التكرار وهذا الكرم منه سبحانه تجدهم يطلبون في الآخرة أن يعاد امتحانهم ويطلبون فرصة أخرى غير الفرص التي منحت لهم سابقا)[1].

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[2].

الرجعة يوم آخر

لكي يترسخ معنى أن الرجعة امتحان آخر وهو بعد الامتحان الثاني الذي يحصل في عالم الدنيا، والذي ثبت من خلال البحث أنه يوم آخر وامتحان آخر منفصل عن الامتحان الأول؛ لأنه نظامه وطبيعته أو مرتبة وجوده مختلفة، ولم تكن الأجساد من مقوماته، فكما امتحنت النفوس التي خلقت في ذلك العالم– عالم الذر ثم نزلت واقترنت بالجسد المادي فحجبت عن ذلك العالم، وامتحنت على هذه الأرض التي هبط اليها آدم (ع) وهو عالم الدنيا وهو نشأة جديدة وخلق جديد ونظام مختلف وطبيعة مختلفة للوجود، فلابد أن نثبت أن عالم الرجعة يوم آخر أو عالم آخر يختلف عن عالمنا الذي نمتحن فيه.

قال الله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[3].

فمفردة (يوم) المذكور في الآية هو دلالة وكناية عن عالم مختلف وحدث منفصل يحصل بعد الخروج من عالمنا هذا ولا يختلف في ذلك اثنان، بدلالة الآيات التالية:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[4].

---

[1]. عقائد الاسلام - السيد أحمد الحسن: ص٢٤٤.
[2]. غافر : ١١.
[3]. النمل : ٨٣.
[4]. البقرة : ٨٥.

﴿..وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقَامَةِ..﴾[1].

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[2].

والذي يكرس هذا المعنى هو سياق الآية الحاكية عن طبيعة هذا اليوم الذي يختلف عن يوم القيامة، باعتبار أنه الحشر فيه ليس عاما "من كل أمة فوجا"، بينما الحشر في يوم القيامة لم يستثني أحدا:

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[3].

﴿الَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[5].

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6].

عن مثنى الحناط، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (ع)، قال: (أيام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة)[7].

والكرة أو الرجعة يوم بمقابل أو بإزاء يوم القيامة، فقد أفرد عنه وعن يوم القائم الذي هو في الدنيا التي هي بدورها أفردت عن عالم الذر.

ولكي نثبت أن يوم الرجعة يوم آخر وعالم آخر من عوالم الخلق سنناقش بعض الأحداث التي تجري فيه.

١- بالنسبة لعالم الدنيا فالزمان والمكان يرسمان طبيعته ومحدوديته، وطبيعة الحياة وأعمار الإنسان تختلف تماما كما روي من أخبار من آل محمد (ع) عن الحياة في الرجعة وطبيعتها فمثلا قال الإمام الصادق (ع) بعد مقتل ابليس على يد رسول الله (ص) في الرجعة.

---

[1]. البقرة : ١٧٤.
[2]. النساء : ٨٧.
[3]. الكهف: ٤٧.
[4]. المائدة: ٤٨ .
[5]. الأنعام: ١٢٨.
[6]. المائدة: ١٠٥.
[7]. معاني الأخبار - للشيخ الصدوق: ص٣٦٦.

(فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئا، ويملك أمير المؤمنين (ع) أربعا وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي (ع) الف ولد من صلبه ذكرا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله)[١].

عن أبي عبد الله (ع): أنه قال حين سأل عن اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة: (وهي كرة رسول الله (ص) فيكون ملكه في كرته خمسين ألف سنة ويملك أمير المؤمنين (ع) في كرته أربعا وأربعين ألف سنة)[٢].

فمن غير الممكن أن يملك أمير المؤمنين (ع) أربعا وأربعين الف سنة وهو يعيش في عالم تحكمه قوانين عالم الدنيا والمادة[٣] وهذا لا يحتاج إلى إثبات لثبوت الواقع فيه، اللهم إلا إذا تحدثنا عن شيء اسمه المعجزة أو خرق للقانون الطبيعي، وإذا أردنا أن نستنجد بالمعجزة لإثبات أن الرجعة تقع في عالمنا وعلى هذه الأرض بعينها فلا يوجد دليل يدعم هذا التوجيه ولم يرد في الموروث من الروايات ما يسعف القائلين به ليثبت لنا أن الرجعة متقومة بالمعجزة، وكذلك من غير الممكن أن يولد للرجل الف ولد ولنفس السبب السابق.

٢- تقول الرواية إن القائم يقتل إبليس في مسجد الكوفة وهو يوم الوقت المعلوم الذي أنظرَ الله إبليس إليه، ولدينا رواية تقول إن رسول الله (ص) يقتل إبليس كذلك، فلا تعارض لمن يظن ذلك فإبليس موجود في الامتحان الثاني ويُقتل في يوم القائم (ع)، وكذلك بما إن يوم الرجعة امتحان ثالث كما بينا، وأن في الرجعة يرجع من محض الكفر ومن محض الإيمان، فإبليس ممن محضوا الكفر فيرجع ويقتله رسول الله (ص)؛ فرسول الله (ص) يرجع ليحكم خمسين ألف سنة.

---

[١] . مختصر بصائر الدرجات - للصفار: ص٤٩.

[٢] . نفس المصدر السابق.

[٣] . فكل الدراسات التي تعنى بخصائص الخلية وعمرها تشير إلى حقيقة مفادها: أن الخلية لها عمر بيولوجي محدد وبالتالي يقدم لنا تفسيراً علمياً عن متوسط الأعمار المعروف في كوننا الحالي وهو ما تفرضه طبيعة عمل الخلية ووظائفها حيث يبدأ عمر الخلية منذ الانقسام الأول بعد تلقيح الحيوان المنوي للبويضة وحتى آخر انقسام لها وهو الحد الذي سمح به طول التيلومير [التيلومير هو منطقة من تسلسل النوكليوتيدات المتكررة في نهاية كل كروموسوم، والذي يحمي نهاية الكروموسوم من التدهور أو من الالتحام مع الكروموسومات المجاورة] عندما يكون أقصر ما يمكن حيث إن كل عملية انقسام للخلية تؤدي إلى قصر في طول التيلومير.
وبما أن الأعضاء المختلفة في الجسم كالكبد والكلى والعظام وأجهزة التنفس والهضم وباقي أجهزة الجسم الأخرى تتكون من مجموعات متنوعة من الخلايا وكل مجموعة تقوم بوظيفتها المرسومة لها وفق الخريطة الجينية, فإن محدودية عمر هذه الخلايا -الذي ينتهي بعجزها وعدم قابليتها على الانقسام وبالتالي بموتها- وهذا يعني محدودية أعمار هذه الأعضاء حتماً.
وفي جميع مراحل الحياة، حتى قرب نهايتها، يبذل الجسم أقصى ما يستطيع للبقاء حيّا. وقول آخر، إن الجسم ليس مبرمجا للموت، وإنما للحياة. ولكن تحت الضغوط الطاحنة لعملية الانتقاء الطبيعي، تنتهي الأنواع الحية إلى وضع أولويات استثماراتها في النمو والتكاثر، أي لدوام النوع، بدلا من بناء جسد يبقى للأبد. وعلى ذلك، تقود الشيخوخة عمليةُ تراكم متدرج بطول الحياة لمختلف أشكال الجزيئات المعطوبة وتلفيات الخلايا.
متاح على: التغيرات في الجسم مع الشيخوخة (Changes in the Body With Aging):
https://www.merckmanuals.com/home/older-people-s-health-issues/the-aging-body/changes-in-the-body-
https://www.noonpost.org/content/

عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1] قال وهب: جعلت فداك أي يوم هو؟ قال: (يا وهب، أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس، إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم- فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه- فذلك اليوم هو الوقت المعلوم)[2].

وفي رواية أخرى عن عبد الكريم ابن عمر والخثعمي عن أبي عبد الله (ع):

(...فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر رسول الله (ص) بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقري ناكصا على عقبيه فيقولون له أصحابه أين تريد وقد ظفرت فيقول إني أرى ما لا ترون أني أخاف الله رب العالمين ، فيلحقه النبي (ص) فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلك جميع أشياعه)[3] .

فلمقتل إبليس حسب الروايتين حالين مختلفين زمانا ومكانا وكيفية فضلا عن مصاديق الشخوص الحاضرة، فحيثيات قتله في مسجد الكوفة وموافقته لليوم المعلوم الذي هو يوم القائم (ع) تبين لنا الفارق عن حيثيات قتلة أخرى لإبليس على يد رسول الله (ص) بحربة من نور عندما يلتقي إبليس وجنده وعلي (ع) وجنده في وقعة عظيمة في منطقة الروحا على نهر الفرات[4]، وسيأتي بيان أن الأرض سيكون لها تجل آخر في عالم الرجعة حيث أن التغير في الكون سيؤول بالتالي إلى تغير الأرض فلا مانع عندما يذكر الفرات- أي أن للفرات تجل آخر- أن ينصرف معناه إلى ما قدمناه دون أن ينصرف الذهن إلى هذه الأرض الجسمانية التي نعيش عليها.

---

[1] .الأعراف : ١٥.

[2] . تفسير العياشي: ج٢ ص٢٤١.

[3] . مختصر بصائر الدرجات - بن سليمان الحلي: ص٢٧.

[4] . إن إبليس قال : أنظرني إلى يوم يبعثون ، فأبى الله ذلك عليه ، فقال : إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم ، وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلت : وإنها لكرات ؟ قال : نعم ، إنها لكرات وكرات ، ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره ، حتى يديل الله المؤمن (من) الكافر ، فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها : الروحا قريب من كوفتكم ، فيقتتلون قتالا لم يقتتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين فكأني أنظر إلى أصحاب أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم ، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات ، فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر ورسول الله بيده حربة من نور ، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصا على عقبيه ، فيقولون (كذا) له أصحابه : أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول : إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين ، فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه ، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه ، فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئا ، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعا وأربعين ألف سنة ، حتى يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكرا في كل سنة ذكرا ، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله "[مختصر بصائر الدرجات- الصفار: ص ٢٦ – ٢٧، الايقاظ من الهجعة – الحر العاملي: ص ٣٦١ ب ١٠ ح ١١٢ - بعضه ، عن مختصر بصائر الدرجات بتفاوت يسير].

٣- ذكرت الروايات أن دابة الأرض تظهر في زمن الظهور كما في الرواية التالية:

عن الإمام الصادق (ع) في كلام طويل إلى أن قال:(....ثم تظهر دابة الأرض بين الركن والمقام فتكتب في وجه المؤمن مؤمن، وفي وجه الكافر كافر، ثم يظهر السفياني ويسير بجيشه إلى العراق .... ويخرب الزوراء ويتركها حمماً ويخرب الكوفة والمدينة..... ثم يخرج إلى البيداء.... فتبتلعهم الأرض)[١].

عن الرضا (ع) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[٢]. قال (ع): علي (ع).

وهناك روايات عديدة تؤكد أن دابة الأرض هو علي (ع).

فالرواية الأولى توضح أن دابة الأرض تظهر قبل ظهور السفياني، وهذا لا يحتاج إلى مزيد من البيان لنثبت أن هذا قبل قيام القائم (ع) فالسفياني من العلامات الحتمية الخمس كما يقول الإمام الصادق (ع): (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات اليماني والسفياني والصيحة وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء)[٣] فهي إذن في عصر الظهور وعلى هذه الأرض.

فرجوع أمير المؤمنين (ع) هو في الرجعة والتي تقع بعد نهاية حكم المهديين الاثني عشر (ع) فلابد أن يكون عليا (ع) مصداقا لدابة الأرض في عالم آخر غير عالمنا هو عالم الرجعة، وأن دابة الأرض التي يتزامن خروجها قبل ظهور السفياني بحسب الرواية أعلاه فهو مصداق آخر لها وهو رجل من آل محمد ذكرته الروايات المتواترة بأنه سيقاتل السفياني وهو اليماني الموعود.

أما أن تُكذب روايات آل محمد (ع) بحجة عدم موافقتها للفهم الموروث والقواعد الموضوعة من قبل الناس أو أنها شاذة بحسب بعض التعبيرات، فهذا مستوى من الحيود عن منهج آل محمد (ع).

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

ولطالما وصفت لنا روايات آل محمد (ع) حال من يكذبون ويردون كلامهم أو يتأولونه لتمرير فهما خاطئا أو توفير غطاء لفكرة يراد تسويقها.

---

[١]. الرجعة - الإسترابادي: ص١٠٠.
[٢]. يونس : ٣٩.
[٣]. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢ ص٢٠٤.

عن أبي عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وأن أسوأهم عندي حالا وأمقتهم الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله واشمأز منه وجحده وكفر من دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا)[1].

والشواهد في هذا المعنى كثيرة، وأعتقد قد تبين أن الرجعة يوم آخر لا يخضع لنظام وجودنا في عالم الدنيا أو العالم الجسماني الذي سيكون قيام القائم تابعا له.

الرجعة ليست على هذه الأرض

مرة نقول إن الرجعة يوم آخر وعالم آخر غير عالمنا هذا كما توضح، ومرة أخرى تخبرنا الروايات عن آل محمد (ع) فتقول إن الرجعة تكون على هذه الأرض فكيف نخرج من هذا التعارض الظاهري؟ فآل محمد (ع) قالوا سيأتي أوان[1] الكلام فيه إذا حضر أهله عندما لم يحن أوان الكشف عنها في زمن الأئمة السابقين (ع) لعدم وجود قابل لهذه العلوم أو حملة له كما قال أمير المؤمنين (ع): إن هاهنا لعلم جما لو أصبت له حملة.

يقول السيد أحمد الحسن:

(أولا: الإحساس بالتحول أو التغير مسألة نسبية، فالحقيقة إننا نحس بتغير الأشياء، حولنا عندما نتعرض نحن وهي لتغيرات مختلفة سواء مكانية أم زمانية، لكن عندما نكون نحن والأشياء من حولنا متعرضين معا لحركة خارج حدود الزمان والمكان، أي بأبعاد أخرى غير هذه الأربعة التي نعرفها ونحسها، فإننا لن نحس بشكل ملموس بأي تغيير من حولنا، ولن نستطيع قياسه مهما كان كبيرا وسريعا رغم وجوده، والسبب أن هذا التغيير يشملنا نحن وهي جميعا بنفس القدر.

وليكون الأمر أقرب للفهم: لنتصور أننا نعيش في وسط متحرك بنا، فإننا لن نحس بحركة الأشياء من حولنا وسنعتبرها ساكنة طالما بقيت حركتنا وحركتها الوحيدة هي حركة الوسط بنا جميعا، كما أننا لن نحس بأي تغيير في الوسط وفي الأشياء الموجودة فيه، طالما كان هذا التغيير يشمل كل شيء في الوسط – أي حتى نحن – وبنفس النسبة.

[1] . الكافي - الكليني: ج٢ ص٢٢٣.

تصور أن طولك (m١.٧)، وهناك أداة قياس تقيس بها طولك، فلو أنك وأداة القياس تمددتما حتى تضاعف طولكما، فأنت عندما تقيس طولك بأداة القياس نفسها؛ ستجد أن طولك الجديد أيضا هو (m١.٧) ولن تعلم بزيادة طولك، في حين أن طولك الجديد الحقيقي هو(m٣.٤).

إذا فهمنا ما تقدم نستطيع أن نفهم أننا والكون الذي نعيش فيه؛ ممكن أن ندخل جميعا إلى عالم الرجعة أو السماء الأولى دون أن نحس بالتغيير الكبير الذي حصل لأجسامنا أو للأجسام التي حولنا أو حتى للكون الذي نعيش فيه، بل ويمكن أن نفهم أننا وكل الكون الذي نعيش فيه في تغير مستمر وربما كان هذا التغير كبيرا ولكننا لا نحس، هذا التغيير؛ لأنه يحصل لكل شيء بنفس النسبة.

ثانيا: نحن كنا في الذر أي في السماء الأولى، ونحن ذاهبون إلى الرجعة التي هي أيضا في السماء الأولى، أي أن هناك حركة[١] للفلك الأعظم الذي يشمل الأكوان والعوالم التي نعيش في أحدها، ويجب أن نلتفت إلى أن هذه الحركة هي خارج حدود الزمان والمكان وفي أبعاد أخرى قد لا نحسها ولكنها حقيقية وموجودة وأثر هذه الحركة كبير جدا في الأكوان وما فيها، ولا يمكن أن نعلم مدى هذا الأثر طالما أننا جزء من هذه الأكوان. فالطريقة الوحيدة التي نعلم بها بهذه التغيرات هي أن نكون نحن خارج هذه الأكوان عندها سنرى الحقيقة التي ستكون مختلفة تماما عن الواقع الذي نحسه ونحن في داخل هذه الأكوان.

ثالثا: أوصاف عالم الرجعة في روايات المعصومين لا تتناسب مع هذا العالم المادي الذي نعيش فيه، فلا مناص عن قبول أن عالم الرجعة هو عالم مغاير، وله قوانين مختلفة عن العالم المادي الذي نعيش فيه)[٢] .

عن موسى الحناط قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم (ع)، ويوم الكرة، ويوم القيامة)[٣].

عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر (ع) لنا: ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي (عليهما السلام) ألفا فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر)[٤] .

---

١ . هو انتقال تدريجي وليس حركة ولكن عبرت عنه بالحركة رغم أنها مقيدة بحدود الأبعاد الأربعة؛ لأنه توجد كلمة يفهمها الناس وتعبر عن هذا الانتقال غيرها فالألفاظ التي نتواصل بها مقيدة بالأبعاد الأربعة.

٢ . عقائد الإسلام - السيد أحمد الحسن: ص٢٤٤ - ٢٤٦.

٣ ..مختصر بصائر الدرجات - ابن سليمان الحلي: ص١٨.

٤ . مختصر بصائر الدرجات - ابن سليمان الحلي: ص٢٢.

عن عبد الكريم بن عمر والخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ... ويملك أمير المؤمنين (ع) أربعا وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي (ع) ألف ولد من صلبه ذكرا وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله)[١] .

عن أبي عبد الله (ع) أنه قال:(حين سأل عن اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة: وهي كرة رسول الله (ص)، فيكون ملكه في كرته خمسين الف سنة ويملك أمير المؤمنين(ع) في كرته أربعا وأربعين ألف سنة)[٢].

عن عبد الله بن نجيح اليماني، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): (كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون) قال: ("مرة في الكرة "وأخرى في القيامة)[٣].

عن حماد عن أبي عبد الله (ع) قال: (ما يقول الناس في هذه الآية ويوم نحشر من كل أمة فوجا؟ قلت: يقولون إنها في القيامة. قال: ليس كما يقولون إن ذلك الرجعة أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقين إنما آية القيامة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)[٤].

إذن كل المعطيات تشير أن الرجعة تحصل في عالم آخر وليس على هذه الارض بعينها.

الرجعة امتحان آخر

تبين لنا أن الرجعة يوم آخر وعالم آخر، والإغفال عنه أو إنكاره أو عدم معرفة المقطع الزمني الذي يحدث فيه سيسبب ضياع حلقة مكملة لتكامل وجودنا وغاية خلقنا ، فهل هي امتحان آخر أو امتحان ثالث بعد امتحان الذر وامتحان الدنيا؟

(الرجعة عالم آخر مختلف عن هذا العالم الجسماني، وبالتالي تفاصيله مختلفة عن هذا العالم، وبالنسبة للبنوة والأبوة والعلاقات الاجتماعية الحالية فهي من لوازم هذا العالم. وفقكم الله، الرجعة امتحان آخر لمن محضوا الإيمان ومن محضوا الكفر، ولا يكون هناك معنى للرجعة لو لم تكن امتحانا، بل لا تكون هناك حكمة فيها لولا أنها امتحان، وقد بينت سابقا علية كونها امتحانا آخر، وبالتالي فعالم الرجعة عالم آخر لابد أن يغفل الله من يدخله فيه عن حاله السابق؛ ليدخل الجميع للامتحان بعدالة ويعطوا نفس

---

[١] . نفس المصدر: ص٢٧.
[٢] . نفس المصدر: ص٤٩.
[٣] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٣ ص١٢٠.
[٤] . مختصر بصائر الدرجات - بن سليمان الحلي: ص٤١- ٤٢.

الفرصة للفوز والخسارة....هم أصلا يغفلون عن حالهم السابق وأنهم كانوا في امتحان سابق، كما أنّ الله أغفل الناس في العالم الجسماني عن حالهم السابق في الذر وامتحانهم السابق في الذر:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

انتبه إلى قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . انتبه أن الله تعالى يقول: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهذا يكون في الرجعة حيث إن الداخل في ذلك العالم سيكون غافلا عن حاله السابق وداخلا إلى عالم جديد لا يعلمه، وإذا تريدون مثالا لهذا الحال المستقبلي فهناك حدث سابق هو عالم الذر، وقد كنتم فيه وعلمتموه وامتحنكم الله فيه، ولكنكم الآن غافلون عنه تماما ولا تتذكرونه لماذا؟! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

والجواب: لأن الله أغفلكم عن التذكر لما حجبكم بالأجسام، وهذا الأمر الجميع فيه سواء؛ لأن الله عادل، ولو لم يكن الأمر كذلك للجميع وحتى لخلفاء الله في أرضه، فأيّ فضل لخلفاء الله وهم يفوزون بالامتحان ؛ لأن الله لم يغفلهم؟! نعم، يمكن أن يتذكر الانسان حاله السابق بعد أن يخوض الامتحان ويخلص ويعرف، ولكن لا يمكن أن يكون تعريفه بالحال السابق دون عمل ودون خوض الامتحان؛ لأن معنى تعريفه ابتداءً هو إلغاء امتحانه وهذا غير عادل؛ لأنه فضل ابتداءً على غيره دون عمل، ومخالف للحكمة ؛ لأنه دخل للامتحان فكيف يلغى امتحانه؟!

اعلم سددك الله لمعرفة الحق والثبات عليه دائما، إن كل عالم امتحان لابد أن يدخله الجميع متساوين في القدرة على خوض الامتحان؛ لتتحقق عدالة الله سبحانه ، فالناس مثلا كلهم مفطورون على معرفة الله، وكلهم غافلون عن حالهم السابق الذي وصلوا إليه ولا يعلمون حالهم الذي سيصلون إليه في هذا العالم، ولهذا فمن يفوز بالسباق كمحمد (ص) وآل محمد (ع) له فضل، ومن يخسر كيزيد ومعاوية وأشباههم يستحق العذاب، ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان لمحمد (ص) فضل، ولما كان يزيد (لعنه الله) يستحق العذاب ؛ لأن الامتحان- باختصار- غير عادل)[2].

---

[1] . الواقعة: ٦٠ – ٦٢.
[2] . الرجعة ثالث أيام الله الكبرى - السيد أحمد الحسن.

فالحكمة من عالم الرجعة هي كونه عالم امتحان تترتب عليه ما ترتب على وجود عالم الذر وعالم الدنيا كونها يومين مستقلين كان وجودنا فيهما لغرض الامتحان كما أن الرجعة امتحان ثالث.

ذروة المعرفة في الرجعة

بدأ المشروع المعرفي منذ بداية الخلق تجسد في الحديث القدسي "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف" الذي مر ذكره في الفصل الأول، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] واقتضى هذا المشروع أن يكون الامتحان للخلق فامتحنوا في الذر ومن ثم انزلوا إلى عالم الدنيا ليخوضوا الامتحان كفرصة ثانية منحها الله سبحانه للفاشلين في الامتحان الأول ثم أعطى الله فرصة ثالثة لامتحان ثالث، وخلال هذه المسيرة للخلق فان التمحيص والاستخلاص للخلق يجري عبر هذه المراحل حتى يصل إلى زمن يكون فيه حضور للقابل الذي يستثمر الفيض الإلهي ليرتقي معرفيا، وقد أخبرنا آل محمد (ع) أن هذا التحول يبدأ في زمن القائم (ع) حتى يصل إلى أوجه في يوم الكرة أو الرجعة وهي من أيام الله الثلاثة كما أخبرونا آل محمد (ع) وتتحقق المعرفة العالية التي هي غاية الخلق.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

(أي أن الحمد الحقيقي لله سبحانه وتعالى، وهو الثناء عليه بشكل أكمل وأتم بحسب المعرفة بمرتبة عالية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، أي ليعرفون، وهذه المعرفة العالية والتي تمثل الغرض من الخلق تتحقق في الأولى وهي السماء الأولى (سماء الرجعة)، وقبلها هي (سماء الذر)، وبدايتها أي (بداية الأولى) في ظهور الإمام المهدي (ع) ، حيث تبدأ مرحلة الأولى ومقدمات تمهيد لعالم الرجعة. ﴿وله الحكم﴾: أي الحاكمية لله بحكم الإمام المهدي (ع)، والمهديين (ع) ثم الرجعة، والحكم للأنبياء والمرسلين والأئمة والأوصياء. ﴿وإليه ترجعون﴾: إلى الله سبحانه وتعالى في الرجعة، أي ليجازي الصالحين بصلاحهم، والظالمين بظلمهم في الرجعة (من محض الإيمان محضا ومن محض الكفر محضا) كما ورد عنهم (ع)، فيكال لكل ظالم كيله، ويكال لكل صالح كيله، فينتقم الله للأنبياء والمرسلين والأئمة من الظالمين الذين محضوا الكفر محضا.

---

[1] . الذاريات : ٥٦.
[2] .القصص : ٧٠.
[3] . الذاريات : ٥٦.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] ، ولنذيقنهم من العذاب الأدنى (في الرجعة). أما الآخرة فالحمد فيها أكمل وأتم وأعظم ؛ لأنها كشف تام للحقائق وكل بحسبه ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] ، أي رفع (الأنا) من الصدور، وكلٌ بحسبه يغترف من رحمة الله بحسب وعائه، ويكال له بمكياله الذي صنعه بأعماله الصالحة)[4].

فعندما عرفنا أن في الرجعة تكتمل الغاية من الخلق والتي بدأت في السماء الأولى وعالم الذر ثم النزول للعالم الجسماني أو عالم الملك ثم يختمه المهدي الثاني عشر ليعود مرة أخرى من محض الإيمان ومن محض الكفر إلى السماء الأولى وفيه عالم الرجعة، وهذه عوالم الظلمات الثلاث.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[5]. فبين في جوابه قوسي الصعود والنزول في حركة الإنسان من مبدئه إلى منتهاه.

(هي: ظلمة الذر، وظلمة الدنيا، وظلمة الرجعة، وهي عوالم قوس النزول. وعوالم قوس الصعود هي الأنوار الثلاثة وهي: (قبل الفناء، والفناء، والعودة بعد الفناء). وهي مراتب محمد (ص) الثلاثة قبل فتح الحجاب، وبعد فتح الحجاب، وبعد عودة الحجاب. فهو يخفق بين الفناء في الذات الإلهية فلا يبقى إلا الله الواحد القهار، وبين عودته إلى الأنا والشخصية. وهذه المراتب الستة في قوس الصعود والنزول تمثل كل الوجود، وتجلي النور في الظلمة وظهور الموجودات بالنور في الظلمات، وهي (واو النزول و واو الصعود) تشير إلى الستة أيام والست مراتب.

(ر) واو النزول.

(و) واو الصعود.

---

[1] . السجدة : ٢١.
[2] . ق : ٢٢.
[3] . الأعراف :٤٣.
[4] . المتشابهات - السيد أحمد الحسن: ج٤, الرجعة ثالث أيام الله الكبرى - السيد أحمد الحسن.
[5] . الزمر : ٦.

والدائرة في رأس الواو تدل على الحيرة في قوس الصعود وهي الحيرة في النور؛ لعدم إدراك ومعرفة النور التام الذي لا ظلمة فيه ، وهو الله سبحانه وتعالى معرفة تامة وكاملة، فتكون مراتب قوس الصعود هي: قبل الفتح ، وبعد الفتح والفناء، والثالثة هي العودة إلى الأنا والشخصية بعد الفناء. أما الحيرة في الظلمة؛ لأنها في أدنى مراتبها لا تدرك ولا يحصل منها شيء، بل هي ظلمة وعدم ليس لها حظ من الوجود إلا قابليتها للوجود، وهذه هي حقيقة المادة ظلمة وعدم لا يحصل منها شيء، ولا يعرف منها شيء، لولا تجلي الصورة الملكوتية فيها وإظهارها لها. فتكون مراتب قوس النزول هي: عالم الذر، ثم النزول إلى ظلمة المادة، ثم الصعود في قيامة القائم حتى الوصول إلى الرجعة ، وهي المرتبة الثالثة، ويقول السيد أحمد الحسن (ع) بتداخل قوس الصعود وقوس النزول واجتماعهما يتحصَّل كل الوجود من بدايته إلى نهايته، وهو محمد (ص))[1].

وقال السيد أحمد الحسن تأكيدا على توضيح له سابق في البحث أن نتيجة امتحان كل ممتحن هي ما حصل عليه في عالم الذر؛ لأنه تكرر نفس التقصير في الامتحان الآخر، أما في الرجعة فيقول: سيكون لمن محض الإيمان محضا ولمن محض الكفر محضا، ليبين الله فضل الراجعين من الأئمة والأنبياء والمرسلين واتباعهم الذين فازوا بالامتحان ونالوا أعلى الدرجات وأنهم تشرفوا بتلك المقامات لما جدوا واجتهدوا في طلب العلم الحقيقي والمعرفة التي بسبب تسليمهم أوصلتهم لما وصلوا إليه، وعرفنا من خلال مسيرة البحث أن غاية ما يصل إليه الإنسان هو المعرفة في أقصى ما يمكن وهي التي ستكون سبب سعادته.

[1] . الرجعة ثالث أيام الله الكبرى- السيد أحمد الحسن.

الرجعة يوم من أيام الله

روايات آل محمد (ع) التي تذكر أيام الله (وذكرهم بأيام الله):

عن مثنى الحناط عن جعفر بن محمد، عن أبيه (ع)، قال: (أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة)[١].

فكيف قُرأت هذه الرواية؟ والحال أن أغلب رجال الدين والمفسرين جعلوا يوم القائم ويوم الرجعة واحدا! والرواية واضحة بأن أيام الله ثلاثة، في الحقيقة أمر يثير الاستغراب عندما نجد التعامل مع مفردات بهذا الوضوح ويأتي بعضهم ويدخلها دائرة الغموض، ولا يبالي ما سيترتب على هذا الخلط والتشويه للحقائق المثبتة عن طريق أهل الحق والصدق وهم آل محمد (ع).

يقول الشيخ الصدوق: (وقد نقل مخالفونا أنه إذا خرج المهدي (ع) نزل عيسى بن مريم فصلى خلفه، ونزوله ورجوعه إلى الدنيا بعد موته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٢])[٣].

فهل الرفع يعني الموت عند الشيخ الصدوق وعند غيره من العلماء وأولهم صاحب كتاب إيقاظ الهجعة الذي ناقش أقواله والذي لم يلتفت إلى أن عيسى (ع) رفع ولم يمت.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤] فلا أقل من أن أحد أوجه التوفي هو النوم وبالتالي فالنائم تتوفى نفسه ثم يعود بعد استيقاظه فلا يقال عنه كان ميتا، فكيف فهم الشيخ الصدوق إلى أن عيسى (عليه السلام) يرجع إلى الدنيا بعد موته ويستدل بآية (إني متوفيك)؟!

الأمثلة كثيرة جدا على المتأولين لكتاب الله دون رجوعهم لآل محمد (ع) وهذا شاهد آخر على الابتعاد عن حقيقة الاعتقاد بوجود إمام من آل محمد (ع) وأن الأرض لا تخلو من الحجة وهذا الأمر ينسحب على موضوع أخطر منه وهو الاسهام بشكل أو بآخر في مشروع الإقصاء لخلفاء الله وأخذ دورهم الحقيقي في قيادة الأمة؛ لأنهم العلماء ولأنهم القوام على كتاب الله، ولكن في الحقيقة أقصي دور الأمام واغتصب حقه بالعمل بمناهج التفسير والتأويل، فغُيب الإمام المهدي (ع)، وهذه النتائج المريرة تحصدها الأجيال

---

[١]. معاني الاخبار - الصدوق: ص٣٦٦.
[٢]. آل عمران : ٥٥.
[٣]. بحار الأنوار - العلامة المجلسي:ج٥٣ ص١٣٠.
[٤]. الزمر : ٤٢.

لتخرجهم من تيه وتدخلهم في آخر، دوامة من التخبط أودت بالطائفة التي تؤمن بالإمام المهدي (ع) إلى نتيجة مخيفة، وهي عدم قدرتهم لتقديم أو عرض منهج محدد يعرّف بخليفة الله، فكان الامتحان عسير بعد ضياع المنهج وتضييعه من قبل المدعين بالنيابة عن الإمام المهدي (ع)؛ لأن التأسيس كان لمنهج مغاير لمنهج حجة الله، في حال جاء صاحب الأمر (ع) حتى هرعوا لجمع المتفرقات من ابتداعات الماضين لمواصفات المعصوم فجعلوها ميزانا ومعيارا يعرف به، وتشبثهم بهذه الميزات والصفات الواجب توافرها بالمعصوم بحسب ما قدموه لأتباعهم ما هي إلا أهواء تبتدع والتي دفعت بالقوم للوقوف بوجه المشروع المهدوي معتمدة على ما خلفته مناهج المتصدين للتشريع والتأويل الذي أصبح وبالا على آل محمد (ع) وأحدث شرخا كبيرا في بنية العقيدة المحمدية واشتط بها بعيدا ليجد الرجل الإلهي الموعود من آل محمد (ع) ركام هائل من التحريفات والتشوهات والتصدعات التي أصابت العقيدة الحقة.

فالاضطلاع بمسؤولية التعريف بعالم الرجعة ومعرفة خباياه وخفاياه التي لم يصرح بتفاصيلها الأئمة الأطهار (ع)؛ بل سكتوا عنها، لعلة عدم حضور أهل هذا العلم ومجيء أوانه، ولقيمة العلاقة المهمة والخطيرة بين معرفة حجة الله في آخر الزمان ومعرفة عقيدة الرجعة كونها يوما آخرا من أيام الله – وهي مهمة يضطلع بها حجة الله في هذا الزمان– ربما نكرر الحديث بصدده، فعندما يأتي رجل ويثبت إمامته وحجيته يفترض أن نعرف حقيقتين:

الأولى

إن ما يقوله المعصوم يفترض أن يكون مسلما به من أهل ولايته إن كانوا فعلا متمسكين بهذا الثابت العقائدي– وأقصد التسليم لحجة الله – أي بهذا المعنى.

عن أبي عبدالله (ع)، قال: (أمر الناس بمعرفتنا، والرد إلينا، والتسليم لنا، ثم قال: وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا، كانوا بذلك مشركين)[1].

والإرث التاريخي كبير وزاخر خصوصا بالذين يتمسكون بولاية الائمة (ع) فيفترض أنهم على الأقل من خلال قراءتهم لهذا التاريخ يكونون بالنتيجة قد خاضوا التجربة ووقفوا على مواطن الخلل التي تعرض لها ممن عاصروا الأئمة (ع)؛ لأنه يفترض أنهم يعلمون أن ما يقوله المعصوم من الله.

[1]. وسائل الشيعة - الحر العاملي:ج٢٧ ص٦٦.

عن النبي (ص): (من رد حديثا بلغه عني فأنا مخاصمه يوم القيامة، فإذا بلغكم عني حديث لم تعرفوه فقولوا: الله أعلم)[1].

وعن أبي عبد الله (ع) قال: (ما على أحدكم إذا بلغه عنا حديث لم يعط معرفته أن يقول القول قولهم فيكون قد آمن بسرنا وعلانيتنا)[2].

الثانية

عندما نقرأ ونرى الصورة المشرقة والواضحة التي تجلت مع بيان صاحب النص الإلهي الذي بدد المفاهيم المغلوطة لروايات آل محمد (ع) والتي اتهمت بالتناقض فعمل على رأب الصدع الذي أصاب هيكل المنظومة المعرفية لكل الأديان السماوية وبالخصوص الشيعية منها وموضوع الرجعة بالذات، والذي كان عدم فهمهم وعدم اطلاعهم على أسرارها سببا في رفضهم لوصية أملاها رسول الله (ص) وكتبها علي (ع) والتي تضمنتها أمهات الكتب الشيعية، ونقارن كيف قرأ علماء الشيعة هذا الحدث وأقصد الرجعة من خلال قراءة العلماء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين فسنشاهد صورة مشوشة لا تنسجم مع الحقائق القرآنية والروايات الكثيرة من آل محمد (ع) التي ظنوا أن الكثير منها مكذوب وضعيف ومدسوس الذي طرح الكثير من روايات آل محمد (ع) الحقة فكانت النتيجة أن الصورة غير مكتملة ، ولم يبق ما يكملها سوى عجزهم فذهبوا إلى رفض ثوابت عقائدية كالوصية المقدسة أو توظيفها بشكل خاطئ.

فعندما نقرأ التاريخ نعمل على استقصاء التجربة البشرية ومن خلال تعاقب الأمم ونرى كيف كان التلازم بين مسيرة الأمم وبين وجود خليفة أو مرسل من الله بينهم، وقد تعاضدت الأخبار الواردة من مصادر الديانات السماوية وناقليها حول وجود رجال إلهيين دعوا أقوامهم إلى عبادة الله كونهم مرسلون من الله منصوص عليهم منه سبحانه وهذا فعل الحكيم الذي يرسل أمانة ويريد أن تصل لأهلها فهو أولا يختار أمينا عليها، ثم لابد أن يعرّف به بشكل ضامن لعدم الاشتباه به وبقانون ثابت لا يقبل الانطباق على غيره أبدا.

الذي أريد أن أقوله لا نحتاج الكثير من المجادلات والمساجلات في الخلاف على قضية لكي نخرج منها بنتيجة ما، ويكون أحد طرفي القضية هو الله ؛ أي أن تكون الحجية والدليل والبرهان من الله ،

---

[1]. بحار الأنوار - المجلسي:ج٢ ص٢١٢.
[2]. مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي: ص٧٦.

بالتالي نستطيع أن نضع إشكالات تمتلك شيء من الواقعية والاعتبار، وهذا الخطاب لمن يؤمن حقا أن مدبر ومدير هذا المشروع السماوي هو الله عز وجل، وعليه عندما يأتي رجل ويحمل معه هذا النص الإلهي ومن ثم يعضد قوة هذا النص وحجيته بإظهار علمه الذي يؤكد اتصاله بالسماء فيأتي بعلم تحتاجه الناس ولا يحتاج هو إلى أحد، ومن جهة تظهر فاعلية هذا العلم وحضوره في الساحة بشكل قاهر لا يمكن رده وإحداث ثلمة فيه أبدا، وما أفرزته مسيرة خلفاء الله في أرضه هو الحقيقة التي لا يريد أهل الباطل الاتعاظ بها، وهي عدم نجاح خط الباطل في تقويض هذه الدعامة التي رافقت كل الأنبياء والمرسلين والأوصياء(ع)، فهل ذكرت لنا كتب السماء أو حدثنا التاريخ أن أحدا استطاع أن يفند حجية خليفة من خلفاء الله بطريق علمي يمكن النظر فيه والأخذ به أو حتى تقييمه كونه دليلا ناقضا؟ أبدا لم يحصل ذلك وعلى العكس ثبت وبدون أي لبس لمن يقبل بالمنهج العلمي أنها مجرد إشكالات وظيفتها تحجيم حركة خليفة الله وتقويض مشروعه.

أما المعترضون على خط التنصيب الإلهي ولماذا مازالوا يتمسكون بمشروعهم المناهض لخلفاء الله بعد الرسول محمد (ص) بالنسبة للسنة بدعوى أن الدين قد اكتمل برسول الله (ص)، وبعد الامام المهدي (ع) بالنسبة للشيعة[1] وبالرغم من هشاشة الإشكالات؛ لأنها لم ترق إلى مستوى الدليل؛ فلأنهم يجهلون القانون المعرف بخلفاء الله (ع) وقد ذكرناه وقلنا هو النص والعلم وحاكمية الله.

الفهم الخاطئ للرجعة ونتائجه

إن تعاطي علماء الشيعة بصورة عامة مع موضوع الرجعة وسبب الفهم الخاطئ للرجعة وأين تكون ومتى جعلهم ينعتون بعض الروايات الواردة عن آل محمد (ع) بالتناقض، ثم عدم رجوعهم للأصل الذي يفترض أن يكونوا به مؤمنين كما هو قول الإمام الرضا (ع): (إن في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن، ومحكما كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا)[2]. والمتشابه لا يحكمه إلا المعصوم.

---

[1] .اقول بعد الرسول محمد (ص) بالنسبة للسنة وبعد الإمام المهدي بالنسبة للشيعة ، ففيه شيء من التنازل عن البحث في آمر طالما سكتت عنه الاقلام وهو أن الاعتراض والنقض كان بالأصل على رسول الله(ص) فهم لم يقبلوا به رسولا من الله أصلا والدلائل كثيرة ومواقف قريش اكثر من تحصى لسنا بصدد إحصائها ومن ثم بعد الفتح الذي اصبح أمرا واقعا ،وقد ذكرت في احد فصول هذا المبحث حادثة العقبة ومحاولة اغتيال الرسول (ص)، أما بالنسبة للشيعة الذين يعترضون على رسول ووصي الإمام المهدي (ع) فهم يتصورون أنهم مازالوا يحتفظون بهوية الانتماء إلى مشروع الإمام المهدي (ع) وأن مشروعهم بريء من الوقوف بوجه الإمام المهدي (ع) فهم بمواجهته صلوات الله عليه تماما.

[2] .بحار الأنوار - المجلسي:ج٢ ص١٨٥ عن عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦١ .

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2].

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3].

فالقرآن لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) يقول:

(أن القرآن محكم ومتشابه، فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، هو قول الله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا والراسخون في العلم هم آل محمد)[4].

ذلك؛ لأنهم عدل القرآن والثقل الثاني والسبب المتصل بين الأرض والسماء.

فالمتشابه من روايات آل محمد (ع) فهم أولى بإحكامه، وأما ما هو واضح يتفق مع ظاهر القران لا يمكن توظيفه إلى غير ما ينصرف إلى معناه.

الذي أريد أن أقوله هو أن السر في وجود المتشابه سواءً في القرآن أو في روايات آل محمد (ع)، هو إلجاء الناس إلى صاحب العلم الإلهي وحاجتهم إليه لكي يكون الدين كله لله، وقد ذكرنا في بحثنا أن واحدة من أسباب امتحان الخلق هو وجود نزعة الادعاء، وهذا الذي حصل فالمدعين اثبتوا ذلك، مع أنهم لم يقدموا علما يقينيا، وإنما كل ما قدموه ظنا.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[5].

﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[6].

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[1].

---

[1]. هود : ١.
[2]. يس : ١٢.
[3]. هود : ٦.
[4]. تفسير العياشي: ج١ ص١٦٣.
[5]. الإنعام : ١١٦.
[6]. النجم : ٢٨.

فالله سبحانه جعل طريق الهدى بملازمة خلفاءه الذين أتمنهم على رسالته واعطاهم مفاتيح الحق والنجاة، وما دون ذلك فما هي إلا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان اعتدت على شجرة آل محمد (ع) فنصبوا أنفسهم قواما على الدين بدلا من أولياء الله المصطفين، وفسروا روايات آل محمد (ع) وجعلوا أفهامهم القاصرة حاكما عليها فكذّبوا قسما وضعّفوا قسما وأوّلوا ما يتفق مع أهوائهم بحجة التعارض.

فالرجعة ومفهوم الرجعة وما تعني صارت مسرحا للتقولات والتأويلات، وأصبح كل من هب ودب يطرح مفهومه ويسقطه على الواقع فتاهت بهم السبل وأدت إلى نتائج خطيرة صار ضحيتها الناس الذين وللأسف أغلبهم اختاروا أن يكونوا أتباع يسمعون فيصدقون.

ولأهمية هذا الموضوع لابد من إزاحة هذا الضباب الكثيف على القلوب والعقول والذي سبب انعدام الرؤيا القلبية "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" وإزاحته فقط بتسليط النور المحمدي الأصيل عليها وليس الأوهام والبدع، فالنور كلامهم وقولهم وتقريرهم (ع)، وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام علي الهادي (ع):

(كلاكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى ، وفعلكم الخير...)[٢].

الأئمة والمهديين في منظار الرجعة

- **الأئمة اثنا عشر**

عن عبد الله بن عمير عن جابر بن سمرة (رضي الله عنه)، قال كنت مع أبي عند رسول الله (صلى الله عليه واله) فسمعته يقول: بعدي اثنا عشر خليفة ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم)[٣].

عمير عن جابر بن سمرة، قال سمعت النبي (ص) يقول: لايزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا، ثم تكلم النبي بكلمة خفيت علي ، فسألت أبي ماذا قال رسول الله (ص)؟ فقال: كلهم من قريش)[٤].

---

[١] . النجم : ٢٣.
[٢] . عيون أخبار الرضا - الصدوق:ج١ ص٣٠٥، من لا يحضره الفقيه - ابن بابويه القمي: ج٢ ص٦٠٩.
[٣] . ينابيع المودة - القندوزي: ج٢ ص٣١٥.
[٤] . صحيح مسلم: ج٦ ص٣.

عن عبد الملك بن عمير، قال: سمعت جابر بن سمرة السوائي يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال هذا الأمر ماضيا حتى يقوم اثنا عشر أميرا، ثم تكلم بكلمة خفيت علي، فسألت أبي ما قال؟ قال كلهم من قريش)[1].

قال الإمام الباقر (ع): (منا اثنا عشر محدثا)[2].

عن الإمام الحسين (ع): (منا اثنا عشر مهديا أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق)[3].

عن أبي جعفر(ع)، قال: قال رسول الله (ص) من ولدي اثنا عشر نقيبا نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق يملأها عدلا كما ملئت جورا)[4].

قال النبي (ص): (يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا)[5].

من خلال الروايات الانفة الذكر يتبين أن الائمة اثنا عشر سواءً كانت بالمفهوم السني أو الشيعي مع تنوع التسميات والالفاظ فالدلالة واحدة هم اثنا عشر إماما.

- **الائمة ثلاثة عشر**

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: (دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم (ع)، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي)[6].

أقول: لا يخفى على عاقل أو منصف أن فاطمة (ع) عددت الاثني عشر وصيا من ولدها ومن المسلم به فأن عليا (ع) ليس من ولدها، فإذا عد عليا (ع) معهم أصبحوا ثلاثة عشر، فلا محيص من القبول به إماما بعد الإمام المهدي (عليه السلام) أولا، ثم أن تكليفنا يقتضي أن نجهد أنفسنا لنعرف من هو الوصي الثالث عشر إذا كنا نعتقد بلزوم معرفة الإمام من آل محمد (ع) من جهة ولاعتقاد الشيعة بالخصوص بأن الأرض لا تخلو من حجة من جهة أخرى فما هو تكليفنا أنشكر أم نكفر؟

---

[1] . مسند أحمد: ج٥ ص٩٧وص١١٠.
[2] . الإمامة والتبصرة - ابن بابويه القمي: ص٢.
[3] . نفس المصدر.
[4] . الكافي - الكليني: ج١ ص٥٣٤.
[5] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٣ ص١٤٨.
[6] . الكافي- الشيخ الكليني: ج١ ص٥٣٢ - ٥٣١.

عن أبي جعفر (ع)، قال: قال رسول الله (ص): (إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض- يعني: أوتادها وجبالها- بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا)[1].

في هذه الرواية المتحدث رسول الله (ص) فالاثني عشر من ولد رسول الله (ص) يستثنى منهم عليا (ع) فلا يعد من أولاد رسول الله (ص) وكذلك أفرد ذكره (ع) عن الاثني عشر، فإذا لم يعد عليا (ع) سيكون اثنا عشر إماما الحادي عشر منهم هو محمد بن الحسن (ع) فمن الثاني عشر منهم والثالث عشر إذا عد عليا معه؟

عن أبي جعفر (ع)، قال: قال رسول الله (ص): (من ولدي اثنا عشر نقيبا، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق، يملأها عدلا كما ملئت جورا)[2].

دليلا آخر يعضد سابقاته فالاثني عشر نقيب من ولد رسول (ص) يعني أن عليا (ع) ليس منهم، فإذا عد عليا (ع) أصبحوا ثلاثة عشر.

عن الحسن المجتبى (ع): (والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله (ص) أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماما من ولد علي وفاطمة (ع)، ما منا إلا مسموم أو مقتول)[3] .

عن علي بن الحسن بن رباط، عن ابن أذينة، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (الاثنا عشر الإمام من آل محمد (ع) كلهم محدث من رسول الله (ص) ومن ولد علي، ورسول الله وعلي (عليهما السلام) هما الوالدان)[4].

- **المهديين الأحد عشر**

عن أبي حمزة عن أبي عبد الله (ع) في حديث طويل أنه قال: (يا أبا حمزة إن منا بعد القائم أحد عشر مهديا)[5].

- **المهديين الاثني عشر**

---

[1] . نفس المصدر.
[2] . الكافي - الكليني: ج١ ص٥٣٤.
[3] . معجم أحاديث الإمام المهدي(ع) - الكوراني: ج٣ ص١٧٢– ١٧٣.
[4] . الكافي - الكليني: ج١ ص٥٣١.
[5] . الغيبة - الطوسي : ص٤٧٨.

عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام): يا ابن رسول الله (ص) سمعت من أبيك (ع) أنه قال: يكون بعد القائم اثنى عشر مهديا فقال: إنما قال: اثنى عشر مهديا ولم يقل اثنا عشر إماما، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا، ومعرفة حقنا)[1].

وهنا الإمام الصادق (ع) في معرض بيانه لقول أبيه (ع) في التأكيد على المهديين (ع) وليس في معرض نفي الإمامة عنهم، فالموارد كثيرة التي تثبت إمامة المهديين (ع).

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين (ع) ، قال: (قال رسول الله (ص) . في الليلة التي كانت فيها وفاته . لعلي (ع): يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة. فأملا رسول الله (ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً.... فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه م ح م د المستحفظ من آل محمد (ص). فذلك اثنا عشر إماماً ، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا ، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين (وفي مصادر أول المهديين)، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين)[2].

من خلال ما تقدم تبين لدينا أن الروايات ذكرت اثنا عشر إماما واثنا عشر مهديا وكذلك ذكرت اثنا عشر مهديا وأحد عشر مهديا، فتوهم البعض بوجود التعارض في الروايات، والحقيقة أنها ليست متعارضة حتى عند الرجوع إلى قواعدهم، فلم يكن هناك حصر في كون الأئمة اثنا عشر فقط لا غير لعدم ورود أدوات الحصر أصلا.

أما الاثنا عشر إماما فهم الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله (ص) المنصوص عليهم في وصيته المقدسة، ولما يكون عدد الأئمة ثلاثة عشر فهذا يعني هم الأئمة الاثني عشر مضافا إليهم المهدي الأول من العدة الثانية من أوصياء رسول الله (ص) المذكورين في وصيته المقدسة ليلة وفاته كونه وصي من أوصياء محمد وهو وصي الإمام المهدي (ع) ، وهذا يطابق تماما عقيدة آل محمد (ع) والتي يتفق عليها علماء الشيعة وفقهائها في أن الأرض لا تخلو من الحجة طرفة عين ،فبعد رحيل الإمام المهدي (ع) من هذا العالم سيخلفه المهديون الاثني عشر من ولده وهؤلاء لهم مقام الإمامة أيضا، أما عندما يرد ذكر أن

[1] . .بحار الأنوار - المجلسي:ج٢ ص٢٧، مختصر بصائر الدرجات - بن سليمان الحلي: ص٢١١.
[2] . الغيبة - الطوسي: ص١٥٠، بحار الأنوار - المجلسي:ج٥٣ ص١٤٥.

منا بعد القائم أحد عشر مهديا من ولد الحسين(ع) فلأن القائم هنا هو ليس الإمام المهدي (ع) ؛ بل هو أول المهديين وهو أول العدة الثانية بعد الأئمة الاثني عشر.

تبين من خلال استعراض عدد الأئمة والمهديين (ع) والعلاقة بين العدة الأولى من الأئمة (ع)والعدة الثانية من المهديين (ع) وورود العدد ثلاث عشر من الأئمة أو أحد عشر من المهديين بعد القائم أن هناك سرا يكتنف عدد الأئمة وعدد المهديين ومقاماتهم كان محجوبا عن أذهان وعقول الفقهاء والمفسرين فاعتراهم الخلط والاشتباه وكان سببا في الفهم الخاطئ لحقيقة الرجعة وزمن حصولها وطبيعتها وعلاقة ذلك بقيام القائم (ع) وعلاقته بالرجعة ، وهذا ما دفعني لتضمين هذا الموضوع في فصل الرجعة .

أما رجوع الأئمة الاثني عشر (ع) فيكون في عالم آخر وليس في زمن الإمام المهدي (ع) لأنه في مقطع زمني مختلف وهو في عالم الدنيا ؛ ولأنه من الثابت لدى الشيعة وبحسب إخبار أهل البيت (ع) أن الذين يرجعون في عالم الرجعة هم من ماتوا في عالم الدينا ثم يرجعون في امتحان ثالث ويوم آخر وعالم آخر وهو عالم الرجعة الذي يبدأ بعد نهاية حكم المهديين الاثني عشر في عالم الدنيا.

فلعدم فهم حقيقة ذكر المهديين أدى إلى طرح هذه الروايات وكان الأولى الجمع بين الروايات على وفق منهج (الجمع أولى من الطرح)[1] فإثبات الشيء لا ينفي ما عداه والأمثلة كثيرة بهذا الصدد.

عن صالح بن ميثم عن أبيه قال: بينما أنا في السوق وإذ أتاني أصبغ بن نباته فقال ويحك يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حديثا صعبا شديدا فأينا يكون كذلك؟ قلت وما هو قال سمعته يقول: إن حديثنا أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان فقمت من فورتي فأتيت عليا (ع) فقلت يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به الأصبغ عنك قد ضقت به ذرعاً قال وما هو؟ فأخبرته قال فتبسم ثم قال أجلس يا ميثم أو كل علم يحتمله عالم؟ إن الله تعالى قال: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعلَمُ مَا لا تَعلَمُونَ﴾[2])[3].

في هذه الرواية يؤكد أمير المؤمنين (ع) أن ليس كل ما يرووه يحتمله عالم! فكيف الحال أن يحتمله من يدعي العلم؟!

---

[1] . منتهى المطلب - للعلامة الحلي: ج١ ص٤٥.
[2] .البقرة : ٣٠.
[3] . بحار الأنوار - المجلسي:ج٢ ص٢١٠.

دولة العدل الإلهي والمهديين

كما أن دولة الباطل امتدت منذ آدم (ع) وهي مستمرة لحين قيام دولة الله، حيث خذلت الأمم أنبيائها ورسلها وأئمتها ولم تمكنهم من الحكم وإقامة دولة العدل الإلهي فإن هذه الدولة المباركة يقيمها الإمام المهدي (ع) لتمتد وتستمر في حكم المهديين الاثني عشر من ولده.

القاضي النعمان المغربي: عن النبي (ص) أنه ذكر المهدي (ع) وما يجريه الله عز وجل من الخيرات والفتح على يديه، فقيل له: يا رسول الله كل هذا يجمعه الله له؟ قال: نعم، وما لم يكن منه في حياته وأيامه هو كائن في أيام الأئمة من بعده من ذريته)[1].

يؤكد رسول الله (ص) على أمرين:

١- أن دولة الإمام المهدي ممتدة بعده حتى ينجز الله وعده بإقامة العدل وبسطه في الأرض.
٢- أن هذا المشروع العظيم يقيمه أئمة من ولد الإمام المهدي (ع) وهذا يهدم ما قدمه علماء الشيعة بأن هذا يتم برجعة الأئمة الاثنا عشر (ع) في الرجعة حسب تصورهم لها زمانا ومكانا.

فعن القاضي المغربي أيضا ومن رواية يحيى بن السلام، يرفعه إلى عبد الله بن عمر، أنه قال: (ابشروا فيوشك أيام الجبارين أن تنقطع، ثم يكون بعدهم الجابر الذي يجبر الله به أمة محمد (ص)، المهدي، ثم المنصور، ثم عدد أئمة مهديين)[2].

يؤكد رسول الله (ص) ما سطره في وصيته المقدسة ليلة وفاته – والتي أنكرها بعض علماء الشيعة وحرف بعض منهم مقاصدها واتهم آخرون متنها بالاضطراب قبل أن يتهموا اضطراب عقولهم القاصرة عندما قالوا: أن المهديين المذكورين فبها هم ذات الأئمة الاثني عشر (ع)- فقوله (ص): ثم عدد أئمة مهديين ينسجم ويطابق قوله(ص) في وصيته المقدسة: ثم يكون من بعدهم اثنا عشر مهديا، والتي وصفتهم الرواية السابقة بالأئمة، و (ثم) دالة على البعدية كما أشرت اليها سابقا.

[1]. شرح الأخبار - النعماني المغربي: ج٢ص٤٢.
[2]. المصدر السابق: ج٣ ص٤٠٠.

وصية رسول الله (ص) بوصلة الرجعة

ورد في وصية رسول الله المقدسة الآنفة الذكر اثنا عشر إماما واثنا عشر مهديا، لكن علماء الشيعة وفق قناعاتهم وقواعدهم الوضعية المبتدعة التي حاكموا بها كلام الطاهرين (ع) ذهبوا إلى القول بأن الائمة الاثني عشر هم المهديون الاثني عشر والحال أن النص يقول اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا والبعدية في– ومن بعدهم– تؤكد التغاير.

والأمر الذي يثير الحيرة والدهشة لكل باحث حقيقي منصف هو مخالفتهم لثوابت عرضوها وسطروها في كتبهم تقضي بضرورة وجود خليفة إلهي ترجع إليه الناس إلى يوم القيامة والروايات أكثر من أن نحصيها في هذا المبحث، لكنهم بالنتيجة خالفوها وذهبوا مذهب المتأولين والمفسرين الذي نهاهم الله وآل محمد (ع) عن القول بالرأي والقياس.

يقولون إن الأئمة (ع) هم من سيرجعون مع الإمام المهدي (ع) وليس هناك مهديون من ذرية الإمام المهدي (ع)، إذن فلماذا أفرد لهم رسول الله (ص) هذه التسمية وسماهم المهديين في وصيته المقدسة؟! والنصوص متواترة في عصمة هؤلاء المهديين وصفتهم بالأئمة والقوام والحجج.

أحد أبرز الروايات التي تعكزوا عليها:

عن الإمام الصادق (ع) حينما سأله أبو بصير: يا بن رسول الله! سمعت من أبيك أنه قال: (يكون بعد القائم (ع) اثنا عشر إماماً، فقال: قد قال: (اثنا عشر مهديا)، ولم يقل: (اثنا عشر إماماً)، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا)[1].

وتعليق صاحب البحار الشيخ المجلسي رحمه الله على هذه الرواية نموذجا لضيق الأفق المعرفي وانحساره:

(إعلم هداك الله بهداه أن علم آل محمد ليس فيه اختلاف، بل بعضه يصدق بعضا وقد روينا أحاديث عنهم صلوات الله عليهم جمة في رجعة الأئمة الاثني عشر فكأنه عليه السلام عرف من السائل الضعف عن احتمال هذا العلم الخاص الذي خص الله سبحانه من شاء من خاصته، وتكرم به على من أراد من

[1] . إكمال الدين وإتمام النعمة - الصدوق: ٣٥٨.

بريته ، كما قال سبحانه وتعالى " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " فأوله بتأويل حسن بحيث لا يصعب عليه فينكر قلبه فيكفر)[1].

فهل أباح أل محمد (ع) للشيخ المجلسي رحمه الله أن يتكلم بلسانهم مثلا؟! – وهو بحد ذاته منهي عنه– ليقول لنا أن الأئمة الذين سيرجعون بصفة المهديين هم ذات الأئمة الاثني عشر ويقطع بعدم وجود اثني عشر مهديا بعد الإمام المهدي (ع)، وهل أن الأئمة إذا رجعوا بحسب فهمهم كمهديين ستنتزع حلة الإمامة عنهم (ع) – على حد قول القائلين بعدم وجود الاثني عشر مهديا بعد الأمام المهدي (ع)– ليكونوا هم المهديون الذين لم ينالوا مقام الإمامة؟ أم سيقولون هؤلاء الذين لا يمكن اعطائهم رتبة الإمامة وهم المهديون هم غير الأئمة الاثني عشر الذين يحملون صفة المهديين وربما سيأتون بعدهم! وأنا لا أدري ما الذي يدفعهم إلى هذا التخبط وما الذي يضطرهم ليضعوا أنفسهم في مثل هذه المواقف التي أقل ما يقال عنها بأنها غير مسؤولة، فالأولى لهم أن يتركوا البيان لأهله كما قال بعض من تكلم في الرجعة وقال نترك الأمر للمستقبل.

يقول محمد السند: (إن هذه الرواية دالة على أن الإمام الثاني عشر يسلم الوصية إلى ابن له ثلاثة أسماء، فيكون قول النبي صلى الله عليه وآله في هذه الفقرة: "فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين" بإرجاع الضمير في "إذا حضرته" إلى الإمام الثاني عشر، وكذلك ضمير "ابنه" إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام، وأن هذه الثلاثة أسماء هي أسماء لابن الإمام الثاني عشر)[2].

فيقول في معرض اتهام من يقول بأن المقصود هو ابن الإمام المهدي واصفا هذا الفهم بالتوهم، وهذه محاول لإيهام القارئ، فعندما تذكر الوصية فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد (ص). فذلك اثنا عشر إماما، فهل يتصور أحد بعد هذا النص الواضح أن الحسن العسكري (ع) لم يسلمها إلى ابنه الإمام محمد بن الحسن (ع) وأنه أنهى مهمته وانتقل إلى الرفيق الأعلى وإنها أصبحت عند الإمام محمد بن الحسن (ع)، وبذلك كملت سلسلة الاثني عشر إمام، فالضمير في ابنه يعود على الحسن العسكري!

وهنا إشكالان:

---

[1] . بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٥٣ ص١١٥.
[2] . محمد السند: متاح على https://www.kitabat.info/print.php?id=١٩٠٦٤

١- هل أن أول المهديين هو محمد بن الحسن (ع)؟ سيما أن السند يقول المهديون هم الائمة الراجعون وأولهم الحسين (ع).

٢- عندما يرجع الضمير في ابنه إلى الحسن العسكري (ع)، عليه أن يتخلص من جملة " فإذا حضرته الوفاة" ؛ لأنه لا يمكن أن تحضر الوفاة للإمام الحسن العسكري (ع) مرتين!

ثم يقول: (وهذا الإرجاع للضمير إلى الإمام الثاني عشر خطأ فاحش في تركيب عبارات الجمل وسياقاتها، فإن الصحيح أن الضمير يرجع إلى الإمام الحادي عشر، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أي إذا حضرت الإمام العسكري عليه السلام الوفاة فليسلمها إلى ابنه الإمام الثاني عشر عليه السلام الذي له ثلاثة أسماء وهو الإمام الثاني عشر أوّل المهديين، والإمام الثاني عشر له ثلاثة أسماء: اسم كاسم النبي محمد صلى الله عليه واله، والاسم الآخر عبد الله وأحمد، والثالث وهو اللقب المهدي، وهو الإمام الثاني عشر أول المؤمنين، وفي بعض النسخ: (اسم كاسمي واسم أبيه وهو عبد الله)، وعلى هذه النسخة يكون اسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام عبد الله، وسنبين وجه كون الإمام الثاني عشر أول المهديين وأول المؤمنين).

يريد السند أن يقول كاسمي تعني اسمي؛ لان رسول الله (ص) يقول اسم كاسمي، وهل التشبيه بالكاف تعني المطابقة؟! ولا ندري من أين أتى السند بعبارة اسم أبيه وفي أي نسخة يقصد؟! ويموه السند فيقول والإمام الثاني عشر له ثلاثة أسماء، وهذا تجني على النص فقد ثبت أن الإمام المهدي (ع) تسلمها من أبيه الحسن العسكري (ع) وانتقلت مهمة التسليم إليه، فالأسماء الثلاثة لأبن الإمام محمد بن الحسن (ع) بلا منازع ثم هو أول المؤمنين بماذا؟ بالله أم برسول الله (ص) أم بأبيه الحسن العسكري؟!

يقول السند: (ومن ثم يكون الإمام الثاني عشر أول المهديين بعد أن كان له أصل مقام الإمامة طيلة فترة الغيبة، وهو أول المؤمنين أيضا من الأئمة الاثني عشر الذين وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض بدولة معلنة ويمكن لهم إقامة الدين حيث يبدلهم بعد الخوف أمنا)[١].

لكي يصرف المعنى الحقيقي لكون المهدي الأول الذي ذكر في الوصية المقدسة بعد الإمام المهدي (ع) وجّه العبارة إلى أن يكون الأمام المهدي (ع) أول المهديين وهنا أمران:

[١] . متاح على https://www.kitabat.info/subject.php?id=١٩٠٦٤

١- اذا كان الامام المهدي (ع) أول المهديين فأول المهديين على حسب زعمه يكون في الرجعة، فكيف يكون هو قائم آل محمد (ع) ومقيم دولة العدل الإلهي التي وعد الله بها، فيتداخل الأمر ليكون مرة مقيم دولة العدل ومرة راجعا كأول المهديين، وجميعهم يقرون أن أول الراجعين الحسين (ع) بغض النظر عن كون رجعة الحسين (ع) تكون بعد المهدي الثاني عشر كما سيتضح.

٢- يقول بأن الإمام المهدي هو أول المؤمنين بالدولة الممكّنة، وهل أن عليا (ع) والأئمة من بعده لم يكونوا مؤمنين بدولة العدل الإلهي ليكون الإمام المهدي (ع) أول من يؤمن بها؟! فأمره عجب.

وإذا أردنا أن نتابع ما يطرحه الشيخ السند في الوصية المقدسة فسندخل في قائمة طويلة عريضة من مسلسل التوهمات والمغالطات والتلبيسات، وقد تبين ما يكفي لإثبات الرجعة وفق مفهوم آل محمد (ع) كانت حقائقها رهينة الكتمان[١] في زمن الأئمة (ع)، أحكمها رجل منهم بين أظهرنا وأقام عليها الحجة والدليل الذي لا يناقض نصوص قرآنية وروائية الزموا بها أنفسهم، ولكنها تتقاطع مع فهمهم المبتور الذي سبب لهم الدوار والأرق في معالجة موضوع المهديين (ع) والذي أصبحوا بمواجهته مباشرة فلا سبيل إلا التلبيس وإثارة الإشكالات والشبهات التي لم يقيموا عليها دليلا قط.

فيما يؤكد انطباق المهدي الأول على مصداقه

إن محاولة الترويج لمفهوم أو فكرة أو عقيدة ما معينة لا يمكن أن تحقق شروط نجاحها إلا أن تكون قادرة على سد جميع الثغرات التي تعترض طريقها وتسورها بالأدلة الرصينة كي تصمد أمام كل التحديات المحتملة سيما إذا كانت في وسط يسمح لإثارة هذا التحدي.

فالتصدي لموضوع كبير بحجم قضية الإمام المهدي (ع) يستدعي للمتصدي أن يكون متمكنا من أداوته- وأولها الرجوع إلى آل محمد (ع)- وأن يكون حريصا على دينه ويلتزم الصدق والأمانة ويبتعد عن الأهواء والاقتراحات والفرضيات حتى لا يخذله الله سبحانه.

تأكد لدينا بأن المهديين الاثني عشر في هذه الوصية المقدسة عدة أخرى بعد الأئمة الاثني عشر(ع) وأولهم المهدي الأول المذكور فيها والذي يمثل مصداقا آخر بعد الإمام المهدي (ع) وليس شخص المهدي ذاته وقد أثبتنا توهم كونهم شخصية واحدة من نفس نص الوصية المقدسة، بقي أن نعرف هل

[١] . فقد روي في الحديث عنهم عليهم السلام: ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله[بحار الأنوار- المجلسي: ج٥٣ ص١١٥].

هناك ما يعزز وجود شخصية تنطبق مواصفاتها ووظائفها على المهدي الأول كونه أول المهديين بعد الإمام المهدي (ع) وبالتالي تكون الرجعة بمنظار الرافضين لوصية رسول الله (ص) أو للمتأولين عليها فاقدة لمقومات مقبوليتها.

عن أبي عبد الله (ع) قال: (إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم : مات وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره)[1].

فالغيبة الكبرى للإمام المهدي (ع) طالت حتى قيل ما قيل عنها، لكن الرواية تحكي لنا بأن هناك مولى في زمن الغيبة مطلع على موضعه وهو من بين ولده وغيرهم الذين استثنتهم الرواية من معرفة موضع الإمام المهدي (ع) وهذا يؤشر لنا بأن هذا المولى له شأن مع الأمام المهدي (ع) من خلال هذه الخصوصية.

عن علي بن أبي طالب (ع) قال: (يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت)[2].

الروايتين تثبت الولد للإمام المهدي (ع) وتثبت أنه قبل أبيه يمهد له سلطانه وأنه المولى الذي أمره وأمر الإمامة والخلافة الإلهية وصاية من الله لرسوله (ص) إلى يوم القيامة والنص الذي يحتج به صاحبه دليل قطعي على حجيته ، وأحمد نص عليه رسول الله (ص) في وصيته المقدسة كونه ابن الإمام المهدي (ع) ووصيه.

إذن رجل قبل المهدي ومن أهل بيته من يكون سوى ابنه الذي لا يطلع على موضعه إلا هو في زمن الغيبة.

إخبار النبي (ص) عن المهدي (ع) وهو يكلم سلمان قال: (ثم ضرب بيده على الحسين (ع) فقال: يا سلمان، مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما من ولد هذا. إمام بن إمام،

[1] .الغيبة - الشيخ الطوسي: ص١٠٢،١٦٢، تاريخ الغيبة الكبرى - محمد صادق الصدر: ج١ ص٥٥.
[2] . كتاب الفتن - نعيم بن حماد: ص٥٢.

عالم بن عالم، وصي بن وصي، أبوه الذي يليه إمام وصي عالم. قال: قلت: يا نبي الله، المهدي أفضل أم أبوه؟ قال: أبوه أفضل منه. للأول مثل أجورهم كلهم لأن الله هداهم به)[1].

تطلعنا الرواية على عدة حقائق لا محيص من كونها كاشفة عن حجية هذا المهدي.

١- تصفه بأنه إمام بن إمام ، عالم بن عالم ، وصي بن وصي، وهذه الخصائص معروفة لدى الشيعة مسبقا ولا شك في انطباقها على الإمام المهدي (ع) ولا يحتاج الإمام المهدي (ع) للتعريف به لسرد هذه المواصفات على الأقل بالنسبة للشيعة، إذن المقصود غيره.
٢- أبوه الذي يليه لا يمكن أن ينصرف مصداقها على الإمام المهدي (ع)؛ لأن الحسن العسكري (ع) سلم الخلافة للإمام المهدي (ع) بعد استشهاده ، فالمقصود مهدي آخر.
٣- وردت روايات عن آل محمد تخبرنا بمقامات الأئمة (ع) وأفضلية بعضهم على بعض ، والثابت هو أفضلية أمير المؤمنين (ع) على كل الأئمة من بعده وأفضلية الحسن والحسين (ع) على من بعدهم ، وأفضلية الإمام المهدي (ع) على آبائه السبعة، لذا " فأبوه أفضل منه" لا تنطبق على الإمام المهدي (ع)؛ بل تنطبق على ابنه المهدي الأول؛ لأن الإمام المهدي أفضل من أولاده المهديين (ع).

إذن كل هذه المعطيات تثبت لنا وجود مهدي بعد الأمام المهدي (ع) رتبة وقبله كونه ممهدا له، ويثبت وصايته التي ذكر فيها بوصية رسول الله (ص) وهو ابنه "فليسلمها إلى ابنه" إمام؛ لأنه وصي أبيه وهو حجة الله في الارض بعد أبيه الأمام المهدي (ع).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: (الله أجل وأكرم وأعظم من أن يترك الارض بلا إمام عادل قال: قلت له: جعلت فداك فاخبرني بما أستريح إليه قال: يا أبا محمد ليس ترى امة محمد فرجا أبدا مادام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد برجل منا أهل البيت يشير (يسير) بالتقى ويعمل بالهدى ولا يأخذ في حكمه الرشا. والله إني لأعرفه باسمه واسم أبيه ثم يأتينا الغليظ القصرة ذو الخال والشامتين القائد العادل الحافظ لما استودع يملاها عدلا وقسطا كما ملأها الفجار جورا وظلما)[2].

[1] . سليم بن قيس الهلالي: ص٤٣٠ - ٤٣١.
[2] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٢٥ ص٢٦٩.

هذا الرجل الذي هو من أهل بيت المهدي (ع) له دور قبل أبيه فهو المهدي الأول، ولكي لا يتوهم أحد ويقول المقصود منه الإمام المهدي (ع) كما قالوا فليسلمها إلى ابنه أي ليسلمها الحسن العسكري (ع) إلى ابنه الإمام المهدي (ع) فغالطوا فيها حتى أبسط العمليات الحسابية وبديهيات التسلسل من السابق إلى اللاحق، فيقول (ع) ثم يأتينا الغليظ القصرة وهذا فاصل أكيد بين رجل منا أهل البيت والغليظ القصرة وهو أبيه الإمام المهدي (ع).

وفي خبر طويل قالت فاطمة (ع): يا رسول الله، فأي هؤلاء الذين سميت أفضل؟ فقال رسول الله (ص): أخي علي أفضل أمتي، وحمزة وجعفر هذان أفضل أمتي بعد علي وبعدك وبعد ابني وسبطي الحسن والحسين وبعد الأوصياء من ولد ابني هذا وأشار رسول الله (ص) بيده إلى الحسين (ع) منهم المهدي، والذي قبله أفضل منه الأول خير من الآخر لأنه إمامه والآخر وصي الأول. إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا)[1].

امتحان الأمة في المهدي الأول

لم يهتدي أهل العقول القاصرة إلى معرفة المهدي الأول والوصي والإمام ، بسبب اعتمادهم على قواعد ومباني أسسها الرجال حجبتهم عن التعرف على أسرار آل محمد (ع).

الروايات عن آل محمد (ع) تبين لنا أن صاحب الأمر والقائم شخصية واحدة، ولنفس الأسباب جهلوا امره، وبعض هذه الروايات أوردتها بصدد إثبات الأئمة الثلاثة عشر، وسأوردها هنا لتبيان القائم (ع).

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: (دخلت على فاطمة (ع) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم (عليه السلام)، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي)[2].

وعن أبي جعفر(ع)، قال: قال رسول الله (ص): (من ولدي اثنا عشر نقيبا، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق، يملأها عدلا كما ملئت جورا)[3].

---

[1] . سليم بن قيس الهلالي: ص٨.
[2] . الكافي - الشيخ الكليني: ج١ص٥٣٢ - ٥٣١.
[3] . نفس المصدر.

بعد أن أثبتنا الإمام الثالث عشر من أئمة الهدى (ع) نعرف من هاتين الروايتين إن الإمام الثالث عشر هو القائم "آخرهم القائم" و"آخرهم القائم بالحق" والروايات كثيرة لفظا ومعنى تؤيد هذا التخصيص للقائم وهو المهدي الأول، وكل المختصين من علماء الشيعة السابقين والمتأخرين لا يعرفون ولا يتصورون أن هذا القائم هو نفسه صاحب الأمر وهو المنادى باسمه بل من الثابت بحسبهم أنه الإمام محمد بن الحسن (ع) حصرا.

عن الحارث بن زياد، عن شعيب بن أبي حمزة قال: دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له: أنت صاحب هذا الامر؟ فقال: لا، قلت (فولدك؟ قال لا، قلت فولد ولدك؟ قال: لا، قلت: فولد ولد ولدك؟ قال: لا، قلت: فمن هو؟ قال: الذي يملئها عدلا كما ملئت جورا لعلى فترة من الأئمة يأتي كما أن رسول الله صلى الله عليه واله بعث على فترة من الرسل)[1].

من الواضح أن الإمام المهدي (ع) استلم الإمامة من أبيه الإمام الحسن العسكري (ع) مباشرة فلم تكن هناك فترة زمنية فاصلة بينهما، إذن أصبح لدينا أن الذي يأتي على فترة من الأئمة هو المهدي الأول وهو وصي الأمام المهدي (ع) باعتبار أن الفترة هي فترة الغيبة الكبرى، والأمام أبي عبد الله (ع) مهد لهذا الأمر لذوي القلوب والبصيرة حيث قدم لنا برهانا ببعثة رسول الله (ص) بعد عيسى (ع) وأن الفترة بينهما كانت قرابة خمسمائة عام.

وعن أبي جعفر الباقر(ع) يقول: (إن صاحب هذا الأمر فيه شبه من يوسف ابن أمة سوداء يصلح الله له أمره في ليلة)[2].

قال عيسى الخشاب قلت للحسين بن علي(ع) أنت صاحب هذا الأمر قال(ع): (لا ولكن صاحب هذا الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنى بعمه يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر)[3].

وهذا الذي يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر هو ذاته الرجل الذي يخرج من المشرق من أهل بيت الإمام المهدي الذي أثبتنا أنه ابنه والمهدي الأول.

---

[1] . الغيبه - النعماني: ص٢٧، بحار الانوار - المجلسي:ج٥١ ص٣٩.
[2] . الغيبة - النعماني: ص١٦٣، إثبات الهداة - الحر العاملي: ج٣ ص٥٣٨ ، بحار الانوار - المجلسي: ج٥١ ص٤١، ص٣٠٠، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) للكوراني: ج٣ ص٢٣٩.
[3] . بحار الأنوار - المجلسي: ج١٣٣ص٥١ ، كمال الدين - الصدوق: ج٣٠ ص٣١٨.

عن حمران بن أعين قال قلت لأبي جعفر الباقر (ع) جعلت فداك إني قد دخلت المدينة و في حقوي هميان فيه ألف دينار و قد أعطيت الله عهدا أنني أنفقها ببابك دينارا دينارا أو تجيبني فيما أسألك عنه، فقال: يا حمران سل تجب و لا تنفقن دنانيرك. فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله (ص) أنت صاحب هذا الأمر و القائم به؟ قال: لا، قلت: فمن هو بأبي أنت و أمي؟ فقال: ذاك المشرب حمرة الغائر العينين المشرف الحاجبين العريض ما بين المنكبين برأسه حزاز و بوجهه أثر رحم الله موسى)[1].

قال الإمام الصادق(ع): (المهدي لونه عربي وجسمه إسرائيلي طويل القامة وعظيم الجثة هو المهدي)[2].

هذه التوصيفات المذكورة لا تنطبق على الإمام المهدي (ع) بحال، بل هي منطبقة تمام الانطباق على المهدي الأول والقائم فهو صاحب الأمر.

بينما صفات الأمام المهدي (ع):

عن حبيب بن محمد بن يونس بن شاذان الصنعاني قال: دخلت إلى علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي فسألته عن آل أبي محمد (ع) فقال: (..... وإذا هو كغصن بان أو قضيب ريحان، سمح سخي تقي نقي، ليس بالطويل الشامخ، ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة، مدور الهامة، صلت الجبين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين، على خده الأيمن خال كأنه فتات مسك على رضراضة عنبر)[3].

هذا سيقودنا إلى معرفة السر وراء توهمهم بالنداء السماوي ولماذا تعددت التسميات للمنادى بالصيحة؟

فعن البيزنطي قال سالت الرضا (ع) عن مسالة الرؤيا فامسك ثم قال(ع): (إنا لو أعطيناكم ما تريدون لكان شرا لكم واخذ برقبة صاحب هذا الأمر (ع))[4].

فالأئمة (ع) يعلمون أن صاحب الأمر أو صاحب الرسالة والقائم بالأمر سيكون مستهدفا؛ لأنه هو من سيطيح بالمشروع الإبليسي المناهض لمشروع الله في الأرض لو أذاعوا باسمه، فتكتموا على اسمه وأحاطوه بالسرية.

---

[1]. الغيبة - النعماني: ص٢١٥.
[2]. إلزام الناصب - الحائري: ج١ ص٥٢٦.
[3]. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٢٦٣-٢٦٦.
[4]. قرب الإسناد - عبدالله بن جعفر الحميري: ص٣٨٠.

عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: (سأل عمر أمير المؤمنين عن المهدي قال: يا ابن أبي طالب أخبرني عن المهدي ما اسمه؟ قال: أما اسمه فلا، إن حبيبي وخليلي عهد إلي أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله عز وجل وهو مما استودع الله عز وجل رسوله علمه)[1].

وعن أبي خالد الكابلي قال: (دخلت على محمد بن علي الباقر (ع) فقلت: جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إلى أبيك وأنسي به ووحشتي من الناس، قال: صدقت يا أبا خالد، تريد ماذا؟ قلت: جعلت فداك قد وصف لي أبوك صاحب هذا الأمر بصفته لو رأيته في بعض الطرقات لأخذت بيده قال: فتريد ماذا يا أبا خالد؟ قال: أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه ، فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر، ما لو كنت محدثا به أحدا لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمةَ عرفوه حرصوا على أن يقَطعوه بضعة بضعة بِضعة)[2].

والآن عرفنا هدف الأئمة وحرصهم على كتمان اسم صاحب الأمر وهو المهدي الأول وهو القائم (ع).

عن الفضل بن شاذان عن أبي جعفر (ع) قال: (....، قتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم(ع) من المحتوم. فقلت له: كيف يكون (ذلك) النداء؟ قال: ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون)[3].

عن أبي عبد الله (ع): (يشمل الناس موت وقتل حتى يلجأ الناس عند ذلك إلى الحرم، فينادي مناد صادق من شدة القتال فيم القتل والقتال؟ صاحبكم فلان)[4].

فعندما يأتي بعضهم ويقول أن النداء في علي وشيعته ويفسره بالدعوة إلى الرجعة للأئمة (ع) كما فعل محمد السند، كي يعرف أن آل محمد (ع) حكماء، ثم ليعرف هؤلاء الذين أتوا البيوت من ظهورها ولم يأتوها من أبوابها بأن هذه العُقد لا يفكها إلا صاحبها، فقد أسند بيان غوامض الأمور لهم لتكون دليلا عليهم وعلى جهل وحاجة غيرهم اليهم.

زيادة في الإيضاح:

---

[1] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٥١ ص٣٣، كمال الدين - الصدوق: ج٢ ص٦٤٨.
[2] .الغيبة - الطوسي: ص٣٣٣، الغيبة - النعماني: ص٢٨٨، بحار الأنوار - المجلسي: ج٥١ ص٣١.
[3] . معجم أحاديث الإمام المهدي (ع) - الكوراني: ج٣ ص٢٧٧.
[4] . نفس المصدر: ج٣ ص٤٤٥.

عباية الأسدي عن علي (ع) قال: (سمعت أمير المؤمنين (ع) وهو مشتكي (متكٍ) وأنا قائم عليه قال: لأبنين بمصر منبرا و لأنقضن دمشق حجرا حجرا و لأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، و لأسوقن العرب بعصاي هذه! قال قلت: كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت؟ فقال: هيهات يا عباية قد ذهبت في غير مذهب . يفعله رجل مني)[1].

فعلي (ع) ينسب الفعل إليه ثم يوصلنا إلى صاحب الفعل الواقعي في زمان غير زمان أمير المؤمنين (ع) بل هو زمن الظهور المقدس فيكون حسب هذا التوصيف علي (ع) الذي ينادى باسمه شخص آخر في زمن الظهور وهو نظيره في هذا الزمان، ولاريب أن أمر آل محمد (ع) مستحكم على الزمان والمكان وأن رميتهم لا تخطئ؛ لأنها من الله دائما، وقد أثبتنا ذلك عندما عرفنا أنهم وجه الله ويد الله ، ولكي تترسخ فكرة النظير لعلي (ع) نطالع الروايات التالية:

عن أبي مروان قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل:﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، قال: فقال لي: (لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بالثوية، فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجدا له اثنا عشر ألف باب، يعني موضعاً بالكوفة)[2].

وهو مسجد يبنيه القائم (ع) في أيامه، إذ يقول الناس له: (.. المسجد لا يسعنا فيقول: أنا مرتاد لكم فيخرج إلى الغري فيخط مسجدا له ألف باب يسع الناس) بنص قول الإمام الباقر(ع)[3].

ومن ثم يكون المقصود بـ"رسول الله وعلي" في الحديث السابق: نظيريهما بحيث يكون مجيئهما بمثابة مجيء النبي وعلي عليهما وآلهما السلام.

والرجعة بالمثل في زمن القائم نراها أيضا في قول الإمام الصادق (ع): (يخرج القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلا، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون، وسلمان وأبا دجانة الأنصاري والمقداد ومالكا الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا وحكاما)[4].

---

[1] . بحارالأنوار - المجلسي: ج٥ ص٦٠.
[2] . نفس المصدر: ج٥٣ ص١١٣- ١١٤.
[3] . نفس المصدر: ج٥٢ ص٣٣١.
[4] . الإرشاد - للمفيد: ج٢ ص٣٨٦.

أي يكون من أنصاره من هو نظير ومثيل هؤلاء المذكورين لا أنهم يأتون بأنفسهم؛ لأن رجعة الأموات لا تكون إلا في عالم الرجعة.

إذن المهدي الأول والقائم ونظير علي في هذا الزمان هو صاحب الأمر، فهل هو صاحب الراية ليثبت دوره الحقيقي في زمن الظهور المقدس وبالتالي تكون هذه الراية وتوصيفها دالة عليه وعلى صدق دعواه، ولكي لا يبقى للمتخرصين حجة أو عذر.

فعن عبيد بن كرب قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: (إن لنا أهل البيت راية من تقدمها مرق، ومن تأخر عنها زهق، ومن تبعها لحق)[١].

قال الإمام الباقر(ع): (..وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني هي راية هدى؛ لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فأنهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم)[٢].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: (كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل)[٣].

فلابد أن تكون راية اليماني هي ذاتها راية القائم؛ لأن راية الحق لا تتعدد.

عن عبيد بن كرب قال: سمعت عليا (ع) يقول: (إن لنا أهل البيت راية من تقدمها مرق ومن تأخر عنها محق، ومن تبعها لحق)[٤].

(ما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين فان اشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره وإياك وشذاذ من آل محمد، فان لآل محمد وعلي راية ولغير هم رايات فالزم الارض ولا تتبع منهم رجلا أبدا حتى ترى رجلا من ولد الحسين، معه عهد نبي الله ورايته وسلاحه، فان عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين ثم صار عند محمد بن علي،

---

[١] . بشارة الإسلام: ص٢٠٢.
[٢] . الغيبة- النعماني: ص٢٦٤.
[٣] . الكافي- للكليني: ج٨ ص٢٩٥.
[٤] . كمال الدين وتمام النعمة - الصدوق: ج١ص٦٨٢.

ويفعل الله ما يشاء . فالزم هؤلاء أبدا، وإياك ومن ذكرت لك، فإذا خرج رجل منهم معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله عامدا إلى المدينة...)[1].

فهي راية واحدة والرايات الأخر رايات ضلال بدلالة أنها ترفع بقبال راية أهل البيت وهي راية رسول الله (ص) وإلا فينبغي أن يلتحق أصحاب تلك الرايات براية آل محمد (ع).

عن ثوبان قال: قال رسول الله (ص): (يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم، ثم يجيء خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه، ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي)[2].

عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) يقول ...ما أشكل عليكم فلن يشكل عليكم عهد نبي الله (ص) و رايته و سلاحه و إياك و شذاذا من آل محمد (ص) فإن لآل محمد و علي راية و لغيرهم رايات فالزم الأرض و لا تتبع منهم رجلا أبدا حتى ترى رجلا من ولد الحسين معه عهد نبي الله و رايته و سلاحه، فان عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين ثم صار عند محمد بن علي ، ويفعل الله ما يشاء. فالزم هؤلاء أبدا، وإياك ومن ذكرت لك، فإذا خرج رجل منهم معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله عامدا إلى المدينة)[3].

أعتقد أصبح لدينا من المؤكد وجود شخصية أخرى من شخصيات الظهور المقدس لها دور قبل الإمام المهدي (ع) أنه المهدي الأول من المهديين الاثني عشر وهو ابنه ووصيه، ولكي نعرف هذا الدور نورد بعض الروايات:

ورد عن رسول الله(ص): (... حتى ترتفع رايات سود من المشرق فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون. فمن أدركه منكم، أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج ، فإنها رايات هدى، يدفعونها الى رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملك الأرض فيملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما)[4].

---

[1] . بحار الأنوار - المجلسي : ج٥٢ ص٢٢٤.
[2] . المستدرك - للحاكم: ج٤ ص٤٦٤، سنن ابن ماجة القزويني: ج٢ ص١٣٦٧ح٤٠٨٤.
[3] . بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢ ص٢٢٣-٢٢٤ ، إلزام الناصب - الحائري: ج٢ ص٩٦– ٩٧.
[4] . معجم أحاديث الإمام المهدي - الكوراني: ج١ ص٣٨٢.

إذن هذا الرجل هو نفسه الذي ذكرته الرواية التي تقول يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته من المشرق (إمام أهل بيتي) وهذا ما أكدته الروايات التي أثبتنا من خلالها الإمام الثالث عشر وهو ابن الإمام المهدي (ع) المذكور في وصية رسول الله (ص).

فعن الإمام الباقر(ع): (كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا الى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إني لو أدركت صاحب ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر)[1].

وصاحب الأمر هو نفسه المهدي الأول وهو القائم الذي ينادى باسمه وهو نفسه صاحب القانون المعرف بحجة الله والوحيد الذي كشف عنه وأحتج به على كل الديانات وأثبت أن هذا القانون احتج به كل خلفاء الله المنصبين وهو النص (الوصية) والعلم والدعوة إلى حاكمية الله .

وعن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: (خطب الناس أمير المؤمنين(ع) بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه .... واعلموا أنكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، فتداويتم من الصمم، واستشفيتم من البكم، وكفيتم موَنة التعسف والطلب، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق. فلا يبعد الله إلا من أبى الرحمة، وفارق العصمة، "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[2].

يوضح لنا أمير المؤمنين (ع) بأن طالع المشرق صاحب رسالة يعيد فيها الدين غضا طريا وفق منهج رسول الله (ص) ويفتح نوافذ العلم التي فيها دواء الصمم والشفاء من البكم ويجنبنا ركوب الفتن ويبعدنا عن التيه؛ لأنه الدال إلى الله وإلى الإمام المهدي (ع)، ثم يؤكد عصمته التي لا تفارق حجج الله وخلفاءه والتي تعصم من لزمها فلا تخرجه من حق ولا تدخله في باطل وهو منهج الله في خلفاءه الذين أوكل اليهم تذكير الخلق وإرجاعهم إلى الله بسلوك طريقهم المعرفي الموصل إليه.

ورد في شرح إحقاق الحق: (... فيخرج الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي، فيهزم السفياني الى الشام)[3].

---

[1] . الغيبة - النعماني: ص٢٨١.
[2] . بحارالأنوار - المجلسي: ج٥١ ص١١١- ١١٢.
[3] . شرح إحقاق الحق – المرعشي: ج٢٩ ص٦٢٠.

عن أبي جعفر (ع) قال: (إذا اختلف كلمتهم وطلع القرن ذو الشفا لم يلبثوا إلا يسيرا حتى يظهر الأبقع بمصر يقتلون الناس حتى يبلغوا أرم ثم يثور المشوه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة ثم يظهر السفياني الملعون فيظهر بهما جميعا ويرفع قبل ذلك ثنتي عشرة راية بالكوفة معروفة ويقبل بالكوفة رجل من ولد الحسين يدعوا إلى أبيه ثم يبث السفياني جيوشه)[١].

ل إتمام الصورة وبيان إحكام الأمر من آل محمد (ع) لابد لكل متدبر أن يسلك المنهج العلمي والاستدلال من خلال خارطة الطريق البين الذي يخلو من المنعطفات والمتاهات التي طالما رافقت سبيل المدعين والزائغين عن صراط الله القويم، وهذا الصراط هو صراط الله وهو صراط المعصوم المنصب صاحب العلم الإلهي، فوزير المهدي هو صاحب الأمر والمهدي الأول، الذي احتج بوصية رسول الله (ص) والتي نص الله عليه فيها وهو نفسه المقصود بأول العلامات الحتمية قبل قيام القائم (ع).

فعن الصادق (ع): قبل قيام القائم (عج) خمس علامات محتومات: (اليماني والسفياني والصيحة وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء)[٢].

قال رسول الله (ص): (إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة المهدي)[٣].

وعن الصادق(ع): (له كنز بالطالقان، ما هو بذهب ولا فضة، و راية لم تنشر مذ طويت)[٤].

عبيد بن كرب قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: (إن لنا أهل البيت راية من تقدمها مرق، ومن تأخر عنها زهق، ومن تبعها لحق)[٥].

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله (ع): (لما التقى أمير المؤمنين (ع) وأهل البصرة نشر الراية، راية رسول الله (ص) فزلزلت أقدامهم... فقال للحسن: يا بني إن للقوم مدة يبلغونها، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم صلوات الله عليه)[٦].

---

[١] . كتاب الفتن - لابي نعيم: ج١ص٢٨.
[٢] . إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب - الحائري: ج٢ ص١١٩.
[٣] . الملاحم والفتن - ابن طاووس: ٥٢.
[٤] . المعجم الموضوعي - الكوراني: ٦٠١.
[٥] . بشارة الإسلام: ص٢٠٢، كمال الدين وتمام النعمة - الصدوق: ج١ ص٦٨٢.
[٦] . الغيبة - النعماني: ص٣١٩.

فمن صاحب هذه الراية الا أن يكون هو ذلك الرجل الذي يخرج قبل المهدي (ع) والذي اثبتت روايات آل محمد (ع) صاحب الأمر والقائم، وبما أن راية الحق في كل زمان لا تتعدد؛ لأنها عند المعصوم المنصب من قبل الله فراية آل محمد الوحيدة في آخر الزمان هي راية اليماني، وعرفنا من آل محمد أن راية اليماني قبل قيام القائم (ع) اذن لا يمكن أن يكون صاحب هذه الراية الا المهدي الأول، ومن يفترضهما شخصيتان مختلفتان عليه أن يثبت من هو الحجة على الآخر، فإن قال المهدي الأول فسيكون صاحب الراية التي ترفع قبل القائم طاغوتا، وهذا باطل بحسب قول الإمام الباقر (ع) راية اليماني أهدى الرايات والعكس صحيح إن قلنا اليماني هو الحجة على المهدي الأول يناقض اثبات آل محمد (ع) بأن المهدي الأول حجة الله ووصي من أوصياء محمد (ص).

قال الإمام الباقر (ع): (وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني هي راية هدى؛ لأنه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فأنهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم)[1].

فرواية الإمام الباقر (عليه السلام) لها القول الفصل في تحديد صاحب الراية المحمدية الحقة وكونه خليفة من خلفاء الله الملتوي عليه من أهل النار؛ لأن الطريق الوحيد والضامن والهادي إلى الصراط المستقيم، وهذا الرجل الإلهي المعصوم هو ذاته أحمد وصي ورسول الإمام المهدي (ع) والمهدي الأول.

ثبت من خلال روايات آل محمد (ع) أن الإمامة تثبت بالنص وأن المنصوص عليه واجب الطاعة، وأثبتنا أن الروايات عندما ذكرت اثنا عشر إماما معصوما من آل محمد بعد رسول الله (ص) كذلك ذكرت مهديين اثنا عشر ولهم مقام الإمامة وصرحت وصية رسول الله بالمهدي الأول منهم وأشبعوها آل محمد وصفا وتبيانا اسما ونسبا وصفة ومسكنا وذكروا مهمته ودوره، فتبين أنه أول المهديين وأنه الإمام الثالث عشر وأن إل محمد (ع) عندما سكتوا عن التصريح باسمه لعلة صارت معروفة لكل ذي لب سليم وهي عدم حضور القابل من جهة والحفاظ على شخصه من جهة أخرى ، وبعدم مجيء أوانه.

بعد كل ما تقدم صار من الواضح جدا أننا أمام محور جوهري وخطير ومفصل زمني يتعين على كل من يكون حاضرا فيه أن يعرف واجبه وتكليفه الشرعي الذي نطق به الكتاب والعترة هو معرفة إمام

[1] . الغيبة - النعماني: ص٢٦٤.

الزمان وطاعته، والمهدي الأول اليوم بيده راية آل محمد (عليهم السلام) فهو من بين لنا الكثير من مبهمات الأمور ومستعصيات المسائل، سيما ما وقع به علماء الأديان من أخطاء وشبهات أودت إلى ضياع جهود الأنبياء والمرسلين.

إذن الرجعة امتحان ثالث ويوم آخر خارج حدود هذا العالم الجسماني المادي وأن روايات الرجعة التي ذكرت فيها أسماء أشخاص ممن عاصروا الرسول (ص) والأئمة (ع) أمثال أبي دجانه وسلمان وغيرهم فهذا يعني رجوعهم بنظائرهم وليسوا بشخوصهم وأعيانهم؛ بل أن الذين يحملون نفس مواصفات هؤلاء هم أشخاص سينصرون القائم (ع) الذي سيكون قيامه في مقطع زمني أسموه آل محمد (ع) آخر الزمان وهو ضمن حدود هذه الدنيا وطبيعتها المادية وأن القائم (ع) والقوام المهديين من بعده سيحكمون دولة العدل الإلهي في الأرض والرجعة ستكون بدايتها في آخر أيام المهدي الثاني عشر منهم (ع) وليس كما يتصور علماء الشيعة بأن هؤلاء المهديين الذين سيحكمون دولة العدل الإلهي هم الأئمة الاثني عشر (ع)؛ لأنهم سيرجعون في يوم آخر قائم برأسه بمقابل يوم القائم ويوم القيامة وهو عالم الرجعة وهو غير عالمنا.

فالرجعة واحدة من المسائل العويصة التي عجز عن فك شفرتها الجميع، مما أدى إلى نكران ومخالفة الثوابت واتهام الكثير من أقوال وروايات آل محمد (ع) بعد أن وضعوها تحت طائلة مباني الرجال.

الفهم الخاطئ للرجعة يرجع للجهل في المتشابه من الآيات والروايات الموكولة للمعصوم تارة، مما أدى إلى نكران اثني عشر وصيا من أوصياء محمد (ع) وأولهم المهدي الأول الذي لم يترك سبيلا للدلالة عليه وبيان أمره إلا قدمه، وهذا ما أخبرنا به آل محمد (ع) ليكون دلالة أخرى جلية في هذا الزمان على صدق إخباراتهم؛ لأنها من الله.

عن أبا عبدالله جعفر بن محمد (ع) قال: (إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق وأهل المغرب، أتدرى لم ذاك؟ قلت: لا، قال: للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه)[1].

عن أبى خالد الكابلي، قال: " (لما مضى علي بن الحسين (ع) دخلت على محمد بن على الباقر (عليهما السلام)، فقلت له: جعلت فداك قد عرفت انقطاعي إلى أبيك وانسى به، ووحشتي من الناس قال: صدقت يا أبا خالد فتريد ماذا؟ قلت: جعلت فداك لقد وصف لي أبوك صاحب هذا الامر بصفة لو رأيته

[1] . الغيبة - النعماني: ص٢٩٨.

في بعض الطريق لأخذت بيده، قال: فتريد ما ذا يا أبا خالد؟ قلت: أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه، فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثا به أحدا، ولو كنت محدثا به أحدا لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة)[1].

فاتباع صاحب الحق والنص والعلم هو الدين بل كل الدين؛ لأن الدين رجل وهو الايمان وهو اليقين وإمام أمته وهو السبيل الوحيد للسير والوصول إلى الله.

عن أمير المؤمنين(ع) في حديث طويل : (... لنا راية من استضل بها كنته ومن سبق إليها فاز ومن تخلف عنها هلك ومن تمسك بها نجا ...)[2]

[1] . الكافي - الكليني : ص٢٨٩.
[2] . بحارالأنوار - المجلسي: ج١٠ ص٨٩.

خاتمة

تم بعون الله الانتهاء من البحث بفصوله الثلاثة التي حملت عناوين الامتحانات الثلاثة والتي دارت في ثلاث عوالم اختلفت في مقاطعها الزمنية بالتعاقب وتشابهت اثنان منها في سنخيتها من حيث حدوثها في السماء الأولى، وهي عالم الذر وعالم الرجعة، وانفرد منها عالم الدنيا بالسفلية و المادية و الجسمانية كونه عالم تنزلي كثيف.

ناقشنا هذه الامتحانات من حيث وجودها واثباتها ومن حيث طبيعتها وطبيعة الامتحان الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بموجبات ولوازم كل عالم.

ورغم هذه الاختلافات التي فصلناها خلال فقرات البحث المختلفة إلا أن السؤال الذي كان على الممتحنين أن يجيبوا عليه بقي نفس السؤال وهو معرفة خليفة الله وطاعته والتسليم له، فكان التركيز خلال البحث على أمرين هامين جدا وهما السبيل لمعرفة طبيعة الامتحان كيف ولماذا وعن طريق من؟ ومن ثم معرفة حال الممتحنين وكيف تعاملوا مع المقدمات وكيف كانت النتائج، التي تبين من خلالها وقوع الممتحنين بنفس الأخطاء، كما تبين لدينا من خلال ما وضحه لنا عالم من آل محمد (ع) في هذا الزمان بأن الناس كما ضيعت فرصتها وفشلت في عالم الذر كررت نفس التقصير في هذا العالم، و أحاديث آل محمد (ع) بينت على سبيل الإجمال حال من محض الإيمان ومحض الكفر من الممتحنين في عالم الرجعة وفصلها قائم آل محمد (ع) .

وخلاصة ما تقدم، منذ أن خلق الله الخلق وامتحنهم وبان فضل محمد وآل محمد (ع) فصاروا أبوابه وحججه على جميع الخلائق، وأولهم معلم الخلق الأول والإنسان الكامل محمد (ص) ومدينة الكمالات الإلهية المظهر لأسماء الله التي تجلت فيه بأعلى صورة ممكنة لمخلوق، عندما أخلص غاية الإخلاص ولم يلتفت لوجوده فكان توفيقه من الله أعلى مراتب التوفيق الذي يناسب مقام قاب قوسين أو أدنى فأودعه الله علمه وجعله وأهل بيته أدلاء عليه سبحانه و ترجمان وحيه، فتمت حجتهم على الخلق حيث نصبهم الله خلفاء له إلى يوم القيامة لا يخلو منهم زمان.

فعلى كل خائف من الله ومرتجي للنجاة أن يكون شغله الشاغل البحث عن خليفة الله في هذا الزمان ولزوم طاعته والتسليم له.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليما.